روبير الفارس

أنياب القديس

البابا شنودة و الأصولية المسيحية

روافد للنشر والتوزيع

روبير الفارس

أنياب القديس

روافد للنشر والتوزيع

يهدف هذا الكتاب إلى تقديم قراءة مختلفة في شخصية البابا شنودة، فاتحًا المجال للاستماع إلى ضحايا بريق هذا الرجل وكاريزماته الطاغية، لنرى وجوهًا أخرى أو عدة وجوه فرضتها عليه سياقاته المتعددة بين الروحي والسياسي. وحتى لا نقع فيما نرفضه سوف نبدأ الكتاب بذكر إنجازات وإيجابيات الرجل، كما سجلها محبُّوه، وهم كثيرون. ثم نترك المجال لأصوات أخرى حُجِبَت عمدًا وتم تجاهلها والتعتيم عليها، ورميها بكل الشرور لصالح النجم الأوحد، الذي يمتلك في نظرهم الدين والحكمة والثقافة والشعر والسياسة وخفة الدم والنكتة، وأيضًا صنع المعجزات.







مدخل:

من مقال للبابا شنودة

"إذا أردت أن تكون عادلًا في أحكامك على الناس، ينبغي باستمرار أن تستمع إلى الطرف الآخر، ولا تأخذ الحقائق من جانب واحد فقط. فمن حق كل إنسان أن يوضح موقفه. ومن حقه أن يدافع عن نفسه في كل ما يُنسَب إليه، ولا يجوز لنا أن نحكم على أحد بمجرد السماع، ومجرد ما يُقال عنه.

ربما الذي تحدَّث ضده، لم يرَ بنفسه، ولم يسمع المعلومات من مصدر وثيق. وربما فهم الأمور بطريقة خاطئة. واستنتاجاته. وقد تكون هذه الاستنتاجات سليمة، وهناك خلفيات لا يعرفها.

إن قالت لك امرأة إن زوجها يعاملها معاملة سيئة، اسألها: لماذا؟ وماذا فعلتِ حتى يعاملِك هكذا؟ ثم اسأل الطرف الآخر: ماذا حدث؟ ولماذا؟ وبهذا تأخذ صورة متكاملة عن الموضوع، وتكون قد استمعت إلى الطرفين.

تصور أن الله نفسه العالِم بكل شيء، سأل حواء وآدم والحية، قبل أن يُصدِر حكمه. وسأل قايين، لقد أعطى الطرف الآخر فرصة ليتحدث عن نفسه، ويوضح موقفه. وأن يدافع عن نفسه إن أراد.

وسؤال الطرف الآخر، ليس القصد منه مجرد معرفة الحقيقة ومعرفتها من جميع جوانبها، ومعرفة ظروفها وأسبابها.

إنما سؤال الطرف الآخر، قد يعطيه الفرصة للاعتذار، ولتصحيح موقفه، ومعالجة نتائج تصرفه، وإضافة فهم إلى فهمه، مثل ما جاء في العهد القديم عندما قامت المرأة الحكيمة أبيجايل لما تحدثت مع داود، أعطته فرصة أن يرجع عن قراره ولا ينتقم لنفسه (سفر صموئيل الأول 25: 33)، وناثان النبي لما تحدث مع داود، أعطاه فرصة أن يفهم عمق خطيئته، وأن يعترف قائلًا: "أخطأت إلى الرب" (سفر صموئيل الثاني 12: 13).

وفي علاقاتك أنت مع الناس، حاول أن تفهم الطرف الآخر، حتى إن كان يُعارِضَك. افهم وجهة نظره، ونوع عقليته ونفسيته، لكي تعرف كيف تتعامل معه.

لا تنظر إلى الطرف الآخر باستمرار كعدو. إنما حاوِل أن تدرس وجهة نظره، وتتفاهم معه، وتصل إلى حل، في حب".

البابا شنودة الثالث

هذا الكتاب يعطي فرصة للطرف الآخر ممن وُصِفوا بالمختلفين مع البابا شنودة الثالث، أو يعتبرهم البعض أعداء له.

مقدمة

صناعة الآلهة

تجيد الثقافة العربية صناعة الآلهة منذ أقدم العصور. وذلك من منطلق أعور يستخدم عينًا واحدة. ترفع شخصًا إلى مصاف القديسين العظماء أو تضعه في الدرك الأسفل من الانحطاط بقعر الهاوية. ولم يختلف الأمر كثيرًا مع انتشار وسائل الإعلام والسوشيال ميديا. فالعقل ينقسم بصورة حادة بين شطرين، أبيض أو أسود، ملاك أو شيطان، قديس أم إبليس. مع تجاهُل تام لتعدد الألوان في الحياة الطبيعية وعدم وجود خير كامل أو شر كامل. هذا القصور في التفكير صنع هذا الانشطار الغريب، في النظر إلى الأشياء أو التعامل مع الأشخاص، وترتب على هذا الفعل إطلاق الألقاب الجبارة، مثل: الزعيم والملهم ومعلم الأجيال وذهبي الفم... إلى ما لا نهاية له من ألقاب رنانة. وهذه الأحادية المصمتة أو الثنائية الحادة بعيدة تمامًا عن المذهب الإنساني الذي يضع الإنسان في حالته البشرية، فلا أحد كامل كل الكمال، ولا أحد ناقص كل النقص. ولكل إنسان إيجابيات وسلبيات. وفي النطاق والمنطلق الديني المسيحي الذي نعالج من خلاله شخصية البابا شنودة الثالث، في هذا الكتاب، يقول الإنجيل: "الجميع زاغوا وفسدوا معًا ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحد" إصحاح 3. من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية. والكل يردد قول السيد المسيح "من كان

منكم بلا خطية فليرمها أولًا بحجر" إنجيل يوحنا إصحاح 8 آية 7. كما يتحدث المسيحيون في كل مكان على أن الكتاب المقدس ذكر خطايا الأنبياء، وأظهرت التوراة الأنبياء على أنهم رجال الله القديسون الأمناء إلى النفس الأخير، ولكن لم يجردهم الكتاب من طبيعتهم البشرية، لذلك ذكر الخطايا التي سقطوا فيها، مؤكدًا أنهم تحت الآلام مثلنا وغير معصومين من الخطأ، لأن العصمة من الخطأ تتعلق بكتابتهم للأسفار فقط، ولا تنسحب لحياتهم الشخصية. كما أن ذلك يعطي الإنسان رجاء للتوبة والعودة عن طريق المعاصي.

ومع ذلك تجد القارئ المسيحي حاليًا يقرأ سير قديسين مبررين من كل خطيئة، وهو أمر ينفي طبيعة الأشياء. وتقديس الأشخاص أصبح أمرًا شبه يقيني في نفوس كثيرين، بل الأغلبية، فأصبحت ألقاب السيد المسيح -وهو المنزّه وحده بلا خطيئة وقالها علنية "من منكم يبكتني على خطيئة" إنجيل يوحنا 8: 46- تُنزَع عنه ليتم إطلاقها على البطريرك، فيسبق لقب "المعظم" اسم البابا شنودة الثالث و"الراعي الصالح" و"العظيم" و"قاضي المسكونة"، وكلها ألقاب ضخمة على إنسان مثلنا، له إيجابيات أو سلبيات. وهذه الألقاب والترانيم والمدائح التي تنظم له في حياته تسهل مهمة اعتباره قديسًا منزهًا بعد وفاته، بل وتصدر عنه الآن عشرات الكتب التي تسجل خوارق ومعجزات تُنسَب له. والخطير في الأمر أن هذه العملقة في صناعة الفرد المقدس تغمر بالتالي تعاليمه. فيصعب الرد على أقواله أو قراراته، ويتحول من رجل في منصب إلى ممثل للكنيسة كلها، ثم

ممثل للمسيحية، ويصبح هو المسيحية ذاتها. ومع التماهي مع السلطة السياسية يصير المعبر السياسي الأول عن كل الأقباط. الأمر الذي يعقد القضية ويجعل التعامل مع الشخص محفوفًا بالمخاطر لمكانته الروحية ودوره التعليمي وخطابه السياسي، ثم خوارقه العجائبية. فكيف يمكن لبشر أن يحتل كل هذه المواقع المتضاربة ويخرج منها سليمًا بلا تناقض، عادلًا بلا ضحايا؟

من هنا يهدف هذا الكتاب إلى تقديم قراءة مختلفة في شخصية البابا شنودة، فاتحًا المجال للاستماع إلى ضحايا بريق هذا الرجل وكاريزماته الطاغية، لنرى وجوهًا أخرى أو عدة وجوه فرضتها عليه سياقاته المتعددة بين الروحي والسياسي. وحتى لا نقع فيما نرفضه سوف نبدأ الكتاب بذكر إنجازات وإيجابيات الرجل، كما سجلها محبُوه، وهم كثيرون. ثم نترك المجال لأصوات أخرى حُجِبَت عمدًا وتم تجاهلها والتعتيم عليها، ورميها بكل الشرور لصالح النجم الأوحد، الذي يمتلك في نظرهم الدين والحكمة والثقافة والشعر والسياسة وخفة الدم والنكتة، وأيضًا صنع المعجزات.

الفصل الأول

الممنوع في حياة البابا شنودة الثالث

يحظى البابا شنودة الثالث بمكانة متميزة بين الأقباط، حيث تجاوز الأمر المكانة الدينية لرفعه إلى مصافي القديسين الأبطال، بل وصانعي المعجزات. وهذه المكانة القدسية ظهرت بوضوح يوم وفاته، حيث مات 5 من شباب الأقباط دهسًا تحت الأقدام لرؤية عملية دفن البابا في دير الأنبا بيشوي بوادي النطرون. الحدث الذي توّج جنازته الحاشدة والذي تكرر من قبل في جنازة الزعيم جمال عبد الناصر والمطرب عبد الحليم حافظ. الأمر الذي يدخله في زمرة أصحاب الكاريزما الطاغية، الذين يسيطرون على الملايين من خلال مواهبهم في قيادة القطعان الشعبية، فقد امتلك البابا شنودة ناصية الخطابة والوعظ والكتابة الصحفية وكتابة الشعر، وغيرها من مواهب الذهن الحاضر، إلى جانب خفة الدم وروح المرح، ومن خلال هذه الأدوات صنع أسطورته، وصار شمسًا يصعب التحديق في أفعالها أو البحث في ظلال أعمالها ورؤية سلبياتها، فالبابا إنسان له إيجابيات وله جوانب أخرى تستحق أن نلقي الضوء عليها. خصوصًا أنه ومن خلال سلطته الروحية النافذة أصبح في وضع لا يُرَد له كلمة، واعتبره كثيرون هو الكنيسة كلها، والمسيحية ذاتها. وغطى ذلك على كل تاريخ البابا الذي منذ أن كان يحمل اسم "نظير جيد" ويكتب في مجلة "مدارس الأحد"، عادى البابا يوساب الثاني البطريرك الـ115، وهاجمه بقسوة شديدة، وبعد أن أصبح الأنبا شنودة أسقف التعليم، تحول إلى الهجوم على قداسة البابا كيرلس السادس، الذي رسَّمه أسقفًا وتغاضى عن تاريخه في مهاجمة البطريرك السابق، فكانت النتيجة الهجوم

على الرجل القديس، لدرجة أن تلاميذ الأنبا شنودة نظّموا مظاهرة وأخذوا يهتفون "يسقط البابا الجاهل"، فقال البابا كيرلس واصفًا تعاليم شنودة بأنها "أثمرت قلة الأدب"، ووصف مجلة "الكرازة" التي خصصت صفحاتها لمحاربة كيرلس بأن الاسم الذي يليق بها هو مجلة "القذارة". كما اشتد الهجوم على البابا كيرلس بعد رسامته للأنبا أغريغوريوس أسقفًا للبحث العلمي والدراسات العليا، لأن الأنبا شنودة اعتبر أن هذا يُعد اعتداء على أسقفيته والأخذ من تخصصه. الأمر الذي تكشف عنه السيرة الذاتية للأنبا أغريغوريوس، والتي تقع في ثلاثة أجزاء وتضم أكثر من 1600 صفحة من الحجم الكبير، وهي غنية بالوثائق والأدلة والشهود على الوقائع الواردة فيها.

من التلمذة للعداوة

"أستاذي العزيز الدكتور وهيب عطا الله، إنكم أكبر من الدكتوراه، وإن هذه الدرجة ما هي إلا شهادة لناحية من نواحي قدرتكم العقلية.. هذه القدرة أو هذه الموهبة التي هي أسبق بكثير من هذه الدراسة، هي واحدة من مواهب أخرى كثيرة حباكم بها الله. أليس من الأحق أن أهنئ جامعة مانشستر لأن وهيب عطا الله -أنبا غريغوريوس فيما بعد- كان طالبًا من طلاب علمها في يوم ما؟!".

هكذا كان يخاطب الراهب "أنطونيوس السرياني" قداسة البابا شنودة الثالث فيما بعد (أستاذه وهيب أو الأنبا غريغوريوس). الأمر الذي يظهر بوضوح عمق العلاقة التي كانت

بين القطبين الكبيرين، إذ مرت هذه العلاقة بارتفاعات وانخفاضات في منحنيات الحياة. منحنيات هذه المذكرات أوضحت الشرخ في العلاقة بين الرجل وتلميذه، الأمر الذي كشفت عنه مذكرات الأنبا غريغوريوس وأعدّها الإكليريكي الأمين "منير عطية". الذي كرّس حياته للحفاظ على كتابات وتراث الأنبا غريغوريوس.

المذكرات أوضحت أن الشرخ في العلاقة بين الرجل وتلميذه بدأ عندما قرر البابا كيرلس السادس رسامة الراهب باخوم أسقفًا باسم الأنبا غريغوريوس، في 10 مايو عام 1967، على معهد الدراسات القبطية. الأمر الذي اعتبره الأنبا شنودة اعتداء على اختصاصاته.

هنا يروي الأنبا غريغوريوس تفاصيل تلك الليلة، فيقول: قد جاءني عدد من الإكليريكيين.. فيبدو أنه انزعج جدًا لرسامتي، واعتبر هذه الرسامة اعتداء على اختصاصاته. وأبلغوني بأن الجو مكفهر جدًا وأن اتصالات تليفونية لا تنقطع بالأنبا شنودة. وأن الأنبا شنودة يريدك أن تترك البطريركية. ثم عادوا يقولون إنه يريد مقابلتك للتفاهم. وكانوا يتكلمون معي بإلحاح شديد جدًا، بصورة تجاوزت الحدود، وكان أكثرهم إلحاحًا وصخبًا الدكتور إميل ماهر.

لقد كان يتكلم بعصبية شديدة وصوت مرتفع، وسخط عظيم على البطريركية. وبغضب مؤلم مع ثورة عارمة. وأخذ يتكلم كلامًا كثيرًا عن هذه الرسامة وعدم قانونيتها. وعن قصد

البابا في أن يفرق بين الأنبا شنودة وبيني، وعن تفتيت الوحدة بهجة. وكان عصبيًا إلى أقصى حد، ويتكلم كثيرًا ثم يعيد ما قال في غضب شديد وحماسة وصوت عالٍ وثورة وتشكيك في عمل الروح القدس. وقد أزعجني جدًا حديثه، وكدت أتمزق وأنفجر، ووضعت يدي على رأسي، وسمح الدكتور إميل لنفسه أن يقول: إن الأنبا شنودة يزمع أن يأتي بنفسه ويحرم الرسامة. وكرر هذا التعبير مرارًا. ولم يكن الإخوة الآخرون صامتين، مما اضطرني تحت ثقل الكلمات الموجعة والتعليقات المزعجة، أن أقول بأسلوب مؤدب "من فضلكم اتركوني، كفى كلامًا".

فصمتوا إلى حين، وعادوا يلحون على أن أقوم وأذهب معهم للالتقاء بالأنبا شنودة، وعاد هو إلى صوته العالي وصخبه، وأنا في أثناء هذا كله مطرق، ويداي على رأسي الذي يكاد أن ينفجر، وفي نفس الوقت أصلي في صمت، واستغيث بالرب أن يتفضل فيغيثني في هذه الأزمة، ويعينني على التصرف اللائق. وأخيرًا قلت لهم بصوت واضح النبرات وبغير تردد "أنا سوف لا أنزل معكم. سوف لا أترك البطريركية". فصدموا جدًا، وكأن لطمة قوية وقعت على وجوههم.

فتركوني واتجهوا إلى الأنبا شنودة، وبعد قليل عادوا إلى مرة أخرى يكررون ما قالوه، أولًا من أن رغبة الأنبا شنودة هي أن نلتقي في الأنبا رويس، وأنهم مستعدون أن يعودوا بي بعد هذا اللقاء مرة أخرى إلى البطريركية. وقال هذا الأخ من بين ما قال هذه المرة، إن الأنبا شنودة كتب برقية مستعجلة بعد الساعة الثانية عشرة مساء قال فيها لقداسة البابا كيرلس السادس:

"رسامة أسقفين على إيبارشية واحدة تتعارض مع قوانين الكنيسة. ربنا موجود". ولما سمعت هذا الكلام قلت: أحقًا هذا؟! قال: نعم. قلت: حسنًا. لتكن إرادة الله.

وتركتهم ودخلت حجرتي، وعادوا يطرقون على بابي مرة أخرى، فخرجت إليهم، وإذا بهم يطلبون إلى إذا كنت لا أوافق على أن أنزل معهم، فلا أقل من أن أكلم الأنبا شنودة تليفونيًا، وطلبوا الأنبا شنودة من سكرتارية البطريركية بالدور الثاني، ولم يتنبهوا إلى أن هناك آخرين موجودون، شعرت بهم جميعًا حولي بعد أن فرغت من المكالمة التليفونية.

كان حديث الأنبا شنودة واضحًا في أنه فهم هذه الرسامة على أنها اعتداء على اختصاصاته، وقال الأنبا شنودة: إن قوانين الكنيسة تمنع رسامة أسقفين على إيبارشية واحدة. قلت: طبعًا مفهوم. قال: أنت تعرف أن من الوجهة الشخصية أنا لا أمانع أن أترك لك كل شيء، وأنا فعلًا كنت تاركًا لك كل شيء، ولكنني أتكلم من وجهة الوضع القانوني. وأخذ الأنبا شنودة يكرر نفس المعنى في أساليب كثيرة متنوعة.

قلت: يا أنبا شنودة اطمئن كل الطمأنينة؛ لا يمكنني أبدًا أن أعتدي على اختصاصاتك، وأنا أُجبِرت على هذه الرسامة، ولم يكن هذا الموضوع يخطر ببالي. إن البابا قبض على بعد أن جذبني من بين الكهنة بشدة، وتمنّعت كثيرًا ولكني لم أفلح. حاولت الهروب من الكنيسة ولم أنجح. والآن لقد رسمني ونطق النطق الكنسي الرسولي، واشترك معه المطارنة. ولكن صدقني،

لا يمكن أن أعتدي على اختصاصاتك، ولا أقبل ذلك بتاتًا. قال الأنبا شنودة: لكن البابا رسمك على معهد الدراسات القبطية. قلت: هذا حصل فعلًا، ولكني ما قبلت هذا ولا أقبله، ولقد تكلمت مع البابا في هذا الأمر طويلًا، وعرّفته أن هذا الوضع غير ممكن، وأن معهد الدراسات القبطية هو من اختصاصات الأنبا شنودة، وقد وافق البابا على تغيير النطق على الدراسات العليا والثقافة القبطية. ومن جهتي سأقابل البابا مرة أخرى وأكلمه مرة أخرى في هذا، وسأطلب حضورك للرسامة.

وعاد الأنبا شنودة يقول: لا بد أن يكون الوضع واضحًا منذ الابتداء، ولا بد أن يكون واضحًا أيضًا في التقليد. ألم يكتب التقليد؟ قلت: طبعًا لا. قال: لا بد من الانتباه إلى هذا.

وقال الأنبا شنودة فيما قال: ضروري أن ينص في التقليد على اختصاصاتك.

قلت: هذا سيحدث إن شاء الله، ولكني أريد أن أؤكد لك أنني حتى لو رُسِّمت بهذا النطق فالمهم هو التنفيذ. لن أنفذ إلا ما أسند إلي من أعمال في حدود ضميري. ولن يقبل ضميري أن أعتدي على اختصاصاتك، أو أي اختصاصات أخرى لغيري.

هذه الرسامة إذًا كانت إرهاصات للمنحنى الذي سوف تأخذه العلاقة بين القطبين، وخصوصًا بعد تنصيب الأنبا شنودة بطريركًا عام 1971.

الأنبا غريغوريوس كتب أيضًا في يومياته بتاريخ 6 نوفمبر 1973 ما يلي مقابلة الأستاذ ملاك ميخائيل مقابلة طويلة

استغرقت إلى ما بعد الساعة 12 مساء، في موضوع العلاقات بيني وبين البابا شنودة، مما نقله إلى الأستاذ ملاك أن البابا يروي له أنني لا أعطيه اعتباره واحترامه كبطريرك. وهذا أمر عجيب، فإنني أُقبِّل يده، ثم أنني دائمًا أخاطبه "قداستكم".. ولا أعلم ماذا يريد مني، ثم يقول له إنني أقرأ في الصحف أنه يصلي في الكنائس ولا يستأذنني. قلت واعجباه! إنه يصنع ما كان ينتقده على البابا كيرلس! ومع ذلك فإنه عندما صار بطريركًا كنت دائمًا أقول لمن يدعوني: استأذِنوا البابا أولًا.. لكنني على الرغم من ذلك أتعجب أن يثير الأنبا شنودة هذه الأمور التي كان يثيرها وينتقدها في عهد البابا كيرلس، وكان يعاني منها ويشكو منها.

الأنبا غريغوريوس قرر ترك وكالة الكلية الإكليريكية وعدم التدريس بها. وفي يوم السبت 15 ديسمبر 1973 كتب في يومياته:

"نحو الساعة الواحدة بعد الظهر حضر لزيارتي الأنبا يؤانس أسقف الغربية، والأنبا أغاثون أسقف عام، والأنبا تيموثوس، حضروا كما قالوا منتدبين عن البابا شنودة، ليقنعوني بالتدريس بالإكليريكية، وكانت إجابتي واضحة وسريعة: إنني لا أريد أن أذكر الإكليريكية؛ علاقتي بالإكليريكية انتهت. لست أرى أن هناك إكليريكية. لقد قضى الأنبا شنودة عليها". سيأتي وقت يكون الأنبا شنودة هو المدرس الوحيد بالإكليريكية. إن كلام الأنبا شنودة عني ونحوي وإليّ.. كلام حلو، لكنه كلام.. لقد شبعنا الكلام. شبيه بالكلام الذي يقوله يوم الجمعة.

إنه رجل يجيد الكلام وقد أرسل للبابا شنودة خطابًا صريحًا بتاريخ 28 ديسمبر 1973 مما جاء فيه:

"إن قداستكم تعلمون جيدًا أن ليست بيننا تركة لنختصم عليها. وتعلمون أن أساس الخلاف بيننا هو سياستكم نحو الإكليريكية التي صارت غامضة أمام عيني، وأخذ غموضها يزداد يومًا بعد آخر، حتى أمست ظلامًا دامسًا أثار شكوكي وقلقي، وقد أفضت بهذا إلى شقيقكم القس بطرس على انفراد، وطلبت إليه أن يتحدث إليكم في هذا الخصوص، وكان ذلك من بضعة أشهر قبل تقديم استقالتي من وكالة الكلّية في 6 يناير 1973. ولم يعد إلى ليفيدني بنتيجة حديثه معكم منذ سنة ونصف تقريبًا. إلى أن جاءني أخيرًا في الأسبوع الماضي ليعرض تدخله. فلما ذكّرته بالمهمة التي كنت قد كلفته بها منذ سنة ونصف أبدى خجلًا ثم قال: لقد تحدثت إلى قداسة البابا فعلًا، ولكنه أجابني قائلًا: اترك لي هذا الموضوع. ولما قال لي هذا لم أعد أكلمه فيه".

وبهذا المعنى تقريبًا أجابني الذين كانوا يتطوعون للتدخل بيننا. ولما كان البعض يسألكم عما ستعملونه لإصلاح الأوضاع في الإكليريكية كانت إجابتكم: أنا أعرف ما سأصنع. إن في ذهني ما سوف أصنعه.

قلت إذًا: هناك سياسة مكتومة أو متكتمة. وازداد يقيني من هذه السياسة المرسومة والمتكتمة بعد رفضكم لكل اقتراح شفهي أو مكتوب عرضته عليكم في مناسبات متعددة. وإجابتكم

المقتضبة التي كانت تحمل رفضًا حازمًا ثم صدًّا متواليًا، كلما كلمتكم في شأن من شؤون الإكليريكية، وكانت الإجابات واضحة في كل مرة في عينيكم، وعلى قسمات وجهكم، أني أعرف طريقي جيدًا.. لست أريد اقتراحات.. إنها خيالات.. الإكليريكية تخصني وحدي ولا تخص أحدًا آخر.. أنا المدير المسؤول.. وأنا البطريرك وأنا أسقف الإكليريكية.. ليس لأحد غيري شأن فيها.. هوّن على نفسك.. فأنا أعرف ما أنا صانعه. وما سوف أصنعه.

ومرت الأيام ولم تعد سياستكم نحو الإكليريكية غامضة في نظري، كما عبَّرت في بادئ الأمر حتى لا أخطئ التعبير، ولم يعد في الأمر شكوك، ولا حتى يقين تشوبه ظنون أو شبهات، بل أمسى الموقف واضحًا، ليس لي وحدي، فاطمأن ضميري، وأيقنت أنني لم أقع في خطيئة الظن الإثم، وصبرت وأنا على الجمر أتلظّى، وقلبي يحترق احتراقًا في كل لحظة، حتى صرت ألهج بقول النبي في المزمور: "عظامي مثل وقيد قد يبست ملفوح كالشعب ويابس قلبي.. من صوت تنهدي لصق عظمي بلحمي.. سهدت وصرت كعصفور منفرد على السطح".

ويضيف أنبا غريغوريوس: أسمع أنكم ترددون أنكم تحبونني، وتشفقون عليّ، وعلى صحتي، وتصنعون معي كل خير. ومن آيات هذا الخير أنكم أعددتم لي مسكنًا بالطابق الأرضي إشفاقًا على من صعود السلم، وأنكم قد أنفقتم الكثير على هذا المسكن.

لقد سمعت هذا القول مرارًا، سمعته كثيرًا في عدد من المناسبات. ولقد ذكرتموه قداستكم لعدد من الناس، حتى خجلت من نفسي، وخجلت من مرضي وضعفي الذي أوصلني إلى هذا الوضع الذي يُرثَى له.

ولقد كنت أتمنى لكم أن جميلكم هذا يظل في الخفية مستورًا.

ولقد ذكرني ترديد فضلكم على الناس بما صنعتموه لي من جميل في أمر ذلك السكن الأرضي، والذي تفضل أحد الخيرين في صمت. فذكرتموه لكثيرين أكثر عددًا عن فضلكم على بنزولكم من الدير للمرة الأولى بعد خمسة أشهر، لتتحدثوا إلى البابا الراحل كيرلس السادس في أمر حاجة الإكليريكية إليّ، وإرجاء رسامتي أسقفًا على ديروط.

لقد تكلم معي كثيرون من الكبار والصغار في هذا الأمر، وهم -نقلًا عنكم- يقارنون بين موقفي منكم وموقفكم مني.

ويتابع: لقد أصبحت على رأس الخونة، لأنني -على حد تعبيركم الذي نقله إلى أحد شيوخ المطارنة- قد تواطأت مع البابا الراحل. وعلى حد قولكم في بعض نشراتكم المطبوعة بالمطبعة والتي وزعها على مستوى الجمهورية أصدقاؤكم أو من كانوا يسمون أنفسهم بأصدقاء الكلية الإكليريكية "أنني كنت مخلب القط" في مؤامرة البابا الراحل ضدكم. وأنني خنتكم خيانة يهوذا لسيده المسيح، وقتلتكم كما قتل قابيل الشرير هابيل الصديق.

ولذلك عدتم يا أبي من الدير بعد ثمانية أشهر من اعتكافكم عودة رجل عرف طريقه جيدًا، وعرف من هم المخلصون ومن هم الخونة، وبدأ يتضح نفوذكم كأسقف للإكليريكية بالمعنى الحقيقي الكامل.

لقد كنتم زمانًا تصرحون بأن "الإكليريكية ليست هي رسالتي"، أما بعد عودتكم هذه المرة بعد ثمانية أشهر اعتكاف، فقد صارت تصريحاتكم قولًا وعملًا "أنا أسقف الإكليريكية".

وبدأت هذه الإكليريكية تظهر في نظركم سوداء وقبيحة، ولذلك يجب تدميرها والغاؤها، وإنشاء إكليريكية أخرى بديلًا عنها، وعلى طريقتكم "الهادئة الوديعة" بدأ إهمالكم لهذه الإكليريكية أكثر وضوحًا إلى أن تموت تدريجيًا، بعد أن ماتت أولًا في قلب قداستكم.

أما أولئك الأساتذة والمدرسون الذين "لم يثبتوا معك في تجاربك" أو على حد تعبيركم المستقى من كلام الرسول بولس "... الجميع تركوني.. لا يحسب عليهم" 2. تي 16:4. فقد حلت عليهم النقمة وحق بهم الانتقام.

"مقت ذلك الجيل. وقلت هم شعب ضال قلبهم، وهم لم يعرفوا سبلي: فأقسمت في غضبي لا يدخلون راحتي" مزمور 94: 10، 11. إلا اثنان منهم فقط هما يوشع بن نون، وكالب بن يفنة.

فمنهم من أخرجتم بأمر بابوي بحجة أو بأخرى، ومنهم من حرمتوهم بإصرار وتعمُّد من مستحقاتهم، حتى يضطروا إلى أن

يخرجوا من كثرة ما يعانون من ضغط، ومنهم من أهملتموهم حتى يخرجوا من تلقاء ذواتهم، تحت إغراء القميص الملوَّن، ليرسموا كهنة، ومنهم من أصابهم اليأس والقنوط، فإما تركوا.. وإما سيتركون.

أنت يا أبي لا تريد من أساتذة الإكليريكية ومدرسيها أن يكونوا رجال الله أو رجال علم.. إنما تريدهم أن يكونوا رجالاتك، رجالاتك أنت، يحيطون بك، ويذودون عنك ويحمونك، ولذلك لا تترك مناسبة حتى توبخهم وتعنِّفهم على موقف من الانتخابات البطريركية الأخيرة، وتغيظهم بموقف "أولاد أبونا متَّى"، ولم تستطع أن تنسى لهم هذه الخطيئة، على الرغم من فوائد النسيان، حتى في الحفل العائلي الأول الذي جمعكم بهم بعد تنصيبكم بطريركًا.

نشر الأنبا غريغوريوس مقالًا في أكتوبر 1974 بعنوان "خطاب مفتوح إلى المجلس الملي العام" أسف فيه على رسامة أعضاء المجلس من المدنيين شمامسة، لأن هذه الرسامة تنطوي على فهم ناقص لدور العلمانيين أو المدنيين الصريح في كنيستنا، وتجاهل لأهميتهم في تكوين الكنيسة والشعب. وغضب البابا شنودة جدًا، واعتبر أنه المقصود بكلمة "فهم ناقص"، لأنه هو الذي قام بالرسامة. وصدرت قرارات تمنع الأنبا غريغوريوس من الصلاة والوعظ في الكنائس إلا بإذن البابا. وقد أخبر كثيرون الأنبا غريغوريوس أن البابا يريد الاعتذار عن المقال. في حين أن أسقف البحث رأى أن الاعتذار يثبت الإهانة ولا ينفيها. وتوالت القرارات حيث منع من الصلاة أيضًا في الكنيسة الأثرية

بالأنبارويس ومن دير أبو مقار بوادي النطرون. ولم تقدم له الدعوة لاجتماع قدامى خدام التربية الكنسية.

وقد فشلت كل مساعي الصلح التي قادها عدد من الأساقفة والأراخنة. وتكشف المذكرات أن أخبار الخلاف وصلت لسفراء عدد من الدول مثل سفراء كندا وإيطاليا وروما، الذين سألوا الوفدي الكبير أمين فخري عبد النور عن سبب الخلاف. الذي تحوَّل إلى قضية رأي عام، وازداد الضغط وأغلقت جميع الأبواب والشبابيك في وجه الأنبا غريغوريوس، وتلقى الكثير من الضغوط والتهديد والوعيد والإذلال حتى أصيب بأزمات قلبية، ولم يتم الصلح بين الأسقف والبابا إلا في فبراير 1977.

ولم تكن مصالحة قاطعة. إذ تجددت الخلافات، وخصوصًا بعد أن اختار الرئيس السادات الأنبا غريغوريوس ضمن اللجنة الخماسية لإدارة الكنيسة. عندما قرر عزل البابا شنودة في عام 1981، حيث غضب البابا على الأساقفة الخمسة، وعندما استشهد الأنبا صموئيل أسقف الخدمات الاجتماعية مع الرئيس السادات في حادث المنصة الشهير، أطلق البابا شنودة نكتة شهيرة، كان لا يمل من تكرارها، تقول "السادات اتخرم عشان كده أخد صماويل معاه".

ومع متَّى المسكين

التقى نظير جيد مع الأب متَّى المسكين لأول مرة في عام 1951، وتتلمذ له، حيث بدأ يتفتح ذهنه للأمور الروحية واللاهوتية العميقة، فكتب كتاب "انطلاق الروح"، كانعكاس

للحديث الروحي مع الأب متَّى المسكين. الكتاب يدور في شكل حوار مع تلميذ وشيخ، فالتلميذ هو نظير، والشيخ هو الأب متَّى، وكما بدأ الأمر بصداقة وتلمذة بين شنودة وأغريغوريوس، صارت بينهما محبة وثقة متبادلة تفوق أي تصور، لدرجة أن أبونا متَّى سمح له أن يكتب مقدمة كتابه الأول "حياة الصلاة الأرثوذكسية". وكللت تلك الصداقة بأن ترهَّب نظير جيد كتلميذ لأبينا متَّى المسكين في يوليو عام 1954. بعد الرهبنة حمل نظير اسم أبينا أنطونيوس السرياني، وكان أقرب الناس جميعًا وأحبهم لأبينا متى المسكين، حيث كانت المحبة متبادلة بينهما بصورة فريدة فائقة للتصور.

بعد وفاة البابا الأنبا يوساب في نوفمبر عام 1956 ترشَّح للبطريركية ثلاثة رهبان، هم بالترتيب أبونا متَّى المسكين وأبونا مكاري السرياني وأبونا أنطونيوس السرياني، وهنا حدث الانقسام وتغيرت كل الأمور تمامًا. انقلب أبونا أنطونيوس على الأب متَّى المسكين، فقد تحوَّل لمنافس له. ولذلك تركه في دير الأنبا صموئيل وعاد لدير السريان، حيث بدأ يحاربه بصورة فجَّة جدًّا بلا هوادة حتى نهاية حياتهما. فحتى بعد نياحة أبينا متَّى المسكين لم يتوقف الأنبا شنودة عن محاربة أبينا متَّى.

والمشكلات الرئيسية في هذه الحرب هي أولًا أن جمع الأنبا شنودة حوله تلاميذ ورهبنهم لينافس بهم أباه الروحي. وبينما تلاميذ أبينا متَّى كانت مجموعة منتقاة جدًا من شخصيات روحية ممتازة، اهتم أبونا أنطونيوس بجمع حوله أكبر عدد من شخصيات بغض النظر عمن هم. هذه الشخصيات كان بينها

نفوس ضعيفة جدًا كل همها هو التحزُّب والشللية والسيطرة وإظهار القوة، وبعد أن صار بطريركًا كان كل هدفهم الاستفادة بوجودهم بجوار البابا اجتماعيًا وماليًا. بالوقت تحولوا إلى حرس حديدي وأبواق دعاية فارغة من الروحانية تمامًا حول الأنبا شنودة، أضرُّوا به جدًا وكانوا يدفعونه أكثر للعداوة بتصرفاتهم الشريرة.

ثم انتقلت الحرب إلى كتب أبينا متى، حيث كان يشعر الأنبا شنودة بالغيرة الشديدة منها، ويرى فيها منافسًا قويًا. وبينما الأنبا شنودة كان فارغًا تمامًا معرفيًا وروحيًا، بعد أن كرَّس جهده ووقته للصراع والحرب، وتوقف تمامًا عن القراءة في وقت مبكر، لم يُتَح له فرصة الدراسة لبلوغ الحد الأدنى لمستوى البطريرك. وبدأ الأنبا شنودة ينشر كتبه التي تعكس خفة ظله وسهولة أسلوبه المُعبِّر السهل، الذي يغلب عليه العواطف أكثر من العلم والمعرفة، اللذين كان يفتقر إليهما جدًا، وخصوصًا متابعة التطور المذهل والحوارات اللاهوتية المتقدمة التي ظهرت في العالم، منذ نهاية القرن الـ19. فاعتبر كل ذلك ليس من الأرثوذكسية، بينما توقفت معلوماته عند فكر العصور الوسطى الأوربية، التي كانت قد شاعت في الكنيسة القبطية منذ بدء القرن العشرين. فكُتبه هي التفريغ لعظاته المنطوقة، فغاب عنها المنهج الأكاديمي، لذلك خلت من المراجع أو التوثيق، واقتصرت على التأملات. فمثلًا تجده يُصدر كتبًا بعنوان "تأملات في سفر نشيد الأنشاد" و"تأملات في الميلاد" و"تأملات في حياة الأنبا أنطونيوس". في الوقت الذي ظهرت كتب الأب متَّى بعمق ومنهج

وأكاديمية، فتجده يتعرَّض لأسفار الكتاب المقدس بعناوين واضحة ودالة، مثل: "شرح وتفسير المزامير" و"شرح وتفسير أعمال الرسل"، وغيرهما. بل أن نبذات الأب متى الصغيرة الوريقات أكثر عمقًا من أكبر كتب البابا، والتي خصصت مطبعة الأنبا رويس بالكاتدرائية لطباعتها فقط، وتوزيعها وفرضها على الاجتماعات كهدايا مجانية أو بأسعار بسيطة للغاية، لضمان الانتشار، وعندما حاول البابا أن يهاجم كتب أبينا متَّى سقط في الكثير من المشكلات اللاهوتية الضخمة جدًا، التي أظهرته كهرطوقي بشكل رسمي، بينما هو فعلًا يجهل اللاهوت تمامًا، فلم يدرسه في أي وقت سابق. بذلك اصطدم مع كل معلمي الكنيسة في محاولاته لرفض المعرفة، طبقًا للتعليم الآبائي الذي فرض نفسه على العالم المسيحي في القرن العشرين.

الأنبا شنودة أساء جدًا لنفسه، وعرَّض نفسه لخطر الاتهام بالهرطقة بسبب توقفه المعرفي ورفضه لكل تعليم يخالف معرفته الضعيفة جدًا. بالأسف كل ذلك بدأ بسبب العداء الذي أغلق عينيه، فبدأ محاولاته الساذجة المرفوضة للهجوم. ويظهر ذلك بوضوح عندما تصدى البابا لعقيدة لاهوتية راسخة في الكنيسة وصلواتها، وهي المعروفة بـ"تأليه الإنسان"، وعندما عجز عن الرد على الأب متى استشهد في كتابه "بدع حديثة" بالدين الإسلامي، وقال إن هذه العقيدة تُعد شِركًا بالله في الإسلام!

عداوات بلا حصر

لم يكتفِ البابا شنودة بعداواته وحروبه المعلنة لقمم رجال الكهنوت في عصره، بل امتدت حروبه لتشمل عددًا كبيرًا من الأساقفة والقساوسة والعاديين من المسيحيين، من ذلك عداواته للمؤرخة الكنسية إيريس حبيب المصري، التي نقَّحت كتاب السنكسار، وكانت تعد من تلاميذ الأب متَّى المسكين، وأيضًا الدكتور جورج حبيب بباوي أستاذ اللاهوت في جامعة أنديانا الأمريكية، والذي كتبت عنه صحف العالم "إن مصر قدَّمت للعالم اثنين من أعظم اللاهوتيين البابا أثناسيوس الرسولي واضع قانون الإيمان المسيحي، وهو البطرك العشرون للكنيسة، والدكتور جورج بباوي".

كما أعلن عداوته للدكتور سليمان نسيم، والدكتور ميلاد حنا، والمفكر جمال أسعد، والمفكر كمال زاخر. وحاكَم أساقفة بدون تهم مثل الأنبا متياس أسقف المحلة، وظلم أيضًا القديس الأنبا مينا مطران جرجا، الذي أخذ منه جزءًا من إبرشيته، ليرسم عليها الأسقف الأنبا كيرلس. كما ظلم الأنبا أندرواس أسقف دمياط، لأنه كان غير موافق على ترشح الأنبا شنودة للبطريركية. وشلح عددًا كبيرًا من الكهنة، منهم الدكتور القمص أثناسيوس حنين المتخصص في علم الآباء من جامعة اليونان. وغيرهم الكثير. وتبقى قسوته مع القس إبراهيم عبد السيد، الذي منع الكنائس من الصلاة على جثمانه، كعقاب فريد وغريب ويخلو من الإنسانية.

كل القسوة.. كيف يمكن لرجل يعظ كثيرًا عن المحبة، وله كتاب بعنوان "المحبة قمة الفضائل" أن يعاقب ميتًا بعدم الصلاة عليه؟! وأين روح التسامح المسيحي التي يتباهى بها المسيحيون في العالم قاطبة؟!

هذا ما فعله البابا شنودة مع القس الراحل إبراهيم عبد السيد، الذي وقف عن العمل الكنسي، لأنه كان يكتب في الصحف مطالبًا بالإصلاح في الكنيسة، ووصل الأمر أن البابا أصدر قرارًا بعدم الصلاة عليه ميتًا، فظل أهله لا يجدون كنيسة يصلون عليه فيها ليدفنوه، حتى عثروا على واحدة قرب المدافن بمصر الجديدة، لم يكن قد وصلها القرار، فصلُّوا عليه فيها ودُفِن.

وتروي ابنته سوسن إبراهيم عبد السيد أزمته مع القائمين على الكنيسة، قائلة: "كان والدي من القلائل المعروف عنهم سعة أفقهم في الكنيسة، ويكفي ميراثه الفكري الذي خلَّفه للأجيال القادمة"، مضيفة أن والدها لم يتعرَّض لمحاكمة، لأن الكنيسة لم تجد شيئًا يدينه تقدمه به للمحاكمة، وإنما بعث الأنبا بيشوي رسالة عام 1992 له، نصها "أنت في إجازة مفتوحة"، وحتى آخر شهر له قبل وفاته كان يحصل على "مرتبه من الكنيسة"، ومعي صورة الشيكات.

وبمزيد من التفاصيل تقول سوسن: "لقد استُدعِي أبي من قِبَل الأنبا بيشوي في يوليو سنة 1992 إلى الكاتدرائية المرقسية بالعباسية، وأبلغ شفهيًا بأنه في إجازة مفتوحة، دون إبداء

أسباب، ودون إجراء أي تحقيقات معه، ودون تحديد لمدة هذه الإجازة. ولقد انتاب أبي -رحمه الله- ذهولًا كاملًا، حتى أنه عاد إلى المنزل دون أن ينطق بكلمة واحدة. وبعد شهور من الصدمة وملازمته الفراش لمرضه جراء ما حدث، تجرأتُ وفتحت معه هذا الموضوع لمعرفة الأسباب.

دُهِشت حينما أخبرني بأنه لا يدري ما حدث أو ما فعله استوجب هذا العقاب. وكان حديثي معه في أواخر شهر ديسمبر من نفس العام، ومع اقتراب عيد الميلاد المجيد عزَّ على ألا يقيم أبي صلاة قداس العيد في كنيسته، فعرضت عليه أن أتوسط لمقابلة البابا شنودة ومحادثته، فلم يمانع، وذهبت إلى اجتماع معهد الرعاية يوم الثلاثاء مساءً. وتقدمت نحو البابا شنودة لتعريفه بنفسي، فاقتضب جبينه. وسألته عن سبب منح أبي هذه الإجازة فأجابني: إن أباكِ لا يحضر جلسات المجلس الإكليريكي المخصص لمحاكمته. فنفيت له ذلك -صادقة- إذ لم يحدث أن استدعى أبي لجلسة واحدة من هذه الجلسات وتخلف عنها. وعرضت عليه تحديد موعد لإحدى هذه الجلسات، وسأكون مسؤولة أمامه على حضورها، فحدد لي اليوم التالي، أي يوم الأربعاء صباحًا. وعدت إلى المنزل لأبلغ أبي بما حدث، مؤكدة أن ما يصل إلى البابا شنودة معلومات مغلوطة عن عدم حضوره لجلسات المجلس الإكليريكي. وعليه ذهبنا في اليوم التالي وفي الميعاد المحدد لنا، وتوجهت مباشرة إلى المقر البابوي منتظرة البابا شنودة لأبلغه بحضور أبي في موعده، وكان برفقته الأنبا بيشوي، فهمس البابا في أذنه عدة عبارات ثم

أمرني بالتوجُّه إلى المبنى الآخر المقرر فيه اجتماع المجلس الإكليريكي بصحبة أبي.

وهناك مكثنا عدة ساعات دون أن نُستدعى من أحد، وكانت تُناقش هناك عدة قضايا أحوال شخصية بحضور الأنبا بولا والقس داود تادرس. ثم طلبت مرة أخرى مقابلة الأنبا بيشوي، وبعد عدة ساعات أخرى خرج الأنبا بيشوي متسائلًا عن والدي، الذي كان يجلس في سيارته منتظرًا استدعاءه.

وفوجئت بتوجه الأنبا بيشوي صوب سيارة أبي طالبًا منه فتح شنطة السيارة، وفتَّشها ثم دخل إلى السيارة وبدأ بتفتيش التابلوه وتحت الدواسات، في مشهد تجمَّع عليه المارة في أنحاء الكاتدرائية متسائلين عما يحدث. وللحق فلقد أصبت بانهيار حاد وشعرت بدوار وكدت أن أقع أرضًا، لولا أن تلقفتني إحدى السيدات الحاضرات لمشاهدة هذه المهزلة، ولم يتوقف الأنبا بيشوي عما كان يفعله إلا بعد سماعه لصراخي وبكائي، وبعد أن تأكد أنه لن يجد شيئًا يستطيع أن يدين به أبي داخل سيارته. ثم دلف إلى داخل المقر البابوي مستدعيًا إياي مرة أخرى.

وفي إحدى الغرف الواسعة متعددة الكراسي جلس وبجانبه أحد القساوسة، ممسكًا بيده قلمًا وأوراقًا، وبدأ في التحقيق معي. نعم في التحقيق معي أنا وليس أبي! وكانت أسئلته غريبة لا تتعلق من قريب أو بعيد بقضية أبي، وكان الكاهن الجالس معنا يدوِّن الأسئلة والإجابات.

أما عن هذه الأسئلة فكانت من نوعية أين تسكنين؟ وهل عقد شقتك تمليك أم إيجار؟ وما هي طبيعة علاقتك بزوجك؟ وأسئلة أخرى يعف قلمي عن ذكرها مرة أخرى. ثم أخذ توقيعي على هذا التحقيق ومضى مسرعًا. فجريت وراءه مرة أخرى لأسأله عن وضع أبي، وبعد وقت طويل من الانتظار خرج ممسكًا بورقة بيضاء قائلًا اذهبي لوالدك وقولي له أن يوقع هذه الورقة. فإذا تم ذلك سأعيده مرة أخرى إلى كنيسته.

وللحق، فلقد كانت أنهكت قواي من الجري وراءهم طوال اليوم، تاركة ابنة لي رضيعة مع أمي والأخرى لم تتعدَ السنتين، وذهبت إلى أبي ومعي الورقة، مخبرة إياه بما يريده الأنبا بيشوي أن يفعله. فنظر إلى أبي نظرة أسى لن أنساها طوال عمري، قائلًا: يا ابنتي من فعل جرمًا لا يوقِّع عليه. فما بالك بي ولم أفعل شيئًا! هل تريدين أن أوقع على ورقة بيضاء؟! لا لن أفعل.

وعدنا إلى المنزل في ذلك اليوم الأسود، دون إحراز تقدم يذكر، ولم نتجرع سوى المهانة التي لحقت بنا.

ولقد صُلي على جثمان أبي بحضور كاهن أرثوذكسي ونائب عن كل من الطائفة الكاثوليكية والبروتستانتية في كنيسة المقابر، ثم جاء كاهن آخر في اليوم الثالث للوفاة، وأقام صلاة أخرى بمنزلنا، وفي الأربعين أقمنا قداسًا إلهيًا بكنيسة العذراء بمسرة تأبينًا لروح أبي، الذي مات شهيدًا للظلم، وعاش وسيعيش بآرائه وكتاباته إلى الأبد".

يذكر أن القس إبراهيم عبد السيد ألَّف العديد من الكتب القيمة، نذكر منها "أموال الكنيسة"، "الإرهاب الكنسي"، "البطريرك القادم"، "الرهبنة"، "الحب المفقود في كنيسة شيكاغو"، "سرجيوس بطل الوحدة الوطنية".. وغيرها العشرات.

شهادة الدكتور جورج بباوي

الرد على كتاب بدع حديثة

ليس لاهوتًا.. ولا هو مقارنًا

عندما صدرت مقالات اللاهوت المقارن تباعًا في مجلة الكرازة، أرسلتُ عدة خطابات للأنبا شنودة أطالبه بالامتناع عن مواصلة النشر، وإذا كان لديه ما يريد أن يقوله عن العقيدة فليكن ذلك من خلال التسليم الكنسي، لا من خلال ما تكوَّن عنده من آراء وتفاسير شخصية، وأن يكون للآباء الصوت الأول، والشهادة الجامعية المنيعة، ولكن الجميع يعرف أنه ليس الباحث أو المؤرخ أو عالم اللاهوت، لأن ما جاء في المقالات يؤكد لنا:

أولًا: أنها جاءت من انفعالات شخصية، ولذلك تخلو من العودة إلى التاريخ الكنسي، ومصادر التعليم اللاهوتي الأرثوذكسي: الآباء والليتورجية.

ثانيًا: أن الأنبا شنودة الثالث لم يدرس الآباء، فهو في هذه المقالات -كما فعل بعد ذلك- يستلهم عقله وحده وما يعرفه، ولذلك غاب "ذهبي الفم" الذي تُرجم إلى العربية في مطلع القرن

الثاني عشر، ولا تزال هذه الترجمات في مكتبة البطريركية في الأزبكية. بل لا عذر له في عدم العودة إلى عظات "ذهبي الفم" على رسائل القديس بولس، وهي تقريبًا ثلثا العهد الجديد، ونشرت هذه العظات، ولا تزال مجلدات هذه العظات في مكتبة دير السريان، ولكنه كما صرح هو في أكثر من مناسبة، أنه يشك في أصالة كتب آباء الكنيسة، وفي مقدمة هؤلاء الآباء القديس أثناسيوس نفسه، ولذلك كل ما ورد تحت اسم "اللاهوت المقارن" لا علاقة له بأي لاهوت نعرفه. لا هو أرثوذكسي ولا بروتستانتي ولا كاثوليكي.

النشر والتأليف ضرورة

من حق كل مسيحي أن يكتب ويؤلف، ليست هذه هي القضية الأولى، لكن عندما يتهم غيره، ويخترع اتهامات عقائدية موجودة في عقله وحده، بل ويُجرِّم غيره ويحاربه بكل ما يملك، لا سيما التوجُّه إلى الشارع القبطي الذي أصبح هو مجال الباحث والقاضي لكل العقائد، وأصبح حشد أكثر عدد من الأنصار والمؤيدين، هو الدليل على صحة التعليم. أسلوب جماهيري سياسي لا علاقة له بأي عقيدة أو أي مبدأ أخلاقي مسيحي، ولا يمت للقداسة بأي صلة، ثم ينتهي هذا العرض الجماهيري بقطع من يختلف مع الأنبا شنودة وحرمانه. أو عندما يعجز عن التصدي لمجلدات أبحاث ودراسة الأب متَّى المسكين، لا يجد أمامه سوى "الشوشرة" واختراع اتهامات هو أول من يعلم أنها غير صحيحة.

الزعامة السياسية التي أفسدت كل ما هو مقدس

عندما جلس الأنبا شنودة على كرسي مارمرقس، كانت الآمال والأحلام والتطلع إلى غد مشرق أكبر منه بكثير. كان يعقد -بعد تنصيبه مباشرة- اجتماعات في كنيسة مارجرجس "كوتسيكا"، واشترك معه الأنبا صموئيل، الأنبا أثناسيوس، الأنبا يوأنس. ثم توقفت الاجتماعات، فقد اختلفت الرؤى واحتدم الصراع على القيادة.

عندما بدأ الهجوم على الأب متى المسكين، كان كل المحيطين به لهم رأي واحد، وهو إصدار كتب عقائدية أرثوذكسية، لأن هذا هو السلوك الكنسي المقبول والمتعارف عليه، وهو أجدى، خصوصًا أن الاتهام بالهرطقة هو اتهام لم يُبحَث حسب القواعد المُراعاة في القانون والتاريخ الكنسي، أو ما يظهر في بعض مقالات الأب متى المسكين، أو الكثير من عبارات غامضة تحتاج إلى ضبط لا إلى صياغة اتهامات غير موجودة أصلًا.

أرسل الأب متى المسكين من الدير مخطوطة كتاب "الإفخارستيا" مع الأب أليشع المقاري، وطلب في رسالة شخصية أن يكتب الأنبا شنودة مقدمة الكتاب، وقال في رسالته إن جمع الشمل سوف يوحِّد ويقوي دعوة التكريس للرهبنة والكهنوت ويشفي جراحًا قديمة.

تسلَّم الأنبا شنودة مخطوطة الكتاب ومعها رسالة الأب متى المسكين، وطلب مني مراجعة الكتاب.

قرأت الكتاب بلهفة.. أسبابها:

أولًا: أننا لا نملك بحثًا عن القداسات أو العشاء الرباني بالمرة، وما نُشر منذ القرن الثالث عشر "مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة" للقس أبو البركات ابن كبر، و"ترتيب البيعة" لمؤلف مجهول، و"اللؤلؤة النفيسة في طقوس الكنيسة" للعالم زكريا ابن سباع، من علماء القرن الثالث عشر، كلها تعرض ما تمارسه الكنيسة مع شرح مُوجز. وتبعًا لذلك تأتي هذه الدراسة لكي تملأ فراغًا كبيرًا، وتُعَد فاتحة جديدة نحن في أشد الحاجة إليها.

ثانيًا: كان الأب متى المسكين قد نشر قبل كتاب "الإفخارستيا"، كتاب "الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار"، ثم كتاب "القديس أثناسيوس"، وكانت هذه المجلدات بداية العودة إلى منهج آباء الإسكندرية، وهو تأصيل كل ما يكتب عن العقيدة والحياة الأرثوذكسية على أساس الكتاب المقدس والتاريخ الكنسي.

وجاءت دراسة الأب متى المسكين مثل فصل الربيع بعد فصل حر شديد، للجهل وسيادة الممارسات الشعبية الفلكلورية.

قرأت الكتاب كله في يوم واحد، ولذلك عدت إلى الأنبا شنودة لكي أخبره بأنه بحث جيد جدًا وأصيل، ولا يوجد في الكتاب سوى عبارة واحدة خاصة بالبركة غامضة، تحتاج إلى مراجعة من المؤلف.. هنا فقط بدأت ملامح الصراعات القادمة تظهر.

أولًا: تضايق الأنبا شنودة الثالث جدًا مني شخصيًا، وأحال المخطوط إلى شخص رقد بعد صراع طويل مع المرض، ويحمل

هذا الشخص عداءً وكراهية شديدة للأب متى المسكين، رغم أنه كان في يوم من الأيام من قادة "بيت التكريس".

ثانيًا: ظهر بوضوح شديد أن الحكم والقاضي هو الانفعالات وسيادة الغرائز وليس المعرفة.

بعد أسبوع، وفي لقاء مع الأنبا شنودة قرأ أمامي رده على خطاب الأب متى المسكين، وتضمن الخطاب ملاحظات على كتاب "العنصرة"، وقال إنه لن يكتب مقدمة لكتاب "الإفخارستيا" إلا بعد مراجعة الكتب السابقة. وحملت الخطاب وذهبت إلى دير القديس الأنبا مقار، وفي مضيفة الدير جاء الأب متى المسكين، الأب يوحنا المقاري، الأب باسيليوس المقاري، وجاء الأب كيرلس المقاري بعد ذلك، ثم قرأ الأب متى المسكين خطاب الأنبا شنودة بصوت عالٍ أمام الجميع.

وجاءت ردود الأفعال متباينة، وسمع الأب متى المسكين الكل.

لزمتُ الصمت. فقد كانت كل ملاحظات الأنبا شنودة الثالث على كتاب "العنصرة" انفعالات شخصية، لا علاقة لها بالأرثوذكسية، وتقف عند وصف الكنيسة بأنها "جسد المسيح"، وأنها مثل "العليقة" وهي رمز لوالدة الإله، عبارة غير مألوفة عند جيل لم يقرأ أفرام السرياني، وأمبروسيوس أسقف ميلان، وغيرهما من الآباء.

موضوع الكنيسة نفسه لم يدرسه أحد قبل صدور كتاب "الكنيسة الخالدة" ثم "العنصرة"، ومع موضوع الكنيسة

موضوع "الروح القدس" و"الثالوث" وغيرهما من دعامات المسيحية عامة والأرثوذكسية بشكل خاص.

وأمسك الأب متى المسكين بورقة وكتب ردًّا مختصرًا يؤكد فيه أن مسؤولية التعليم تقع على عاتق بابا الإسكندرية، وقال بالحرف الواحد: "أنا مستعد لإعادة طبع كل كتبي بالتصحيحات التي تراها قداستكم. وسوف أضع في هامش كل صفحة العبارات الأصلية".

ولم يقدم الأنبا شنودة الثالث أي تصحيح، وحوّل الموضوع كله لكاتب هذه السطور، الذي لم يرَ في مؤلفات الأب متى المسكين أي خروج على التعليم والتسليم الآبائي. وبذلك تحولت أنا نفسي إلى قائمة الأعداء، التي تصدَّرها الأب متى المسكين، والذي أصبح بما يملك من مؤلفات وحياة نسكية القائد الروحي الحقيقي، وليس أسقف التعليم الأنبا شنودة الذي أصبح بابا الإسكندرية بعد ذلك.

هذا هو جوهر وقلب كل ما حدث وما قيل.

حينئذ أساقفة صغار السن

كان الأنبا شنودة الثالث، ولا يزال، يعلم أن الاتهام بالهرطقة الموجَّه ضد الذين اختلف معهم حول مسائل سياسية، كان يعلم علم اليقين أن هذا "السهم السام" يمكن أن يرتد ويضربه هو شخصيًا.

وجاءت أحداث عنيفة سريعة: حرق كنيسة الخانكة -الزاوية الحمراء- حرق كنيسة السيدة العذراء قصيرية الريحان بمصر القديمة.. وغيرها يسير بسرعة تدفع الأنبا شنودة الثالث إلى زعامة سياسية للأقباط. وانكمش الأقباط داخل الكنيسة، وتراجعت الأحزاب السياسية بما فيها حزب الوفد الجديد عن التصدي لما كان يحدث في مصر، وتزامن الاعتداء على الكنائس والأقباط مع الاعتداء على الأمن نفسه، واغتيال الشيخ الذهبي وشهداء الفنية العسكرية.

ولم يقدر الأنبا شنودة الثالث حجم خسارة مصر، ولذلك كان قرار إلغاء الاحتفال بعيد القيامة في 1980 هو قرار سياسي، وضع فيه الأنبا شنودة الثالث ومعه الأقباط في ذات الخندق الواحد الذي يحارب رئيس الجمهورية. فصار بذلك الحليف لحركات الترف، والتي كانت تعمل ضد حكومة مصر وعلى رأسها أنور السادات.

وخلف الانشغال بما درجنا على وصفه "بالفتنة الطائفية" قسمت الإيبارشيات، ورُسِم عدد هائل من الأساقفة بعضهم دون السن القانوني، مثل الراهب توما السرياني، وهو الأنبا بيشوي بعد ذلك، ورسامته غير قانونية، لأنه رُسِم دون السن القانونية.

حشد الأتباع من الأساقفة للدفاع عنه، ولكن هذا الحشد فشل تمامًا عندما صدر قرار التحفظ عليه في دير الأنبا بيشوي.

لأن جهة الأساقفة تعجز أمام أصغر قوة تنفيذية في أي حكومة بالعالم.

وحشد الأساقفة لا يلغي القانون الكنسي، وحشد الأساقفة لا يلغي العقيدة الأرثوذكسية ولا يؤكد أو ينفع في أي صراع عقيدي، لأن القاضي في مسائل العقيدة: الآباء – التاريخ الكنسي.

خسارة فادحة

عندما جلس الأنبا شنودة على كرسي مارمرقس رحَّب به الرئيس السادات، ولم يكن اختيار بطريرك الأقباط يخضع لأي إجراء قانوني حكومي سوى موافقة رئيس الجمهورية على قرار المجمع المقدس، وتدور الأحداث وتحمل الأنبا شنودة موجة عاتية إلى المحكمة الإدارية لإلغاء قرار رئيس الجمهورية، وسلمه المحامي حنا ناروز مثل خروف صامت إلى سيف القانون المصري، في مذكرة الدفاع التي طلب فيها حنا ناروز مؤكدًا أن وظيفة البابا البطريرك هي من اختصاص رئيس الجمهورية، مثل عمداء الجامعات والمحافظين، ونقلت المحكمة رغبة محامي الدفاع وصدر قرار من رئيس الجمهورية:

"يُعاد تعيين الأنبا شنودة الثالث".

فوُضع كرسي مارمرقس لأول مرة منذ الفتح العربي تحت سيادة القانون الإداري وتحت سلطان رئيس الجمهورية.

الثمن الباهظ الذي دفعناه ولا نزال ندفعه.

ماذا بعد ذلك وبعد السيادة لقانون الغرائز والانفعالات؟!

1- ضباب كثيف يحيط بأسرار الكنيسة، لا سيما سر الشكر الذي يصر الأنبا شنودة الثالث على أنه تناول الناسوت فقط.

2- إنكار سُكنى وحلول الروح القدس فينا بدعوى غريبة، أننا نأخذ المواهب فقط، رغم أننا لم نرَ هذه المواهب عند أصحاب هذا الادعاء الكاذب.

3- إنكار الشركة في البيعة الإلهية، واتهام هذا التعليم بأنه دعوى للشرك بالله.

4- فصل الإنسان فصلًا تامًا عن المسيح نفسه.

5- اعتبار البابا رأس الكنيسة، فحل محل المسيح نفسه وأصبح هو رأس الجسد، وصار لجسد المسيح رأسان: بابا الإسكندرية والرب يسوع. تعليم ينزع كل اختصاصات المسيح باسم رئاسة الكهنوت.

وباقي القائمة شنيع. لكن ليست العبرة في القائمة، وإنما في العجز عن شرح التعليم، ثم مطاردة كل من هو قادر على ذلك. مُنع د. المستشار وليم سليمان ود. المستشار عوني برسوم من تدريس القانون الكنسي. وأُبعد د. سليمان نسيم عن معهد الخدمة القسم المسائي، ثم مجلة مدارس الأحد. كما وُضع الأنبا غريغوريوس تحت حزام الفقر، وسُحب منه معهد الدراسات

القبطية وأُبعد عن الكلية الإكليريكية. وقصة المؤرخة الكنسية إيرس حبيب المصري وكتاب "السنكسار" معروفة.

وأسلوب مطاردة هؤلاء الباحثين يخدش الحياء، ولعل خير مثال على الإيمان بالبحث هو أن يصبح د. ميشيل بديع الذي تخصص في كتابات ديديموس الضرير مسؤولًا عن قسم الألحان الكنسية بعد رحيل أستاذنا الغالي راغب مفتاح، فهو مثل غيره ممنوع من تدريس الآباء، وسبقه في القائمة د. وهيب قزمان، والأب الروحي لكل الباحثين د. نصحي عبد الشهيد.

إنفاق وإنفاق

ما هو حجم الإنفاق السنوي على التعليم الكنسي؟ ومن هو المسؤول عن تدني مستوى هذا الإنفاق إلى ما دون الحد الأدنى؟

وهل لدينا مكتبة علمية تليق بمكانة كنيسة الإسكندرية؟

هل لدينا مجلة للأبحاث والدراسات مثل كل الجامعات والمعاهد المحترمة؟

هل شجع الأنبا شنودة حركة ترجمة الآباء إلى اللغة العربية؟

هل أصدر المجمع المقدس دراسات عقائدية أرثوذكسية، أو حتى توصيات بإجراء مثل هذه الدراسات؟

وغيرها من أسئلة تجعلنا نشعر بالحرج الشديد في تدوين الرد عليها أو على بعض منها. أما الإنفاق على المناسبات والمباني والسيارات... إلخ، فهو موضوع معروف ولا داعي لفتح هذا الملف.

فالإنفاق المسموح به هو الإنفاق على المكانة والزعامة وصك ميدالية ذهبية عليها صورة الأنبا شنودة الثالث. هي حق الفقراء الذي قرره الله وأهدره الأنبا شنودة الثالث. ووضع الباحثين تحت حزام الفقر مع مطاردة دائمة لهم بالمنع من الخدمة، وتحريض جيش الأساقفة على تجاهلهم، ونشر اتهامات سياسية، أو جمع هؤلاء الباحثين في بوتقة واحدة، وهي "الأب متى المسكين"، وأصبح الأنبا شنودة هو الحكم والقاضي بما تمليه عليه نزعة حب الزعامة والادّعاء الكاذب بمعرفة أصول الأرثوذكسية.

واضح من كل ما تقدم أن تجاهل مساحة التعليم الكتابي واللاهوتي والتاريخي هو تجاهل مقصود، يحصر التعليم في زعامة لا في مجالات البحث والتدقيق. وهذه مأساة.

المنهج

قائمة الاتهامات في المقدمة

حاول أيها القارئ الكريم، أينما كنت، أن تقارن بين المقالات الأربع ضد الأريوسيين وكتاب "بدع حديثة"، فسوف تكتشف أن القديس أثناسيوس يضع ويحدد ما تنكره الهرطقة الأريوسية بالنصوص، وعندما يتهم الأريوسية بالعودة إلى اليهودية أو هرطقات مدارس الغنوصية، فإنه يقدم الدليل والحجة. لا يقدم المعلم الكنسي اتهامًا أجوف وعامًا وبلا دليل.

فهل فعلًا الأنبا شنودة كذلك؟

هذه هي سمات قائمة الاتهامات من واقع كلمات الأنبا شنودة نفسه الذي يقول عن أعدائه:

"بدع حديثة.. تصدر من أشخاص داخل الكنيسة أو كانوا كذلك".

فلا تعرف ما إذا كان هؤلاء الأشخاص -بغض النظر عن حجب الأسماء- لا زالوا داخل الكنيسة أو تركوها، حسب تعبير الأنبا شنودة.

كلام غامض وعام لا يليق.

واتهام آخر:

"وأصعب من هذا كله أنهم ينسبون أخطاءهم إلى القديسين".

إذًا من هم هؤلاء القديسون بالتحديد؟

وإذا نَسب إنسان ما تعليمًا خاطئًا لأي من القديسين، فما هو هذا التعليم الخاطئ؟ وما هو التعليم الصحيح عند هؤلاء القديسين، حسب ادّعاء الأنبا شنودة؟ أليس هذا نوعًا من التدليس في موضوع لا يجوز فيه التدليس، وهو العقيدة؟!

لقد سقط عنوان كتاب الأنبا شنودة "بدع حديثة" واعتُبِر مجرد مانشيت لصحفي مبتدئ، لأن من يكتب وينسب تعليمه للقديسين، يكون وهؤلاء القديسون على تواصل فيما يكتب، ويكون التاريخ الكنسي هو بيئة الكتابة. فالأمر إذًا ليس "بدع حديثة"، بل تعليمًا متصلًا بما هو قديم في تاريخ الكنيسة.

اتهام ثالث:

"إما بعدم فهمهم لما يقوله القديسون، وإما بسبب سوء ترجمة لأقوالهم".

هذا الاتهام -رغم عدم صدقة- يضع الأنبا شنودة أمام مسؤولية جسيمة لا يقدر عليها، وهي أن عدم فهم هؤلاء الذين يكتبون لما يقوله القديسون يجب إثباته بالنص، لأن النص هو الحجة الدامغة التي تؤكد عدم الفهم. وسوء الترجمة هو بدوره ادعاء له أهمية، إذا كان صاحب الادعاء يعرف اللغات القديمة، وبالذات اليونانية، لكي يقدم ترجمة صحيحة جيدة تفتح باب الحوار، وتعيد المارقين إلى حظيرة الأرثوذكسية. لكن من خلال 224 صفحة لم يقدم لنا الأنبا شنودة نصًا واحدًا يؤكد فيه الادّعاء بعدم الفهم. أما الشق الثاني من الاتهام وهو سوء الترجمة، فلم يقدم مثالًا واحدًا عن هذا السوء، فهو اتهام عجيب لا يقبله إلا نزلاء مستشفيات الأمراض العقلية.

إذًا كان جوهر الموضوع هو ما ذكره الأنبا شنودة نفسه:

1- نسب الأخطاء للقديسين.

2- عدم فهم الآباء.

3- سوء ترجمة النصوص.

فقد حدد الأنبا شنودة الثالث بنفسه دائرة البحث، وأصبح من الضروري أن يحصر كتابه في النقاط الثلاث السابقة، ولكنه تركها غامضة لعله بهذا الغموض يكسب أرضًا يقف عليها في

مواجهة القارئ القبطي، لكي يحشد الجماهير، وهو ما تخسره الكنيسة والإيمان نفسه، لأن غموض الاتهام هو أسلوب حكومات القمع والأنظمة الشمولية.

عفريت اسمه الغرب

عندما ترك الدائرة الأولى دخل دائرة ثانية:

"بعضهم عاش في بلاد الغرب، وتأثر بالانحرافات الفكرية التي فيها".

ولن نسأل ما هي هذه الانحرافات الفكرية، لأن البابا شنودة الثالث لم يقدم لنا قائمة بهذه الانحرافات. وهذا اتهام عبثي يدق باب الخوف من الغرب، والموجة المعادية للغرب، وهي موجة غامضة، لا يمكن تحديدها في مساحة الفكر اللاهوتي بالذات.

واتهام آخر:

"هناك مؤامرة آتية من الغرب يحركها قوم جهلاء لا يعرفون كيف يترجمون".

وهو هنا لم يقل لنا شيئًا عن اللغة التي يترجم منها هؤلاء. ثم بأسلوب صحيفة هابطة يقول:

"والبعض الآخر لم يذهب إلى البلاد الغربية، ولكنه قرأ الكتب التي أصدرها الغربيون وتأثر بها واعتنقها وأراد نشر ما يعتنق".

وهذا اتهام زئبقي لأنك لا تعرف:

1- الانتماء العقيدي لهؤلاء الغربيين، هل هم ملاحدة أم بروتستانت أم كاثوليك أم... إلخ. فالغرب ليس قطعة جبنة واحدة، هو غرب متنوع في كل المجالات، ومن ضمن هؤلاء الذين يعيشون في الغرب أساتذة لاهوت أرثوذكسي في باريس (معهد القديس سرجيوس)، ونيويورك (معهد فلاديمير)، وبوسطن (معهد الصليب المقدس لليونان).

2- أخيرًا توقف عند فئة "البعض يحب الرأي الجديد الشاذ... إلخ".

هكذا تجد نفسك أيها القارئ أمام دوامة من الغموض والعمومية، لا تختلف عن أسلوب الأنظمة الشمولية التي عرفناها في التاريخ المعاصر، الفاشية النازية، الشيوعية... أنت عدو؛ لا بد من التخلص منك. وكلما كبرت قائمة الاتهامات وطالت، ومن قوم يجهلون ولا يعرفون كيف يترجمون.

وبات من الواضح أن المقدمة لا تطرح على القارئ المنهج التاريخي واللاهوتي، بل ادعاءات بلا دليل، كانت تحتاج إلى دليل يؤكد صدق ما يذكره الأنبا شنودة الثالث، لا سيما عبارة "عدم فهم" ما ذكره القديسون. مع غياب صدق المؤلف، يفتح هذا الغياب باب احتمالات كثيرة، ولكننا لا نريد أن ننساق وراء أي استدلال، مهما كانت قوته، لأننا لا يجب أن نقع في ذات الخطأ، وهو الاتهام بلا دليل.

لكن يبرز السؤال: ما هو منهج الأنبا شنودة الأرثوذكسي الذي جعله يحدد نوع البدع بأنها حديثة؟ أهي حديثة لأنها ظهرت في عصره هو فقط، أم حديثة لأنها ضد الأرثوذكسية التي مر عليها ما يقرب عن 1900 سنة؟ ما هي خصائص الأرثوذكسية التي تجعل أي تعليم بدعة حديثة؟

ونظرًا لأن الأنبا شنودة لم يفصح عن هذه الخصائص، نضعها نحن هنا في هذه النقاط:

أولًا: التعليم المضاد للتسليم الرسولي المعروف، وهو معروف لنا لأنه مدوَّن في كتابات الآباء وصلوات الكنيسة وقرارات المجامع وتفاسير الآباء، وهو ما لم يقدمه الأنبا شنودة.

ثانيًا: التعليم المضاد لنصوص وكلمات الكتاب المقدس نفسه، ليس كما يشرحها أي مؤلف، بل كما شُرحت في عظات وتفاسير الآباء مثل "ذهبي الفم".

ثالثًا: وضع نصوص صريحة كاملة غير مبتورة، هذه أمانة تحدد الفكرة الخطأ، ومن ثم مقارنة هذه الفكرة بما هو ثابت في التسليم.

ولكن هيهات.. لقد تحول الكتاب كله إلى اجتهاد شخصي خاص بالأنبا شنودة الثالث نفسه، وانعدمت فيه كل بارقة أو وميض أمل في وضع أساس رسولي واضح يؤكد البدعة التي وقع فيها هؤلاء القوم.

أسلوب الأنظمة البوليسية "أنت عدو نظام الحكم" وبعد ذلك تأتي الأدلة.

كاتب مجهول يحاكم غيابيًا

هذا مثال عن كاتب مجهول اتُهم ببدعة حددها الأنبا شنودة في عبارات مبتورة:

"كاتب سفر التكوين ينسب إلى الله عقوبة الإنسان ومعاناته... إلخ".

ومن هذه العبارة يستدل الأنبا شنودة الثالث على أن صاحب هذه العبارة لا يؤمن بالوحي (ص 8).

لكن لا بد من وجود كاتب لسفر التكوين، وإلا كيف وصل هذا السفر إلينا! ثم يأتي الحكم. لقد تصور أن "عبارة كاتب سفر التكوين" تعني أن صاحب هذه العبارة ليس مسيحيًا ولا حتى يهوديًا.

هل ذكر سفر التكوين كلمة عقوبة؟

الحجة الدامغة يجب أن تكون بنص سفر التكوين نفسه. ولكن مع غياب النص، أو بالأحرى عدم وجوده بالمرة يصبح إقحام عبارات أي مؤلف على أي نص، نقطة تفسيرية قد تكون صحيحة وقد تكون خطأ.

النص هو الحَكَم

هل استخدم سفر التكوين كلمة "عقوبة" في مأساة الطوفان أو سدوم وعامورة... إلخ؟ لم يذكر سفر التكوين أن هؤلاء عاقبهم الله. وأصبح تفسير النص مسألة تفسيرية يجوز الاختلاف عليها، ويصبح الاختلاف على تفسير الكتاب موضوعًا يناقش حسب قواعد التسليم الآبائي.

خطأ شائع مصدره تعليم الشيع البروتستانتية:

وقع الأنبا شنودة في خطأ شائع في كتابات الشيع (البروتستانتية) وهي عبارة الرسول "أجرة الخطية هي موت" (رو 6: 13). وحسب قواعد الإعراب، الخطية هي التي تدفع الأجرة وليس الله. هذا ما يذكره الرسول بولس نفسه ابتداء من الآية 12 في الإصحاح الخامس.

"بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم. وبالخطية الموت... إلخ".

فكيف انتقلت الأجرة من الخطية نفسها إلى الله حسب عبارة الأنبا شنودة الثالث:

"أي موتهم هو حكم من الله، الذي حكم بأن أجرة الخطية هي موت" (ص 9).

وعندما يفرض الأنبا شنودة الثالث فكره على الكتاب المقدس نفسه، لكي يصبح فكره هو الحكم الأول والأخير، يتعذَّر الحوار، بل يصبح حتى تصحيح الخطأ مستحيلًا.

ما هو جوهر الخلاف إذًا؟

1- يتفق الأنبا شنودة الثالث مع هذا الشخص الغامض، بأن الإنسان اختار طريق الموت بحريته.

2- يتفق مع المؤلف الغامض على النتيجة، وهي حسب عبارة الأنبا شنودة الثالث نفسه: "فإن كان الإنسان بحريته قد اختار الموت، فإنما اختار قصاص الله على الخطية بالموت". (ص 9).

حسنًا، النتيجة واحدة، وهي اختيار الموت، فأين البدعة في ذلك؟

مصدر الموت مختلف، وهو حسب المؤلف المجهول هو سعي الإنسان بنفسه إلى الموت، وحسب الأنبا شنودة الثالث هو الله نفسه.

التصور الشخصي وتفسير الكتاب المقدس

لا يجوز أن يصبح تصور أي شخص هو الحكم، لأن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لها تاريخ – تسليم – آباء – مجامع.

لكن حيث إن المؤلف الغامض على اختلاف شخصي مع الأنبا شنودة، تحول الخلاف الشخصي إلى هرطقة.

وحسب الأنبا شنودة الثالث، هذا قصاص من الله، وعبارة قصاص لا وجود لها في الكتاب المقدس، وهي كلمة قرآنية خاصة بالإسلام.

ويبقى السؤال الهام: أين البدعة؟ وما هي العقيدة التي أنكرها المؤلف الغامض حتى ينضم إلى قافلة الهراطقة؟

التصور الشخصي حكم ظالم لأنه بلا مرجعية

السبب في ذلك هو أن أي تصور شخصي هو تحول من خلاف على الإيمان المسلم، إلى خلاف شخصي خاص بالكلمات التي تُختار ثم تُوضع بعناية لإثبات الجرم، لأن الجرم مطلوب قبل الحقيقة.

يقول المؤلف المجهول:

"لكن الله ليس هو العشماوي مُنفِّذ الأحكام... إلخ".

المؤلف ينكر أن يكون الله عشماوي، ولكن رغم هذا الإنكار يتصور الأنبا شنودة الثالث:

"هذا التهكم في استعمال كلمة (عشماوي) لا يليق بالحديث عن الله".

في الكتاب المقدس نفسه نجد عبارات أكثر وقعًا من كلمة عشماوي، مثل: الله يسكر بالخمر وينام. له أنف يتضايق من صلوات الخطاة لأنها تضايق تنفسه مثل الدخان. وأوصاف أخرى كثيرة جمعها ديونيسيوس الأريوباغي في الرسالة 9 (راجع ملحق الباب الأول).

وهكذا يسقط الاتهام بالتهكم، لأنه اتهام صادر عن رغبة في إبعاد المؤلف عن دائرة الحياة الكنسية. ولم يذكر الأنبا شنودة

الثالث أن المؤلف حُرِم من التناول وهو في غرفة الإنعاش بين الحياة والموت بعد عملية في القلب.

الاتهام يأتي أولًا، وبعد ذلك صياغة الأدلة، والأدلة هنا هي عبارات عامة ليست أدلة، بل محاولة البحث عن كلمة هنا وعبارة هناك. والمنهج هو منهج شخصي بلا تاريخ، بلا لاهوت، واتهام بالهجوم على عقيدة من العقائد. ويصبح الادِّعاء بأن الأنبا شنودة الثالث يحاكم الفكر لا الشخص ادّعاءً يصدقه ضعاف العقول.

ذبائح العهد التي رفضها الأنبياء

من يقرأ العهدين لا يجد في العهد الجديد بالذات، عبارة تقول إن الذبائح كانت رمزًا لدم المسيح (بدع حديثة ص 9). هذه نقطة تفسيرية تعود إلى تفسير الآباء، ابتداء من الشهيد يوستينوس، يتمسك بها معظم الآباء في مجال دحض هجوم الغنوصية على العهد القديم، باعتبار أنه كتاب لا يخص المسيحية. وقدم الأنبياء -وهنا بالروح القدس نفسه- نقدًا حادًا يعكس رفض الله نفسه للذبائح، بل كراهية الله للذبائح. من هنا بالذات جاء التعليم بأنها كانت رمزًا، لكي تسند التعليم الإلهي نفسه الذي نطق به الأنبياء، والذي تصدى له الرسول في رسالة العبرانيين.

شهادة دكتور ممدوح حليم

حرمان جورج بباوي نكسة للفكر في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

قامت القيادة الكنسية القبطية في الآونة الأخيرة بفصل (حرم – قطع) د. جورج حبيب بباوي مدير معهد الدراسات اللاهوتية بولاية أنديانا بالولايات المتحدة، والأستاذ السابق بكلية اللاهوت (الإكليريكية) بالقاهرة. بيد أن هذا القرار على قدر كبير من الخطورة التي تتطلب دراسته من حيث أسبابه وخلفياته وتداعياته.

بداية نقول إن كل المسيحيين يتفقون على جوهر الإيمان، الذي تبلور في قانون الإيمان، الذي صاغه القديس المصري أثناسيوس في القرن الرابع، وهذا إنجاز مصري رائع يعترف به العالم المسيحي شرقًا وغربًا بكل طوائفه.

ومن ناحية أخرى نقول إن هناك فرقًا بين العقيدة والرأي، فهناك مساحة في المسيحية يمكن إبداء الرأي فيها دون أن يُشكِّل هذا طعنًا في عقيدة صاحب الرأي. من يقدر أن يدَّعي أنه أدرك كل فكر المسيح المدون في الإنجيل؟! في كل كنائس العالم يبحث الباحثون ويجددون، ويجدون في هذا تشجيعًا من قيادتهم. فماذا جرى للكنيسة القبطية؟! لقد شهدت الكنيسة القبطية في العقود الأخيرة تقهقرًا فكريًا ملحوظًا أدى إلى حصر الإيمان المسيحي الأرثوذكسي فيما تقوله القيادة الدينية، مما أدى إلى قلاقل، وكذلك إلى إبعاد أو ابتعاد رموز الفكر والعمل

الديني عن الساحة، مما يعد خسارة فادحة لحركة نهضة الكنيسة القبطية.

التيار النهوضي:

لقد انفتحت مصر على العالم الخارجي منذ تولي محمد على حكم مصر، وزاد هذا الانفتاح تدريجيًا مع تولي أسرته الحكم، ولأن الكنيسة القبطية جزء أصيل من مصر لذا تأثرت بموجات من رياح الفكر المسيحي القادمة من الغرب، الآتية مع الإرساليات البروتستنتية، وكذلك الرهبانيات الكاثوليكية وما أنشأته من مدارس ما زالت تعمل حتى الآن. لقد شعرت الكنيسة القبطية بالخوف من تآكل رعيتها وانضمامهم إلى كنائس الإرساليات البروتستنتية والكاثوليكية، وهذا ما حدث بالفعل إلى حد ما وبصورة محدودة. لكن هذا استفز الأقباط، فنهضت الكنيسة من خلال مدارس الأحد التي تأسست عام 1900، ومن خلال إنشاء الكلية اللاهوتية، بعد أن كان التعليم الديني قاصرًا على الكتاتيب الملحقة بالكنائس، كما أنشئت الجمعيات الأهلية للعمل الاجتماعي والديني، وأقيم المجلس الملي بغية الاهتمام بالشؤون المالية والإدارية في الكنيسة، ليتفرغ رجال الدين للعمل الدعوي والوعظ والتعليم. لقد تفاوت موقف البابوات من هذا التيار النهوضي ما بين الترحيب والامتعاض، والتشجيع والإحباط، وكان المجلس الملي الصخرة التي تحطم عليها سلام الكنيسة منذ الجزء الأخير من القرن التاسع عشر، حتى أُلغي باتفاق بين الرئيس عبد الناصر والبابا

كيرلس في الستينيات من القرن الماضي. وحتى السبعينيات من القرن الماضي لم يكن هناك صراع فكري يذكر في الكنيسة، حيث تقبّل البابوات والمطارنة وأساتذة اللاهوت الأفكار غير المعتادة على أنها تدخل في نطاق إبداء الرأي. كنت تجد قدرًا كبيرًا من التسامح الفكري فكان بعض الوعاظ البروتستانت يعظون في الكنائس الأرثوذكسية ويكتبون في مجلاتها. لكن منذ منتصف السبعينيات جرت عملية تخلُّص من أقطاب الفكر بصورة منهجية، فهذا الدكتور الأب غريغوريوس أسقف البحث العلمي الذي كان عمود الفكر اللاهوتي في عهد البابا كيرلس السادس (1959- 1971) يُقصى من منصبه كعميد لكلية اللاهوت ويمنع من التدريس فيها، بل وصدرت تعليمات شفوية للكنائس بعدم دعوته للصلاة والوعظ، كل هذا دون تحقيق أو توجيه تهم محددة، وكانت له هيبته العلمية واللاهوتية. هذا ويعد سيادته أستاذ الجيل ورائد الفلسفة المسيحية.

محنة متى المسكين:

أما الأب متى المسكين، الذي يُعد عميد الرهبنة القبطية في العصر الحديث، فقد قامت القيادة الكنسية بإثارة الشبهات حول كتاباته وفكره، فمُنِعت كتبه من التداول في الكنائس، بل حرقها البعض في ساحات الكنائس. وكان الأب متى المسكين قد أسس منذ أواخر الخمسينيات تيارًا تجديديًا في الفكر القبطي، يستند على فكر آباء الكنيسة في القرون الأولى، وذلك باطلاعه على فكر الكنائس الأرثوذكسية في روسيا واليونان ولبنان،

وكذلك باطلاعه على كتابات الآباء من خلال إتقانه للغتين اليونانية القديمة والإنجليزية، ولم يعترض البابا كيرلس السادس على فكره. هذا وقد تأثر بفكره واتجاهاته تلاميذه من رهبان دير القديس مقار، وكذلك د. جورج حبيب بباوي وماكس ميشيل (الأنبا مكسيموس) خريج الكلية الإكليريكية ود. نصحي عبد الشهيد وتلاميذه وغيرهم. ويقال إن د. جورج بباوي قد وجه اتهامات للبابا في فكره اللاهوتي مؤخرًا، مما حد بالقيادة الكنيسة أن ترشقه بحرم كنسي بغية القضاء عليه وشل قدرته، من خلال استخراج كتابات ومحاضرات له ترجع إلى نحو ربع قرن، إذ ترك د. جورج مصر عام 84.

لا شك في أن القرار الأخير يشوبه عوار، حيث لم يُستدعَ المتهم أو توجه إليه اتهام. كما حُرِم بناءً على أقوال قديمة كان يتعين على القيادة الكنسية أن تتحقق من إصراره عليها، مع دعوته إلى العدول عنها وإنذاره بالعقوب. لكن القيادة الكنسية لم تفعل شيئًا من هذا. بيد أن النية كانت مبيتة للتخلص منه وجرحه. إن القرار الكنسي معناه حرمانه من ملكوت السماوات والحياة الأبدية حسبما تعتقد الكنيسة.

أين الحل؟

إن فصول القصة لم تنتهِ فالمشكو في حقه قرر اللجوء إلى منظمات حقوق الإنسان الدولية وإلى محافل قانونية، ولا شك في أن صدور تقارير سلبية من هذه المؤسسات من شأنه أن

يسيء إلى مكانة الكنيسة القبطية محليًا وعالميًا، إذ يضعها في قائمة الهيئات المنتهكة لحقوق الإنسان.

ولا شك في أن استخدام سلاح الحرم والتهديد به في العقود الأخيرة لا نرى له مثيلًا في تاريخ الكنيسة القبطية أو في الكنائس الأخرى العربية مثل الكنيسة المارونية والروم الأرثوذكس وغيرهما، أو في أي كنيسة في العالم في العصر الحالي أو الماضي. بيد أن هناك خللًا ما في تقييم الأخطاء اللاهوتية في الكنيسة القبطية المعاصرة. لقد أشاع ذلك شعورًا بالخوف لدى المفكرين في الكنيسة، مما أدى إلى جمود فكري لم تشهده الكنيسة المصرية منذ نحو قرن ونصف، كما أدى إلى توقف المسيرة النهوضية التي بدأت منذ عهد البابا كيرلس الرابع أبي الإصلاح (1854-1861).

شهادة حنين عبد المسيح

الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وعصمة البابا

للأسف عدم الإيمان بعصمة البابا في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية هو كلام نظري فقط، ولكن الواقع العملي غير ذلك تمامًا. انظر إلى ردود الإخوة الأرثوذكس على أي شخص ينتقد البابا، مهما كان انتقاده بموضوعية وأدلة ومستندات، فلا بد أن يكون الجميع مخطئًا، من ينتقد والأدلة والمستندات، إلا البابا لأنه المعظم، صاحب القداسة، وراعي الرعاة، وقاضي المسكونة، وثالث عشر الرسل، وخليفة القديس مرقس، ومعلم الأجيال، ورئيس رؤساء الكهنة. فكيف يخطئ بعد كل هذه

الألقاب، التي تعطيها له الكنيسة الأرثوذكسية الموقرة الوفية لعريسها المسيح، الذي يلقبه الكتاب المقدس برئيس الكهنة فقط، وليس رئيس رؤساء الكهنة مثل البابا، فكيف تتساوى الرؤوس؟!

لذلك لو تجسد الرب يسوع المسيح وجاء إلى العالم من جديد وقال إن البابا مخطئ، فسوف يصلبه الأقباط الأرثوذكس من جديد.

الحمامة البابوية والخلفية الأرثوذكسية

من أكثر الممارسات التي تشوّه المسيحية وتنفر غير المسيحيين منها، ما يحدث في الكنيسة الأرثوذكسية المحترمة وما يشاهده الجميع على الفضائيات، من عبادات وثنية لا علاقة لها بالمسيحية ولا بالمسيح الذي أوصى قائلًا: "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (مت4:10). فالجميع يرى على الفضائيات كهنة الكنيسة الأرثوذكسية وهم يقدمون ممارسات العبادة المختلفة مثل البخور والصلوات والتسابيح والسجود، إلى جانب الله، لمعبودات عديدة أخرى، مثل الصور والصلبان والقديسين ورجال الإكليروس، وعلى رأسهم البابا البطريرك. فعندما يدخل البابا إلى الكنيسة يتوقف الجميع عن العبادة لله وتتوقف التسابيح والصلوات التي تُقدم له، ويعطي الجميع قفاه للإله المعبود صاحب البيت، ويوجهون أنظارهم إلى صاحب العظمة والقداسة -من وجهة نظرهم- البابا البطريرك ليقدموا له بدلًا من الله التسابيح والتراتيل والألحان، ثم يتقدم طابور المنبطحين

الذي يبدأ بالأساقفة الأجلاء يليهم القسوس الموقرون، ثم الشعب المسكين، ليسجدوا أمامه ويضعون رؤوسهم عند قدميه وهم يحنون ظهورهم لتصبح خلفيتهم "التاريخية الفرعونية" أمامه ليمتع ناظريه بها، وحبذا لو ظهرت حمامته ووقفت وانتصبت أمامه على المكتب كما حدث من قبل، وعلق هو على ذلك بقوله إن الحمام لا يطير في العادة ليلًا، ليثبت أنها معجزة من الله تعبيرًا عن تأييد السماء له.

هذه المظاهر والعبادات الوثنية هي التي تشين المسيحية، وتجعل من الأرثوذكسية وصمة عار على جبين المسيح الطاهر وهو منها براء. والعجيب أن بعد كل ذلك تدّعي الكنيسة الأرثوذكسية أنها تفعل ذلك على سبيل الاحترام والتوقير والإكرام وليس العبادة، تمامًا مثل الزوجة الخائنة التي تقدم لأقارب وأحباء زوجها كل ما تقدمه له حتى جسدها، وتدّعي أنها إنما تفعل ذلك على سبيل إكرامهم وكأنها لم تفعل إثمًا.

"كذلك طريق المرأة الزانية أكلت ومسحت فمها وقالت ما عملت إثمًا" (أم 20:30).

فليت الكنيسة الأرثوذكسية تتوب عن هذه الممارسات الوثنية التي تشوه المسيحية، وتجلب غضب الله على الكنيسة.

لماذا أوقف البابا شنودة القمص زكريا بطرس؟

بعدما قرر الراهب أنطونيوس السرياني السير في خطى سميه (الأنبا أنطونيوس مبتدع الرهبنة الأرثوذكسية) وهو في طريقه إلى الرهبنة اتخذ لنفسه شعار "ليس لي شأن بغيري"، وعبّر عن ذلك حينذاك في قصيدته الشهيرة "سائح" التي يقول في مطلعها:

أنا في البيداء وحدي ليس لي شأن بغيري

والتزم الراهب أنطونيوس السرياني بهذا الشعار طوال حياته، حتى بعد أن أصبح البابا شنودة الثالث راعي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، فقد تعلم هذا الدرس جيدًا من معلمه أنبا أنطونيوس الذي تنصّل من مسؤوليته تجاه أخته الوحيدة التي تصغره، بعد وفاة والديهما، فتركها في بيت للعذارى وذهب بعيدًا عنها، ليترهب في الصحراء، ولسان حاله يقول "ليس لي شأن بغيري"، والذي كان يعلم تلاميذه الرهبان قائلًا: [إن شئت أن تخلص فلا تدخل بيتك الذي خرجت منه ولا تبصر آباءك ولا أقرباءك الجسدانيين وإلا فأنت تظل كل زمانك بلا ثمرة]. والذي سأل ذات مرة أحد تلاميذه الرهبان عن أهله قائلًا: [أخبرني يا عزيزي هل أنت تحزن لأحزانهم وبلاياهم وتشاركهم أفراحهم ومسراتهم؟] فاعترف بأنه يفعل ذلك، فقال له: [ينبغي أن تعلم أنك ستُدان في اليوم الأخير بنفس الدينونة، مع الذين أنت الآن ميّال إلى مشاركتهم في مكسبهم أو خسارتهم، وفي فرحهم أو حزنهم] (فردوس الآباء- رهبان رهبان رهبان برية شهيت-

ط3/2008- ص54). ويتضح التزام البابا شنودة بشعاره "ليس لي شأن بغيري" من إنفاقه ملايين الجنيهات من أموال الكنيسة على احتفالاته الخاصة به، مثل الاحتفالات السنوية بأعياد جلوسه ورهبنته، وإنفاقه ببذخ على سياراته وملابسه المرصعة بالمجوهرات، ومقره الفخم وسفرياته التي لا تنقطع لأمريكا للعلاج، وغيرها الكثير من مظاهر الترف والإسراف في إنفاق أموال الكنيسة، التي يجب أن تُنفق بالأولى على الخدمة وتسديد احتياجات الفقراء، وحل مشكلات الشباب الذي لا يجد فرصة عمل ولا يستطيع أن يتزوج. فليس اعتباطًا أن يوصي الكتاب بأن يكون الأسقف الراعي متزوجًا (وليس راهبًا) وله أولاد، يكون قد رباهم تربية حسنة بروح أبوية باذلة غير أنانية، ومدبرًا لبيته حسنًا، وإلا فكيف يعتني بكنسية الله؟! "يجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة. يدبر بيته حسنًا له أولاد في الخضوع بكل وقار. وإنما إن كان لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله" (اتى 3:2-5)، وليس اعتباطًا أن يوصي الكتاب بالابتعاد عن الأنامالية والأنانية والاهتمام بالآخرين اتباعًا لخطى الرب يسوع المسيح، الذي اهتم بالعالم، تاركًا أمجاد السماء، متجسدًا في شكل العبد لأجل خلاص البشرية، "لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضًا فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضًا. الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلًا لله لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائرًا في شبه الناس وإذ وجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب"

(في 4:2 -8). فلم يكن أبدًا شعار المسيح "ليس لي شأن بغيري" طوال حياته على الأرض، ولا حتى وهو في السماء قبل التجسد ولا بعد الصعود. فهل تعود الكنيسة الأرثوذكسية إلى الطريق المستقيم في اختيار البطاركة والأساقفة وتلتزم بالشروط التي وضعها الكتاب، فتختار زوجًا ناجحًا ومربيًا فاضلًا ومدبرًا حسنًا لبيته، حتى يكون راعيًا صالحًا مستعدًا لبذل نفسه عن الخراف، ولا يكون لسان حاله "ليس لي شأن بغيري". فقد علمنا الرب يسوع المسيح أن الراعي الصالح هو الذي يبذل نفسه عن الخراف أما الأجير فهو الذي عندما يرى الذئب مقبلًا يترك الخراف ويهرب قائلًا: "ليس لي شأن بغيري"، وهو ما فعله البابا شنودة الثالث عندما هجمت ذئاب السلطة على القمص زكريا بطرس، حينما كان يبشر في مصر طاعة لوصية سيده: "تلمذوا جميع الأمم وعمِّدوهم باسم الأب والابن والروح القدس" (متى 19:28). فعوض أن يتصدى البابا في ذلك الوقت للذئاب لحماية ابنه القمص زكريا بطرس، تضامن معهم وأوقفه عن الخدمة تسع سنوات. وفي الأيام الأخيرة طلع علينا الأنبا بيشوي الرجل الثاني في الكنيسة القبطية الأثوزكسية، والممثل الأول للبابا شنودة، ليلوّح عبر الفضائيات بشلح القمص زكريا بطرس إرضاءً للسلطة وتجنبًا للمشكلات وفرارًا من الذئاب. ولا عزاء للكنيسة الأثوزكسية.

مضلل أم معلم الأجيال؟

بدعة الكهنوت الخاص برجال الإكليروس (القسوس والأساقفة وعلى رأسهم البطريرك) هي البدعة التي تؤمن وتعلم بها الكنيسة الأرثوذكسية عمومًا والقبطية خصوصًا، وعلى رأسها غبطة البابا شنودة الثالث الذي يلقبونه "معلم الأجيال"، والتي يؤكدها في كتابه "الكهنوت". هذه البدعة تؤكد أن لرجال الإكليروس كهنوتًا خاصًا بهم يميزهم عن باقي أفراد الشعب (المؤمنين)، وهو الامتداد أو المقابل أو البديل في المسيحية للكهنوت اللاوي في اليهودية، وأنه لا يتعارض مع الكهنوت الخاص بالرب يسوع المسيح، وغير الكهنوت الروحي العام لجميع المؤمنين، وهذا الكهنوت الخاص بالإكليروس يعطي رجال الإكليروس سلطانًا كهنوتيًا لمنع أو منح الشعب البركات الروحية الإلهية، بصفتهم وسطاء بين الله والناس.

كهنوت الإكليروس وأسرار الكنيسة السبعة المزعومة

رجال الإكليروس في الكنيسة الأرثوذكسية هم وكلاء الله على الأرض، ولهم وحدهم حق ممارسة ما يسمى بأسرار الكنيسة السبعة، والتي من خلالها يمنحون الشعب البركات الإلهية، وهي بحسب اعتقاد الكنيسة الأرثوذكسية:

1- الولادة الجديدة والبنوة لله في سر المعمودية.

2- مسحة الروح القدس في سر الميرون (أو المسحة).

3- غفران الخطايا في سر الاعتراف (أو التوبة).

4- جسد المسيح ودمه في سر التناول (أو الإفخارستيا).

5- شفاء الأمراض في سر مسحة المرضى (أو القنديل).

6- الاتحاد الزيجي في سر الزواج (أو الزيجة).

7- الكهنوت الخاص في سر الكهنوت.

وسنوضح هنا استنادًا على تعليم الكتاب المقدس، وردًا على غبطة البابا شنودة الثالث أنه لا وجود لما يسمى "كهنوت الإكليروس" في المسيحية، وإنما هو بدعة أرثوذكسية خالصة، ولا يوجد في الكنيسة كهنوت خاص بفئة معينة دون باقي المؤمنين، إلى جانب الكهنوت الروحي العام الذي يتمتع به كل المؤمنين، سوى الكهنوت الخاص بالرب يسوع المسيح، رئيس الكهنة الأوحد للعهد الجديد. وهو وحده الوسيط والشفيع بين الله والناس، والذي بواسطته ننال البركات الروحية السماوية من الله. وسنوضح أيضًا أن الكهنوت الروحي العام لكل المؤمنين مستمد ومبنيٌّ على كهنوت الرب يسوع المسيح، الذي بواسطته وحده نستطيع أن نتقدم إلى الله ككهنة، لنقدم له ذبائحنا الروحية من تسابيح وتشكرات وصلوات وخدمات وكرازة... إلخ، فنجد ومعنا ذبائحنا القبول عنده.

البابا شنودة الثالث مضلل أم معلم الأجيال؟

الكهنوت اللاوي اليهودي في العهد القديم كان رمزًا وظلًا لكهنوت الرب يسوع المسيح في العهد الجديد، وليس لكهنوت الإكليروس المزعوم. فكهنوت المسيح هو المقابل والبديل الأفضل والأكمل بما لا يقاس للكهنوت اللاوي، وليس كهنوت الإكليروس

كما يُعلِّم البابا شنودة الثالث في كتابه "الكهنوت". وسنترك في نهاية هذا الفصل للقارئ العزيز الإجابة على السؤال الذي يطرح نفسه بعد ذلك، ألا وهو: هل يصح أن نطلق على البابا شنودة لقب "معلم الأجيال" أم "مضلل الأجيال"؟

رد على البابا شنودة الثالث:

هذا المذبح الروحي الذي يُقدِّم عليه مؤمنو العهد الجديد (المسيحيون) ذبائحهم الروحية، هو الذي تنبأ عنه إشعياء، وقال إنه سيكون موجودًا في أرض مصر.

"في ذلك اليوم يكون مذبحًا للرب في وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها.. فيُعرَف الرب في مصر ويَعرِف المصريون الرب في ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة، وينذرون للرب نذرًا ويوفون به" (إش 19:19-21). فهو مذبح روحي تُقدَّم عليه ذبائح روحية وليس مذبحًا مبنيًا من حجارة مادية (مذبح الكنيسة الأرثوذكسية) كما يعلم البابا شنودة الثالث في كتابه الكهنوت (ج1 – طبعة 1989/3، ف6، ص89، 90)

وبنفس المعنى تنبأ أيضًا ملاخي النبي عن البخور الروحي (الذي هو صلوات القديسين أي المؤمنين) كما جاء في (رؤ 8:5) وليس بخورًا ماديًا، كالذي كان يقدمه كهنة العهد القديم وعاد إليه كهنة الكنيسة الأرثوذكسية المزعومون، كما يعلم البابا شنودة أيضًا في نفس الموضع السابق من كتابه "الكهنوت"، عن نبوة ملاخي التي يقول فيها: "لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها

اسمي عظيم بين الأمم وفي كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود". (ملا 11:1).

فالبخور في العهد الجديد روحي، والتقدمة روحية، كما أن الذبائح روحية وليست مادية حيوانية.

البابا يحرف آيات الكتاب المقدس ليثبت عقيدته المضللة:

إن المؤمنين الخدام المبشرين، حينما يأتون بمؤمنين جدد، إنما يقدمونهم لله كقرابين أو تقدمة طاهرة روحية على مذبح العهد الجديد الروحي، كما قال بولس الرسول عن نفسه كخادم مبشر للأمم، مثله مثل باقي المؤمنين الخدام المبشرين، الذين يخبرون الآخرين بفضائل الذي دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب (1بط 9:2)، وليس كرسول له كهنوت خاص هو كهنوت الإكليروس المزعوم، كما يعلم البابا شنودة الثالث الذي يطلقون عليه "معلم الأجيال" في كتابه "الكهنوت" ج1 طبعة 1989/3 – ف1 – ص20. حيث يستخدم الآيات التي قالها بولس الرسول في هذا الشأن بعد تحريفها بالحذف والإضافة والتبديل، لكي يثبت عقيدته وعقيدة كنيسته الأرثوذكسية المضللة، عن كهنوت الإكليروس. فيحذف البابا عبارة "خادمًا ليسوع المسيح لأجل الأمم"، التي قالها بولس عن نفسه، لكي يوحي البابا للقارئ بأن بولس يتكلم بصفته رسولًا له كهنوت خاص (كهنوت الإكليروس)، وليس كخادم له كهنوت عام يتمتع به، مثله مثل بقية إخوته الخدام المبشرين في كل مكان وزمان،

كما يبدل البابا كلمة "الله" بكلمة "المسيح" لكي يوحي البابا للقارئ بأن بولس يتكلم بصفته كاهنًا لدى المسيح (له كهنوت خاص)، وليس بصفته كاهنًا لدى الله (له كهنوت عام)، مثله مثل باقي الخدام المبشرين. فأورد البابا الآيات كالآتي: "... حتى أكون مباشرًا لإنجيل المسيح ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولًا مقدسًا بالروح القدس" (رو 16:15).

ومثال آخر وليس أخير لتحريف البابا شنودة الثالث لآيات الكتاب المقدس: إضافة عبارة "فقد استؤمنت على وكالة" وسط الآية التي وردت في (1كو 16:9)، والتي أوردها البابا في كتابه "الكهنوت" (ج1، طبعة 1989/3، ف4 ص54) كما يلي: "إن كنت أبشر فليس لي فخر إذ الضرورة موضوعة عليَّ. فقد استؤمنت على وكالة، فويل لي إن كنت لا أبشر" (1كو 16:9،17).

فنص الآية الواردة في (1كو 16:9) والتي تبدأ بـ"إن كنت أبشر" وتنتهي بـ"فويل لي إن كنت لا أبشر". نصها الأصلي الصحيح كما وردت في الكتاب المقدس هو "لأنه إن كنت أبشر فليس لي فخر، إذ الضرورة موضوعة عليَّ. ويل لي إن كنت لا أبشر" (1 كو 16:9). فلكي يقنع البابا القارئ بعقيدة كهنوت الإكليروس المزعومة، يقحم في وسط الآية عبارة "فقد استؤمنت على وكالة"، لكي يدلل على أن بولس له كهنوت خاص بصفته وكيلًا لله على الأرض، كما يدعي إكليروس الكنيسة الأرثوذكسية عن أنفسهم. ويؤكد بولس الرسول أنه لا يختص بكهنوت إكليروسي خاص به، فيدعو كل المؤمنين ككهنة لتقديم أجسادهم كذبائح روحية، من خلال عبادتهم العقلية، فيقول:

"أطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حيّة مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية" (رو 1:12).

كما يترك البابا المقطع الأول والمقطع الأخير من الآية الواردة في (إش 8:42) ويوردها في كتابه "الكهنوت" ج1 طبعة 1989/3 – ص124 كالتالي: "مجدي لا أعطيه لآخر" (إش 8:42). أما نصها الكامل كما جاءت في الكتاب المقدس هو: "أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات" (إش 8:42). فلكي يحلل البابا تلقيبه (والأساقفة أيضًا) في الكنيسة، بالألقاب الخاصة بالرب يسوع المسيح بصفته الرب، مثل لقب رئيس الكهنة وراعي الرعاة، يتجاهل عبارة "أنا الرب هذا اسمي" من الآية السابقة، ويستطرد في حديثه مُظهرًا أن البشر يمكن أن يُلقّبوا ببعض ألقاب المسيح مثل الراعي والمعلم والأب... إلخ، ويتجاهل أن هذه الألقاب تختلف عن الألقاب التي تخص المسيح وحده، بصفته الرب، مثل لقب "رئيس الكهنة" و"راعي الرعاة".

مقارنة بين بعض الآيات التي حرّفها البابا شنودة والآيات الأصلية:

الآية كما حرفها البابا شنودة الثالث	الآية كما وردت في الكتاب المقدس
في كتاب "الكهنوت" (ج1، طبعة 1989/3. ص 20: "... حتى أكون مباشرًا لإنجيل المسيح ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولًا مقدسًا بالروح القدس" (رو 16:15).	"حتى أكون خادمًا ليسوع المسيح لأجل الأمم مباشرًا لإنجيل الله ككاهن ليكون قربان الأمم مقبولًا مقدسًا بالروح القدس" (رو 16:15).
ص54: "إن كنت أبشر فليس لي فخر، إذ الضرورة موضوعة على فقد استؤمنت على وكالة، فويل لي إن كنت لا أبشر" (1 كو 16:9، 17).	"لأنه إن كنت أبشر فليس لي فخر إذ الضرورة موضوعة عليّ. فويل لي إن كنت لا أبشر" (1 كو 16:9).
في كتاب "الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي" – طبعة 2005/15 – رقم إيداع 1980/4205، ص90: "لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الأخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين بالأعمال الصالحة" (2بط 10:1).	"لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الأخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين. لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبدًا" (2 بط 10:1).
في كتاب "اللاهوت المقارن" (ج1، طبعة 1995/4 – رقم إيداع 1991/8183. ص 122: "لا تفرحوا بهذا. بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت في ملكوت السموات" (لو 20:10).	"لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت في السموات" (لو 20:10).

هذه أمثلة قليلة من الكثير من آيات الكتاب المقدس التي يحرفها البابا شنودة الثالث، سواء بالحذف أو الإضافة أو التبديل أو القطع من السياق، لكي يثبت بها عقيدته (عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية) معتمدًا على ثقة الشعب العمياء فيه وفي أمانته، وعلى أن لا أحدًا يراجع كتبه وعظاته على الكتاب المقدس.

1- سقوط صنم البابا المُعَلِم

أنا وُلِدت في عائلة أرثوذكسية، وتربيت في كنيسة مارجرجس بخمارويه بشبرا مصر، وأصبحت شماسًا وخادمًا في مدارس الأحد، وكنت أُعلِم الألحان والتسبحة واللغة القبطية، وكنت أحب القراءة من صغري، أنهيت قراءة الكتاب المقدس كله وأنا في الثانوي، ودرست عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية وطقوسها وتعاليم آبائها وكل ما بها جيدًا، وكنت أعشق البابا شنودة بعد ربنا، وكان شفيعي من القديسين البابا كيرلس السادس، وكنت أقرأ كتب البابا شنودة وأرُد منها على البروتستانت، خصوصًا كتاب "الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي"، كنت دارسًا جيدًا له لدرجة الحفظ، وكنت مواظبًا على اجتماع البابا. وفي أوائل العشرينيات من عمري، أي منذ أكثر من 30 سنة، دعاني أحد الأشخاص لحضور اجتماع استثنائي للبابا، سيرد فيه على كتاب لخادم يُدعى عماد نزيه، اسمه "الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي السليم"، يرد فيه عماد على كتاب البابا. وحضرت، وظل البابا نحو ساعتين يرد على عماد بأسلوب استهزائي، وحاول عماد أن يرد أو يناقش، ولكن البابا منعه أكثر من مرة، على أن يعطيه فرصة في النهاية.

وفي النهاية قام عماد ليرد فقاطعه البابا بعد دقائق من كلامه، وقال له ما معناه: "اسمع يا ابني، الكاهن له سلطان يغفرلك الخطايا لما تعترف له بيها ولا لأ؟"، فبدأ عماد يرد ويشرح وجهة نظره، فقاطعه البابا بعد ثوانٍ مرة أخرى وقال له ما معناه: "جاوب، آه ولا لأ، الكاهن له سلطان يغفرلك الخطايا

ولا لأ؟" فأجاب عماد: "لأ"، فعلي الفور قال البابا: "تبقى إنت مش أرثوذكسي". وبعد الصلاة أصدر البابا حرمًا ضد عماد نزيه قائلًا: "من فمي ومن فم الآباء الأساقفة الحاضرين أنت مقطوع من الكنيسة الأرثوذكسية"، فرفع عماد يده وقال بقوة: "مجدًا للرب!"، فرد رجل من الحاضرين على عماد بصوت عالٍ قائلًا: "اطلع برة يا ابن الكلب"، تحت سمع الجميع، ولم يحرك البابا إزاء ذلك ساكنًا، فخرجتُ مذهولًا من هذه المفارقة الصادمة، فالذي قال "مجدًا للرب" هو الذي حرمه البابا، والذي شتم في الكنيسة لم يحرم ولا حتى قيل له عيب. فالجميع وعلى رأسهم البابا شاركوا في رجم عماد بهذا الحرمان وهذه الشتيمة. وأنا كنت حاضرًا، وخرجت شاعرًا بمدى الظلم الشديد الذي تعرض له هذا الشخص، الذي لم أكن أعرفه من قبل ولا رأيته مرة أخرى فيما بعد. وخرجت مصممًا على أن أسمع دفاع عماد عن نفسه، الذي لم يعطه البابا فرصة لذلك، ولم أجد وسيلة لذلك سوى البحث عن كتابه هذا وقراءته، وهذا ما حدث بالفعل.

وفوجئت بأن عماد يشير في كتابه إلى آيات عديدة حرفها البابا بالحذف مرة وبالإضافة أخرى وأيضًا بالتبديل والقطع من السياق، لتوصيل ما يريده للقارئ. وأحضرت الكتاب المقدس لأراجع عليه ذلك، وفوجئت بأن كل ما يقوله عماد صحيح ومطابق للكتاب، وسقط صنم البابا المعلم أمام عيني، وأدركت أنه كاذب مُدلِّس يعتمد على ثقة الشعب العمياء فيه، وعلى أن لا أحدًا يراجع وراءه على الكتاب، وعرفت الحق الكتابي في

موضوع الخلاص، وأيقنت بعدها أني ذاهب للسماء فقط لأني أؤمن بفداء الرب لي على الصليب، والموضوع ليس متوقفًا على أعمالي ولا على الأسرار الكنسية أو غيرها، بل فقط لأني مُفدَى وهناك من مات عوضًا عني، فلن أموت، بل مصيري الحياة الأبدية، إذًا فمجدًا للرب كما قال عماد.

وهكذا اختبرت بهجة الخلاص من الدينونة ويقين ميراث الحياة الأبدية (اختبار الولادة الجديدة من الله)، وأكد يقيني هذا كتاب آخر وضعه الرب في طريقي، لكاتب أرثوذكسي أمين، هو الدكتور نصحي عبد الشهيد، وهو كتاب "المسيح الكاهن والشفيع"، وأيقنت مما أورده في كتابه من الرسالة إلى العبرانيين، أن الشفيع الوحيد ورئيس الكهنة الحقيقي هو فادي الحبيب الرب يسوع المسيح، والذي بشفاعته وحده نلت الغفران والتبرير، له وحده كل المجد. آمين!

2- شهادة في مواجهة أسقف

هذه القصة حدثت معي، ومع خادم من أعز وأنجب أبنائي الروحيين في الخدمة، في كنيسة مار جرجس بخمارويه بشبرا مصر القاهرة، منذ نحو 20 سنة وقبل خروجي من الأرثوذكسية بنحو 8 سنوات على ما أذكر. ساعتها كنت أمينًا لأحد الاجتماعات وشمَّاسًا في الكنيسة الأرثوذكسية، وهي قصة صدام مع الأنبا بسنتي الذي أرسله البابا شنودة للإشراف على الخدمة وحل مشكلاتها في كنيسة مارجرجس بخمارويه. ودعا الأنبا بيسنتي لاجتماع لكل الخدام لرأب الصدع وحل المشكلات التي

تفاقمت بينهم، أو بين خدمة اجتماعات البنين وخدمة اجتماعات البنات، وطلب منا أن يقتصر اهتمام كل واحد على الخدمة الروحية لأولاده ولا يتدخل في أي أمور أخرى، ووقف دكتور شاب خادم كان من أعز أبنائي الروحيين إلى نفسي في ذلك الوقت، (د. صفوت وديع سابا وهو الآن بأستراليا)، وأبدى رأيًا معارضًا لكلام الأسقف، مفاده أن الخدمة يجب أن لا تقتصر على الروحيات فقط، بل علينا أن نهتم أيضًا باحتياجات المخدومين النفسية والجسدية، كما كان يفعل الرب يسوع. وجن جنون الأسقف لأن شابًا يعارضه، وأمره أن يسكت، فاستمر في الكلام، فقال له الأسقف: "أنت محروم من الخدمة والتناول"، وغلى الدم في عروقي لأني رأيت ابني وأحد خرافي (رعيتي) يُذبح ظلمًا وسط الجميع دون اعتراض من أحد، لا الكهنة الحاضرين ولا الخدام، فوقفت وقلت للأسقف:

"أنا معترض على هذا الحرمان الذي يخالف قوانين وقواعد كنيستنا الأرثوذكسية فالدسقولية (كتاب تعاليم الرسل، وهو ثاني كتاب في الكنيسة الأرثوذكسية بعد الكتاب المقدس) تقول إن الأسقف الذي يصدر حكمًا فوريًا بالحرم على أحد دون محاكمة أو تحديد تهمته أو خطيئته وإعطائه فرصة للتوبة أو للدفاع عن نفسه، يرتد حرمه أو حكمه على نفسه، يعني نيافتك اللي محروم".

هاجت الدنيا وماجت وارتفع صوت المباحثات والمناقشات الجانبية، ولكي يمسك الأسقف بزمام الأمور قال لي: "وانت كمان محروم من الخدمة والتناول"، وأمر بإخراجنا خارج

الكنيسة، فأجبته إنني سأخرج في حالة واحدة، هي أن يطلب أو يوافق إخوتي الخدام المجتمعين على ذلك. ولما لم تهدأ الشوشرة، فضّلت الخروج، وفوجئت بالخدام يغلقون الباب ويمنعونني من الخروج، وكانت لطمة على وجه الأسقف، وتدخل أبي الروحي وأب اعترافي في ذلك الوقت، القس موسى وهبة مينا، وسهّل خروجي من الاجتماع، ولكي يهدّئ الأسقف الأمور قال: "الذي يأتي معتذرًا سوف نحلّه". وبالطبع رفضت الاعتذار لأنني لم أخطئ، وفي اجتماع تالٍ قدّم الدكتور الشاب اعتذاره، وفوجئنا بعدم الحل، بحجة أن الموضوع أصبح في يد البابا رأسًا. ورفعت يدي لأُعلّق، فرفض الأسقف إعطائي الفرصة، فخرجت من الاجتماع وذهبت لأكتب ما كنت أود أن أقوله ولم أستطع، في رسالة مفتوحة للأسقف، وعيني تذرف الدموع من الظلم الواقع على ابني وعليّ.

كتبت بأسلوب ملتزم بكل قواعد وآداب الحوار مع أسقف، وذكرت كل ما حدث، ورأي قوانين الكنيسة وتعاليم البابا في هذا الشأن، والتي تؤكد ارتداد الحرم على الأسقف، وطبعتها ووزعتها على خدام الكنيسة، وتناقلتها الأيدي إلى الكنائس الأرثوذكسية الأخرى بالمحافظات المختلفة، بل وإلى كنائس المهجر، وكل من يريد التعبير عن رأيه في الاعتراض والاحتجاج على جبروت وظلم رجال الأكليروس في كل مكان، كان يطبعها ويوزعها. فانتشرت في كل مكان وكانت فضيحة كبيرة للأسقف. وبعد فترة تدخل 2 من القسوس لحل المشكلة ورفع تلك الحروم، وتم ذلك بالفعل، وعدت وابني بعدها للخدمة

والتناول، ولكن بعد سقوط صنم رجال الأكليروس في نظري، ومنذ ذلك الحين امتنعت عن الانحناء أو تقبيل يد أي شخص منهم.

3- شهادة في مواجهة الشمامسة والقسوس

في بدايات عام 1996 تجمعت حولي جميع أنواع المشكلات والضغوط في كل دوائر حياتي: العمل والأسرة والخدمة، بالإضافة إلى الضعف والفتور الروحي، وأصبحت حياتي الروحية تمامًا كما قال الرسول بولس في (رومية7): "إن الإرادة حاضرة عندي وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد. لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا، بل الخطية الساكنة في... ويحي أنا الإنسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت. أشكر الله يسوع المسيح ربنا. إذا أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية" (رو7:18-20، 24-25). وهي حالة الإنسان المولود من الله لأنه لا يستطيع التصالح مع الخطية أو الارتياح لحالة السقوط، لأنه عنده إرادة إرضاء الله أبيه، ولكنه يفتقر إلى قوة الروح القدس التي تعطليه حياة النصرة والرفعة فوق الضعفات والشهوات، وتمكّنه من إرضاء الله كما في (رومية 8). وظل الرب يضغط على أو يتركني للضغوط التي لم يكن ممكنًا أن أواجهها وأنتصر عليها دون نعمة وقوة جديدة من روحه القدوس، أو ملء من روحه القدوس (أو معمودية روح يوم الخمسين) التي تعطى:

1- قوة النصرة على الخطية والسلوك حسب الروح وليس حسب الجسد. (رو 8:1-13).

2- سماع صوت الله بوضوح أو الانقياد بروح الله. (رو 8:14-16).

3- حرارة روحية في الصلاة والعبادة من قلب حار. (رو 8:26-27).

4- قوة للشهادة للحق أو للمسيح بجرأة، دون اعتبار لأي تكلفة أو خسارة. "ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهودًا". (اع 1:8).

وقررت الذهاب إلى مؤتمر للخدام والشباب دُعيت إليه تابع لكنيستي (مارجرجس بخمارويه بشبرا) للاختلاء بالرب، وفي ليلة صلاة بالمؤتمر كان يقودها بالروح أحد الخدام الذين اختبروا الرب خارج الكنيسة الأرثوذكسية ثم عاد ليخدم فيها، وبدأ الرب يكلمني على لسانه. وصليت للرب صلاة من كل القلب بدموع، وقلت له: "يا رب أنت تعلم أني أحبك وتعلم أني أحب أن أرضيك ولكنني عجزت أن أفعل ما يرضيك". واعترفت أمامه بضعفي وعدم قدرتي على أن أحيا الحياة التي يريدها، فلم تمكنِّي من ذلك لا خدمتي ولا مواظبتي على ممارسة أسرار بعظة القداس.

بعد ذلك فتح الرب أمامي بابان آخران للخدمة، أحدهما الوعظ في القداسات، وهي أكبر خدمة، كلمة في الكنيسة، كلفني بها نفس القس "ك" الذي كلفني بخدمة الشمامسة، وكان على

خلاف مع القس "ش" المتعصب ضد الأخت الخادمة "ن"، وأيضًا كلفني القس الآخر "م" الذي كان يؤيد تلك الأخت بعمل اجتماع جديد روحي للشبان فقط، ليكون على نفس نمط اجتماع الشابات الذي تخدمه تلك الأخت "ن". وهو ما حدث بالفعل، وأخذت نبرتي في الشهادة لمجد ولحق الرب ترتفع وتتسع في كل الاجتماعات التي أصبحت أخدم فيها، وعلى رأسها الوعظ في القداسات. وأصبحت تُسند إلى عظة قداس الجمعة الثانية من كل شهر بصفة منتظمة، وكانت كلها عظات خلاصية تركز على عمل النعمة والدم المسفوك على الصليب، وليس أعمال الإنسان. على عكس ما كان يعلمه البابا المضلل وباقي المعلمين الكذبة في الكنيسة الأرثوذكسية. ورغم وجود معارضات تتصاعد يومًا فيومًا ضد خدمتي إلا أن أحدًا لم يجرؤ على اتهامي بالبروتستانتية لمعرفة الجميع لي منذ صغري، وثقتهم بأنني ليس لي أي علاقة بأي كنيسة بروتستانتية ولا خدام بروتستانت. وكانت هذه هي الحقيقة بالفعل، فأنا لم أحضر أو أصلي أو أخدم في أي كنيسة غير أرثوذكسية، حتى بعد خروجي من الكنيسة الأرثوذكسية بنحو عام، ورغم بعض المعارضين استمر الرب فاتحًا أبواب الخدمة والشهادة أمامي.

استمرت الحال على هذا المنوال حتى شهر أكتوبر1997، وكلفني الرب أن أعظ في عظة قداس هذا الشهر عن "الرعاة الباطلون"، وأن أستشهد بحفني وفنحاس اللذين كانا يأخذان أكثر من نصيبهما من الذبائح وكانا يضاجعان نساء شعب الله في باب خيمة الاجتماع، وهما نفس الخطئين اللذين بدأت رائحتهما

تفوح حول القس "ك" الذي كان يكلفني بالوعظ، وكان معنى ذلك انتهاء هذه الخدمة الكبيرة بالنسبة لي، ولم أستطع التملص من هذه المهمة، حيث كان الرب وطاعتي له أهم عندي من أي شخص ومن أي خدمة. وبالفعل وعظت عن هذا الموضوع، وبعد ذلك قال لي ذلك القس "ك" إن هناك أحد القسوس "ش" يشكو من أنك تلمح إليه في عظاتك، وكان كلامه يحتوي على تهديد ضمني بسحب هذه الخدمة مني لو "ملميتش الدور". فأجبته إن الرب يسوع هو وحده الذي يفتح أبواب الخدمة ولا أحد يغلقها، وهو وحده الذي يغلق ولا أحد يفتح. وفوجئت بأنه بعد ذلك وضع اسمي في جدول وعظ الشهر التالي.

كانت هي العظة الأخيرة لي في الكنيسة الأرثوذكسية، وكانت يوم اليوبيل الفضي لتنصيب البابا شنودة الثالث (11/14/ 1997)، وتم الاحتفال بهذه المناسبة على مستويين، الأول في الدير يوم الأربعاء 1997/11/12 والثاني في الكاتدرائية يوم 11/14/ 1997. وبلغتني أخبار الاحتفال الأول ومدى التمجيد والتعظيم، بل والعبادة التي قدمت له فيه من سجود وبخور وألحان وترانيم وتسابيح بحمده، لأنه رأس الكنيسة المنظور ورئيس رؤساء الكهنة وراعي الرعاة وقاضي المسكونة، وبالاختصار ملك الكنيسة ورئيس كهنتها. ولا أعتقد أن احتفالات مثل هذه قد أقيمت للرب نفسه بهذه الضخامة والتعظيم والتكاليف، من قبل ولا بعد ذلك في الكنيسة الأرثوذكسية، سواء احتفال الأربعاء الذي سبق عظتي أو احتفال الجمعة الذي تلاها، وكلفني الرب بإعلانات وتأكيدات عديدة بموضوع العظة،

وهو باختصار أن الرب يسوع هو رئيس كهنة الكنيسة، وملكها الحقيقي الذي ينبغي له وحده التكريم والتعظيم والعبادة والسجود. وأيقنت أنها ستكون آخر عظة لي، في الكنيسة الأرثوذكسية على الأقل، إن لم تكن آخر خدمة لي فيها على الإطلاق، وكان الرب عندي أغلى من الخدمة والكنيسة وكل شيء وكل شخص. وقلت له: "يا رب إن خدمة المنبر سأضعها عند قدميك هدية حب لشخصك العظيم"، وبالفعل هذا ما حدث، واستمرت العظة لمدة ساعة كاملة، وهو ما لم يحدث من قبل في أي قداس، وكانت الشهادة واضحة ضد الجالس على كرسي الشيطان في الكنيسة ليتقبل التعظيم والتمجيد والسجود بدل الملك ورئيس الكهنة الحقيقي للكنيسة، وما زاد الأمر صعوبة أنني ختمت العظة بترنيمة باللغة العربية وليس بلحن من ألحان الكنيسة، رنَّمتها أنا ومن معي من الشباب الذي كان يحضر الاجتماع الذي أنشأناه حديثًا، كما سبق وذكرت، وبعض الشابات وابنتي الكبرى "شيري"، في دورة طفنا فيها صحن الكنيسة بين الصفوف ثلاث مرات. وكان هذا كسرًا واضحًا لصنم طقس الكنيسة وتقاليدها التي يجب مراعاتها ولو على حساب مجد الرب. وكان سلطان الرب مسيطرًا تمامًا على كل الأمور، فرغم وجود كل قسوس الكنيسة الأربعة وأعضاء مجلسها وشمامستها وخدامها، فإن أحدًا لم يقدر أن يحرك ساكنًا أو يوقف سائرًا، وكأن الرب أوقع سباتًا على كل المسؤولين الذين كان بإمكان أصغر شخص فيهم إيقاف العظة

أو على الأقل الترنيمة والدورة، ولكن هو الرب والسيد الوحيد الذي إن شاء فعل رغم أنف الجميع.

وحدث ما توقعته، فقد عقد قسوس الكنيسة اجتماعًا عاجلًا بعد القداس بما فيهم أبي الروحي "م"، وهو مضغوط عليه، اجتمعوا وكتبوا بيانًا يستنكرون فيه ما قيل وما حدث من حنين، ويعلنون فيه ولاءهم لقداسة البابا (على حد تعبيرهم). وقرئ هذا البيان في قداس الأحد التالي، وبلغني ذلك، وبلغني أيضًا تهديدًا منهم بأنهم سيرسلون نسخة من تسجيل العظة للبابا، فقلت لمن بلّغني أن يقول لهم إنني من جهتي قد أرسلت بالفعل له تسجيلًا، لعله يتوب ويعطي المجد للرب قبل أن يموت، وكلفني الرب بأن أذهب يوم الجمعة التالية وأرد على البيان عند قراءته مرة أخرى، وأعلن تمسكي وتأكيدي كل ما قلته وفعلته لمجد الرب والرب وحده. وكان معنى ذلك احتمال صدام قد يؤدي إلى الاعتداء الجسماني عليّ، وقد يصل الأمر إلى الاستشهاد، وكان أكبر امتحان في حياتي. وبعد صراع قررت أن أطيع الرب، وفشلت محاولات إبليس أن يثنيني عن الأمر، قررت أن أطيع الرب ولو أدى ذلك إلى استشهادي.

ابني الطفل يحكي حلمي الذي لا يعرفه أحد

ولكي يؤكد لي الرب أن هذا التكليف والصوت هو منه، في صباح الجمعة التي سأذهب فيها للكنيسة، حلمت حلمًا رأيت فيه الرب وتفاصيل أخرى، وبعد ذلك حدثت المفاجأة المذهلة، فقبل نزولي من البيت مع زوجتي وأولادي إلى الكنيسة وجدت

ابني "جون"، وكان وقتذاك طفلًا عمره 7 سنوات، وجدته يحكي الحلم الذي رأيته أنا بالتفصيل أمام كل الأسرة، وذهلت، كيف عرف الحلم؟ ولما سألته عما يحكيه فأجاب ببساطة طفل "لا أعلم"، وأيقنت أنه إعلان من الله، كما حدث مع دانيال الذي كشف له الرب حلم نبوخذ نصر، وهو ما عجز عنه السحرة والعرافين و... إلخ، وأيقنت أنه تأكيد وتشجيع من الرب لي لصعوبة المهمة والشهادة التي كلفني بها، لأن هذه المرة ليست هناك مفاجأة للمسؤولين والشباب المتعصب في الكنيسة، مثلما كانت في الجمعة السابقة، وأنهم بمجرد رؤيتي مرة أخرى وصعودي على المنبر لتأكيد شهادتي، فقد يؤدي ذلك إلى استشهادي بالفعل وليس هزارًا. وذهبت ومعي أسرتي ودخلنا متأخرين على غير عادتنا، فاعتقد الجميع أنني هربت ولن أحضر كعادتي كل جمعة. وجلست في هدوء في الصفوف الخلفية، وفي وقت العظة وقف القس "ش" المتعصب للأرثوذكسية يعظ ضدي وضد ما قلت وما فعلت، وقال ما معناه إنني لم أحضر اليوم هروبًا، وأن ما حدث مني كان تهورًا لم أدرك عواقبه إلا بعد ذلك، فلذلك هربت ولم أحضر. وأمام الجميع قمت من مكاني وانتقلت للصفوف الأمامية لكي يراني الجميع، ووقف القس "ك" الذي كان يكلفني بالوعظ ليقرأ بيان القسوس واستنكارهم لما حدث مني، وطلعت عندئذ على المنبر، ووقفت بجواره وهو يقرأ في مواجهة الجميع، وطلبت منه أن أُعقِّب، فرفض إعطائي الميكروفون ثلاث مرات، فتقدمت إلى حافة المنبر دون ميكروفون، وأعلنت للكل تأكيدي ومسؤوليتي عما قلت

وفعلت، وقلت لهم: إن الرب قال للكتبة والفريسيين: "أنكم تصفّون عن الباعوضة وتبلعون الجمل"، وأنتم تبلعون أخطاء جسيمة في الكنيسة وألحانًا كثيرة باللغة القبطية لا يفهمها حتى الشمامسة الذين يقولونها، ولا تقبلون وتصفون عن عظة وترنيمة بالعربي مفهومة لتمجيد الرب، وقلت إنني أحب آباء الكنيسة (الإكليروس) وأخضع لهم، ولكن في الرب وفي الرب فقط، وأنا مش عايز كهنوت (لأني كنت مرشح للكهنوت في ذلك الوقت) ولا عايز شموسية ولا خدمة ولا منبر الوعظ. يكفيني حب الرب لي وحبي له وجبهتي وركبتي هما قدس للرب، ولن أنحني أو أركع إلا له وله وحده.

عندئذ قاطعني القس "ك"، ولكن بعد أن أنهيت ما كان الرب يريدني أن أقوله وأشهد به، وسجدت على الفور في مكاني إلى الأرض أمام الرب في مواجهة الهيكل. وبعد دقائق وقبل النهاية الأخيرة للقداس قمت مندفعًا نحو الخارج إلى فناء الكنيسة، وكان الرب يفتح أمامي الطريق بطريقة عجيبة رغم الازدحام، وحالًا وبعد القداس، حدث في فناء الكنيسة هرج ومرج، وكان البعض يريد الاعتداء علي والبعض يحجز، لكن لم يستطع أحد أن يمد يده علي أو يضربني، واختبرت وعد الرب "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم"، لكنهم فقط جرحوا سيارتي وفرغوا الإطارات.

قرار بابوي بحرمان غيابي شفهي دون محاكمة والخروج على أثر ذلك من الأرثوذكسية

في يوم الأربعاء التالي ذهبت لأحضر اجتماع الشباب الخاص بمجموعتنا، التي أنار الرب بصيرتها، ولم نعد نعبد أو نتشفع بأي أحد غير الرب يسوع. ولما دخلت الكنيسة وجدتهم أغلقوا مكان الاجتماع بأقفال، وطلبوا مني مقابلة أحد الكهنة "م"، وكان هو أبي الروحي قبل ذلك، وقال لي إنهم استدعونا نحن الكهنة للكاتدرائية وحققوا في ما حدث، وطلب مني سكرتير البابا أنبا يوأنس أن أبلغك أنك بقرار من البابا ممنوع من الوعظ والتناول، بل وأيضًا من الحضور إلى كنيسة مارجرجس بخمارويه، ويمكنك الصلاة في أي كنيسة أخرى. وكان ردي هو أنني لن أعترف بالقرار إلا بعد أن أتسلمه مكتوبًا أو ينشر في مجلة الكرازة، ولن أترك كنيستي. وفعلًا حاولت الاستمرار، لكن وجدت الجميع يتجنبني ويتنكر لي، حتى تلاميذي وأحبائي وزملائي في الخدمة، وأصبح لا مجال ولا مكان لي للخدمة، أو حتى الوجود في هذه الكنيسة، التي رفضت شهادتي ورفضتني ورفضت أن يكون الرب هو الملك ورئيس الكهنة الوحيد فيها. الكل رفض أكليروسًا وشعبًا، الجميع قالوا "اصلبه.. اصلبه"، وبعد ذلك ذهبت إلى الكاتدراية لمناقشة البابا في الأمر ومعرفة خطئي أو خطيئتي، أو حتى أحصل على قرار حرماني، دون جدوى، فرفض البابا مقابلتي أو مناقشتي أو إعطائي قرارًا مكتوبًا حتى أستطيع الرد على ما جاء فيه وأدافع عن نفسي، وكان لا مفر أمامي سوى الخروج من الكنيسة الأرثوذكسية، أو

الركوع والاعتذار للبابا المعظم، فاخترت الخروج وراء سيدي وملكي الوحيد الرب يسوع، فخرجت وخرجت معي أسرتي، زوجتي الحبيبة التي كانت دائمًا معي معينًا نظيرًا، وأولادي المباركين من الرب، وبضع عشرات من الشباب الذين اختبروا الرب، بالحق وليس بالطقوس الأرثوذكسية المزيفة، خرجنا واختبرنا وعود الرب الثمينة.

السياسي

تواطؤ البابا ورجاله مع النظام الفاسد البائد ورموزه

السياسي مع مبارك

لطالما أيّد البابا شنودة ورجاله من الأساقفة والقسوس مبارك في إعادة ترشيحه لنفسه لفترات رئاسية جديدة (5 فترات على مدى ثلاثين عامًا) وحرّضوا الشعب على إعادة انتخابه، ولطالما أشادوا بالسلام الاجتماعي والديموقراطية وحرية الرأي التي ينعم بها المصريون في ظل مبارك ونظامه، في نفاق مقيت وتشجيع على الفساد والتمادي فيه.

*** أمثلة موثقة من هذا التواطؤ من قبل البابا ورجاله**

1- في سبتمبر 1993:

البابا شنودة و50 من أعضاء المجمع المقدس يؤيدون ترشيح مبارك لفترة رئاسية ثالثة، ويمدحون ما نشره مبارك من ديموقراطية وحرية رأي. ويدعون المسيحيين للذهاب للإدلاء

بأصواتهم يوم الاستفتاء. (قرارات المجمع المقدس – عن الموقع الرسمي للمجمع المقدس).

2- في 29 مايو 1999:

البابا شنودة و66 من أعضاء المجمع المقدس يؤيدون ترشيح مبارك لفترة رئاسية رابعة، "نظرًا لما عاشته مصر تحت قيادته، تنعم بالديموقراطية وحرية الرأي والسلام الاجتماعي". وعنوان البيان "مبايعة الرئيس محمد حسني مبارك" (قرارات المجمع المقدس – عن الموقع الرسمي للمجمع المقدس).

3- في عام 2005:

قبل فتح باب الترشيح للانتخابات الرئاسية، البابا شنودة و71 من أعضاء المجمع المقدس يوقعون على وثيقة، يناشدون فيها الرئيس مبارك بالاستجابة لرغبات الجماهير بترشيح نفسه للرئاسة فترة خامسة. (الموقع الشخصي للبابا شنودة).

4- في 27 سبتمبر 2005:

البابا شنودة في الولايات المتحدة، يسمع خبر ترشيح مبارك لنفسه لفترة خامسة، فيرسل له رسالة تأييد وتهنئة من أمريكا، والبابا يتحدث بصيغة الجمع: "نؤيدك بكل قلوبنا"، أي أنه يتحدث باسم المسيحيين، أو باسم رجال الكنيسة في أدنى تقدير. (الموقع الشخصي للبابا شنودة).

5- في 11 أبريل 2010:

الأنبا بيشوي (سكرتير عام المجمع المقدس – الرجل الثاني في الكنيسة) يصرح في "المصري اليوم" بأن الكتاب المقدس يدعو لتأييد الرئيس مبارك، ويقول إنه لا يستبعد وجود تنسيق بين الكنيسة والحزب الوطني بخصوص الانتخابات، وفي تصريحاته يساهم في تلميع جمال مبارك. (موقع جريدة المصري اليوم).

6- في يناير 2011:

كانت ثورة 25 يناير قد اندلعت منذ ما يقرب من أسبوع، ولكن البابا شنودة يتصل بالرئيس ليدعمه ويقول له بصيغة الجمع أيضًا: "إحنا معاك"، ثم يصرح في التليفزيون بأن المسيحيين لم يشاركوا في الثورة. (جريدة الشروق المطبوعة).

7- في 15 فبراير 2011:

بعد نجاح ثورة 25 يناير في التخلص من مبارك، البابا شنودة، مع لجنة مصغرة من أعضاء المجمع المقدس، يعلنون تأييدهم للمجلس الأعلى للقوات المسلحة، ويتملقون. (الموقع الشخصي للبابا شنودة).

البابا شنودة.. صانع معجزات بالعافية

البابا شنودة كان رجل علم ودين مستنير، فكيف يحتفل به البعض في ذكرى وفاته الأولى بادِّعاء أنه صانع معجزات؟! رغم أن تعريف المعجزة أمر ثابت في الكنيسة الأرثوذكسية، كما أكده الأنبا "رافائيل" الرجل الثاني بها الآن وسكرتير المجمع المقدس، بقوله إن المعجزة هي كل أمر يفوق الطبيعة ويعجز البشر عن

إتيانه. إلا أن تجار الدين لا يضيعون أي فرصة تجلب المكاسب إلا ويستغلونها، حتى لو كانت تحمل إساءة لشخص مهم كالبابا شنودة. يحاولون أن يوهموا الناس بتكريمهم له، باختلاق قصص وهمية وحكايات تافهة لا ترقى لمستوى حواديت المصاطب، غرضها الأول والأخير هو الربح فقط.

وعلى تعدد المتاجرين بالبابا شنودة منذ رحيله، لدرجة أن صدر عنه في عام واحد 100 كتاب، وبلغت الجرأة بالبعض أن يعيد نشر مقالات البابا وأشعاره وأقواله لكي يربحوا من تعلق الأقباط به. أما قصة المعجزات الوهمية، فيقودها شاعر حاصل على عدة جوائز عربية، أصدر سبعة أجزاء من كتب تحمل عنوان "معجزات البابا شنودة". أما قراءة هذه المعجزات فتجعل القارئ يشد في شعره من مستوى غياب الروحانية، والعدد الأكبر منها منقول من الإنترنت دون فحص أو مراعاة أبسط الروحانيات المسيحية. أي معجزة تحتاج إلى لجنة كنسية لإثبات صحتها، لكن صاحب الكتاب نقل عن الإنترنت مواقف غير موثقة، مضمونها أن أحد الفنانين التشكيليين المشهورين كان يستهزئ دائمًا بحزن الناس الشديد على قداسة البابا شنودة عقب نياحته، ويستنكر الضجة الإعلامية التي صاحبت انتقاله وتشييع جثمانه، هذا الرسام (لم يذكر الموقع اسمه) عندما كان يرسم إحدى اللوحات الفنية كانت تختفي وتظهر صورة البابا شنودة، وتكرر هذا أكثر من مرة، وفي النهاية أخذ الفنان اللوحة وطلاها باللون الأحمر ووضعها في الشرفة، وفي صباح اليوم

التالي فوجئ بصورة البابا شنودة تظهر بوضوح شديد، وقرر بعد ذلك الذهاب لزيارة مزار البابا شنودة بدير الأنبا بيشوي.

أما المعجزة الخارقة فهي ما يذكره الشاعر صفحة 34 كما يلي: الصبية "باكينام شاكر" ذات حسن ملائكي، وكل من يراها يقول لها أنتِ شبه ممثلة عالمية، ويكمل الغزل. أما روحها فأجمل. وصلت لسن الثلاثين ولم تتزوج. كانت مقتنعة بمقولة "تزوجي زواجًا صحيحًا أو لا تتزوجي مطلقًا"، إلا أني حين وجدتها ترفض خُطَّابًا على مستوى عالٍ في مناحٍ متعددة، همست لها "أود أن أردد على مسامعك تساؤل الشاعر القديم: من ذا الذي تصفو سجاياه كلها؟! في كل واحد عيب ما، ولكن شوفي هل يمكنك احتمال هذا العيب أو التكيف معه أم لا". والذي حدث بعد ذلك جاءها عريس شاب لم يصل بعد إلى سن الأربعين ويعيش بولاية نيوجيرسي الأمريكية، فوافقت، ولكن أمها قلقة ومتوجسة، فقالت الفتاة التي كانت تعشق البابا شنودة ونادرًا ما تفوتها محاضرة له وتقتني معظم كتبه، وكثيرًا ما صدر عنه من كتب وصور وسيديهات، فراحت تتشفع ليضع الأمر أمام الرب، ليكون قرارها موفَّقًا حتى لا تندم وقتما لا ينفع الندم. وراحت تقول للبابا: أنا عايزة عريس زيك يا سيدنا. ثم ذهبت مع أمها لكنيسة السيدة العذراء بالزيتون باكرًا جدًا، حيث لم يكن قداسًا ولا شعبًا، وراحت تصلي للعذراء مريم وتتشفع بالبابا شنودة، ثم خرجتا من الكنيسة وتوجهتا مباشرة لزيارة مزار البابا بدير الأنبا بيشوي بوادي النطرون، وهناك صلتا وتشفعتا وخرجتا من المزار، وتوجهتا مباشرة لدير السريان واتصلتا

براهب من عائلة أبها الراحل، فجاءها من قلايته وجلس معهما بالمضيفة وطرحتا الأمر عليه، فقال لهما: "أكيد البابا شنودة هيعمل حاجة تهديكم لقرار سليم، وأنا هصلي، وربنا بنعمته هيدبر الأمر للخير". وذهبتا بعد ذلك لدير البراموس وعادتا وخلدتا للنوم، فجاء البابا شنودة للصبية في المنام وقال لها: "متتجوزيهوش".. وأعطاها صليبًا، وقال لها "متديهوش لحد". قامت البنت من النوم وأخبرت أمها أنها قررت أن ترفض العريس، فظهر الارتياح على وجه أمها.. والذي حدث بعد ذلك مدهش جدًا.

تقدم لخطبتها هذه الأيام شاب كامل الأوصاف (أذكركم أنها كانت تصلي وتقول إنها تريد عريسًا قريب الشبه من البابا). وجاءتها إحدى قريباتها فيما بعد وأخبرتها أن عريس أمريكا كان متزوجًا، وربما ذلك يفسر قول البابا "متديهوش لحد".

وعن المعجزات الوهمية التي لا تتوقف، هناك أيضًا معجزة مفادها: خابرتني هاتفيًا إحدى السيدات الفضليات "د. سهام" مصرية تقيم بكندا وسردت بعض الوقائع المعجزية.

1- البابا شنودة رغم متاعب الكلى، التي وصل مداها إلى الحد الذي جعل الأطباء الألمان يرفضون إجراء جراحة له، خوفًا من العواقب، كان حريصًا على الأصوام والصلوات باستثناء أوقات النظام الغذائي العلاجي الصارم، وكان يترك الأمور بيد الله.

2- السيدة العذراء ظهرت له أكثر من مرة، وحدثت معه معجزات شفاء، وصار مبرأ من أي علة، ولكن الرب أراد أن يريحه من متاعب الجسد بعد أن أكمل رسالته على أكمل وجه، وأن لروحه الطاهرة أن تنعم بين أحضان حبيبه المسيح. ويكفي أنه كان يعرف وقت سفره للسماء. "هل يعرف شقيع القديس بالظن".

من جملة ما قالته الدكتورة الكريمة: واجب أقولك كمان أن الأم إيريني تنبأت للأنبا شنودة بالبابوية حينما كان أسقفًا للتعليم، وقالت له بالحرف "هتكون بطرك"، حيث رأت البابا كيرلس في رؤيا وهو يسلم عصا الرعاية له في وجود السيدة العذراء، وأن حمامة حلَّقت وحطت على رأسه.

ومن السودان معجزة أخرى روتها الشاعرة السودانية "ميري عزيز أندراوس" من كنيسة الشهيدين بالعمارات - الخرطوم، وفيها خابرتني من القاهرة ذات صباح وقالت لي والدموع تترقرق وتنهمر من عينيها بغزارة أنها تنتظر معجزة بشفاعة الست العدرا والبابا شنودة، فهي سيدة أعمال جاءت للقاهرة قادمة من الخرطوم لإنهاء بعض الأعمال، ثم تعود مرة أخرى، كانت تود أن تحصل على تأكيد لتذكرة العودة، ولكنها لم تتمكن من الحصول على الموافقة، حيث قالوا لها بعد أكثر من أسبوعين، فراحت تصلي للرب وتتشفع بالسيدة العذراء والبابا شنودة، فقلت لها: أكيد ربنا بشفاعة أمنا العذراء والبابا شنودة سيستجيب لهذه الدموع الإيمانية والإنسانية. أنا أثق أنك ستكلميني غدًا وتخبريني أنك حصلت على تأكيد للحجز في اليوم

الذي تريدينه، فراحت تهمس باكية: يا رب يا عدرا يا أم النور يا بابا شنودة.

والذي حدث هو أنه بالفعل في صباح اليوم التالي خابرتني بسعادة غامرة وفرح طفولي وأخبرتني أنها حصلت على "الأوكيه"، وستسافر بعد يومين عائدة إلى الخرطوم. ويعلق الكثير من المسيحيين محبي البابا شنودة، بمطالبة البابا تواضروس الحارس الوفي على تراث البابا شنودة بضرورة التدخل لإنقاذه من وضعه إلى جانب تلك القصص الفارغة.

ومن المعجزات المضروبة التي يسردها الكتاب، قصة السيدة "نعمة ناجى جورج متري"، من المنصورة ومتزوجة بالقاهرة. قالت لي إنها ابتعدت عن الصلاة وبعد فترة عادت تصلي. فجاءها القديس البابا شنودة في نفس الليلة في حلم مبتسمًا ابتسامته الفريدة، وراح يلوح لها بيده كأنه يشجعها ويحييها، ويطمئنها أنه في مكان بديع وأنها يمكن أن تصل إليه إذا واظبت على الصلوات والأصوام والأسرار المقدسة وكل وسائط النعمة.

نوع آخر من التعلق بالغيبيات يظهر بوضوح فيما يسمى بمعجزات البابا ضد الإخوان المسلمين، حيث لا يخفى على أحد قلق الأقباط من جماعة الإخوان المسلمين والذي يزداد يومًا بعد آخر، وخصوصًا بعد رحيل البابا شنودة الذي كان الأقباط يعتبرونه حائط صد، وهو ما يجعل الإنسان يخرج من الواقع إلى الخيال، لذلك كان من الطبيعي تداول بعض الحكايات التي

يعتبرونها معجزات للبابا الراحل في الانتصار على الإخوان المسلمين.

القصة الأولى تحكي أن فتاة كانت ذاهبة لحضور اجتماع البابا شنودة ولكنها لم تكن تعلم مكان الكاتدرائية، فسألت سيدة تسير في الطريق فأخبرتها أنها هي الأخرى ذاهبة لحضور الاجتماع، ولكنها أخذتها معها شقتها لإحضار شيء، وذهبت الفتاة معها وكان بالشقة العديد من الرجال، وكانوا أصحاب لُحى وينتمون إلى الإخوان، وأرادت هذه السيدة بذلك أذيتها، فاستنجدت الفتاة بالبابا شنودة وفجأة ظهر البابا أمامها وأخذها واختفوا من الشقة، لتجد نفسها واقفة في الكاتدرائية بجوار قاعة اجتماعات البابا شنودة.

القصة الثانية: فتاة كانت تقوم بخدمة أبناء التربية الكنيسية في منازلهم، حين أخطأت أحد العناوين وطرقت على باب شقة رجل من الإخوان بالخطأ، فما أن علم أنها خادمة مسيحية جذبها من يدها بعنف إلى الداخل، وفوجئت أن معه عددًا من أصدقائه السُنيين أيضًا، فجذبها إلى حجرة النوم بعنف، فأرادت أن تستنجد بأحد القديسين فأخطأت القول وقالت "يا بابا شنودة انجدني"، فإذا بجرس الباب يدق فذهب الرجل ليفتح الباب ففوجئ بالبابا شنودة الثالث يقف أمامه، ووجدت الفتاة نفسها في الكاتدرائية، وكان يوم الأربعاء، وهو يوم اجتماع البابا شنودة الذي اعتادت تلك الخادمة المواظبة على حضوره.

شهادة رهبان أبو مقار

حضرة صاحب القداسة والغبطة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

بعد الخضوع عند أقدامكم الرسولية وطلب صالح صلواتكم عنا.

وصلتنا أخبار أزعجت نفوسنا أن غبطتكم قررتم تغيير شكل وحياة الرهبنة في دير القديس أنبا مقار، وكنا نتمنى أن قدومك إلينا سيثبت حياتنا الرهبانية التي استلمناها على يد أبينا المتنيح القمص متى المسكين لمدة خمسين سنة. وعُرف في العالم المسيحي أن هذا الدير صار منارة للحياة الرهبانية الآبائية الأصيلة، وفخرًا للكنيسة القبطية العريقة ولكل بلادنا المصرية.

لقد تحول الدير الآن إلى ملعب لعمل الشياطين، وفقدنا السلام، وفي كل مرة تأتي إلينا نسمع إشاعات بأن غبطتكم سوف تختار أسماء من الرهبان مرفوضين شكلًا وموضوعًا، فالبعض يحتاج إلى علاج نفسي والبعض يسعى ليصل إلى الرئاسة، الأمر الذي هو بعيد كل البعد عن حياتنا الرهبانية، وغبطتكم تعلمون جيدًا أن الذي يريد أن يكون الأول يجب أن يكون الأخير. فما بال في الحياة الرهبانية وفي دير شبه مغلق! فكيف يحتملون بعضهم بعضًا حيث الجهاد الداخلي مطلوب مع التواضع الشديد وإنكار الذات حسب الوصية؟! علمًا بأن النظام الرهباني في دير القديس أنبا مقار يعتمد على الراهب، فالذين يعملون في الزراعة يديرون أعمالهم بالاستعانة بدكاترة

الأبحاث الزراعية، والذين في الإنشاءات يهتمون بأعمال الصيانة والمشروعات المطلوبة لخدمة الدير، وهكذا في حظيرة البقر ومزرعة الدواجن، فلهم دكتور خبير مع الآباء الذين يعملون في خدمة الحظيرة والدواجن.

فالعمل في الدير يعتمد على تعاون الآباء معًا بالمحبة.

نتوسل إليك يا سيدنا أن تنقذنا من الخراب الآتي علينا.

وماذا يكون الأمر؟ هل يترأس الأب الجاهل في أي موقع على المتخصص؟ هل تريدهم يا سيدنا أن يحتكوا بعضهم ببعض؟ هل توافق على انهيار المحبة في الدير؟ أليس هذا هدمًا للحياة الرهبانية؟ هل ترضى بأن دير أنبا مقار العظيم مكان الصلاة الدائمة والحكمة العالية أن ينهار في عهدكم؟ هل غبطتكم توافق على رسامة رهبان الدير كلهم كهنة، رغم أن هذا لو يوافق سلوكك الأول في الحياة الرهبانية إذ كنت تغضب جدًا عندما يعرضون الكهنوت على أحد الآباء، فالمعروف أن الأنبا باخوميوس أب آلاف الرهبان هرب من البابا أثناسيوس الرسولي حتى لا يرسمه كاهنًا، وكان يحضر كهنة علمانيين ليصلوا للرهبان لكي ينقذ الرهبنة من شهوة الكهنوت التي أفسدت الحياة الرهبانية. فقال البابا أثناسيوس عن أنبا باخوميوس لأولاده: "قولوا لأبيكم: أنت لم تهرب من الكهنوت ولكن هربت من مجد العالم". وكذلك القديس مقاريوس، مع أنه كان كاهنًا لم يُسمع عنه أنه مارس هذه الخدمة، بل كان يعطيها لمن كان له الموهبة. علمًا بأن المرسومين كهنة كانوا مطلوبين بالاسم من

نيافة الأساقفة الأفاضل، وكان أنبا ميخائيل قد طلب اثنين من الرهبان ليخدموا معه، وأنبا أرسانيوس طلب اثنين ليخدموا معه، وأنبا أنطونيوس مرقص طلب لإفريقيا أربعة رهبان ليخدموا معه، ورسم اثنين للخدمة. فكانت رسامة الكهنوت في أتريس لهم كطلب الخدمة خارج الدير، وليس لإغاظة وإثارة الحسد داخل الدير.

الرهبانية طريق حب وليس قسرًا، والذي جعل الراهب يحمل نير المسيح هو رغبته وحريته أولًا.

الذين يرتضون أن يأتوا للدير للحياة الرهبانية الفاضلة يعرفون جيدًا أنهم أمام طريق مغلق أمام شهوات العالم ومراكز الكنيسة، وأراحوا أنفسهم من حروب قاتلة، وهم يأتون بمحض حريتهم وبحبهم للرب يسوع. وفي منتصف الطريق ربما يشتهون الخدمة في العالم، فنحن لا نقف في وجوههم.

ولماذا يا سيدنا تريد أن تجعل الأديرة نظامًا واحدًا، مع أنه على مدى العصور كان كل دير يأخذ شكلًا خاصًا به؟ فرهبنة دير المحرق غير رهبنة دير القديس مقاريوس، غير رهبنة دير مارمينا. وكان في كل العصور الحياة الرهبانية غير ملتزمة بنظام إلا بالمحبة.

فنرجوك يا سيدنا ونتوسل إلى محبتكم، أن توقف هذه الإشاعات المزعجة، فنحن ما زلنا نصلي من أعماق قلوبنا أن يعطيك الرب حكمة سليمان، وأن يكون حضورك للدير عيدًا روحانيًا تفرح به قلوب المساكين التائبين.

انقذ يا سيدنا رهبانية هذا الدير العظيم، ولا تسمح بهدم أسسه الرهبانية.

انقذ يا سيدنا الحياة الرهبانية الأصيلة بدير أنبا مقار، ولا تسمح بتخريب هذه الحياة الرهبانية، لئلا يكون غضب الله علينا جميعًا.

ونقدم لنيافتكم خالص شكرنا ونلتمس صلواتكم عنا.

أبناؤكم رهبان دير القديس أنبا مقار

المستعدون أن يموتوا ولا يخرب الدير أمام أعينهم.

شهادة المهندس فؤاد نجيب (صديق البابا) بخصوص حقيقة روحانية الأنبا شنودة

الأنبا شنودة كما عرفته إنسان عبقري موهوب جدًا وشخصية محببة للغاية. مواهبه غير العادية كانت أكبر أسباب المتاعب له وللكنيسة. إنسان يتمتع بذكاء مفرط وعاطفة جياشة، مع خفة ظل غير عادية، جعلته محبوبًا من الكل. تاريخ حياته وظروفه الاجتماعية أثّرت على كل تاريخه. من أكثر الأمور التي أثّرت عليه وفاة والدته وهو عنده ثلاثة أيام، فتشعر أنه حتى بعد أن صار بطريركًا كهلًا يشعر باليتم بعمق ولم يُفطَم من أمه، وفي حاجة شديدة بل عَوز للمحبة والعطف. سنوات عمره الأولى والعيش في كنف زوجة الأب القاسية جدًا، ثم في بيت أخيه حيث كان يتعرّض للإهمال الشديد (عبّر عنه شعرًا: لم أجد سمعًا ولا ركنًا لإيواني) فلم يكن يشعر بوجوده أحد سوى

أخيه الذي كان يعطف عليه بشكل قد يضايقه. كل ذلك جعل منه شخصًا محبًا جدًا بقدر احتياجه للحب، وقاسيًا للغاية وكارهًا في ظروف لا يتوقعها أحد. سريع التقلُّب جدًا بشكل غير متوازن لمن يعرفه عن قرب.

نشأ في جو بعيد كل البعد عن الكنيسة، وبدأت شخصيته تتبلور عند دخوله الجامعة، في وقت كانت المظاهرات تجتاح مصر بشكل مستمر، وكانت الجامعات مركزًا للصراع السياسي للأحزاب، كما كان الإخوان المسلمون والشيوعيون يقودون العمل السياسي والمظاهرات التي كانت تأخذ طابعًا دمويًا. اجتذبته المظاهرات كشاعر خفيف الظل، فكان شعره الحماسي ذو النغم الجميل يُشعِل الحماس، وحسب قوله لي كان نظير جيد عندما يلقي بشعره في المظاهرات يعني أن الجامعة ستحترق. واضح جدًا أنه آثر السلامة بذكاء عندما اتجه لحزب الكتلة، حيث كان الحزب الوحيد الذي لا يتعرض أفراده للسجن والقتل في ذلك الوقت. تبلورت شخصيته وصقلت مواهبه القيادية وبدأ حبه للزعامة، الذي أثّر عليه تأثيرًا خطيرًا جدًا. وما لا يقوله أحد فقد تعرض للطرد من حزب الكتلة ومن الجريدة بعد أن نشر شعرًا لم يعجب مكرم عبيد، الذي لم يكن يعرفه بشكل شخصي، وكان ذلك محطمًا لأحلامه في الزعامة السياسية. وكان تخرجه في كلية الآداب عام 1947 وعدم توفر العمل مع توقف الفرصة للاشتراك في المظاهرات أمرًا محبطًا جدًا.

اتجه للدين بعد دعوة للحضور في اجتماع الشباب لكنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا، كما كانت له صلة بملجأ مدارس الأحد

بروض الفرج، حيث كان يحب خدمة أولاد الملجأ. أعتقد أنه كان يجيد فهم نفسه. مواهبه القيادية النادرة جدًا مع قدراته الفائقة على الحوار والإقناع دفعته إلى أن يبدأ خدمته في الكنيسة من القمة. ليس مثل أي شخص بدأ الخدمة من القاع في تواضع. ففي سنوات قليلة جدًا وجد نفسه يرأس تحرير أهم مجلة مسيحية في مصر في ذلك الوقت، وهي مجلة مدارس الأحد، وصار عضوًا في اللجنة العليا لمدارس الأحد، يجالس كبار الأقباط ويهاجم البابا. عندما بدأ خدمته وجد أنه محتاج أن يثقف نفسه دينيًا، فالتحق بالكلية الإكليريكية القسم المسائي، حيث تتلمذ على الدكتور وهيب عطا الله، الذي أُعجِب به جدًا وعيَّنه معيدًا بالكلية بعد تخرجه في عام 1949. وصارت بينهما صداقة ومحبة فريدة بقدر ما يتمتع الاثنان بالمحبة.

التقى مع الأب متى المسكين لأول مرة في عام 1951 وتتلمذ له، حيث بدأ يتفتح ذهنه للأمور الروحية واللاهوتية العميقة، فكتب كتاب "انطلاق الروح" كانعكاس للحديث الروحي مع الأب متى المسكين. حضرت أحاديث الأب متى معه، كان ذلك في عام 1953 عندما صاحبني في زيارته لدير السريان. صارت بينهما محبة وثقة متبادلة تفوق أي تصور، لدرجة أن أبانا متى سمح له أن يكتب مقدمة كتابه الأول "حياة الصلاة الأرثوذكسية". وكللت تلك الصداقة بأن ترهَّب نظير جيد كتلميذ لأبينا متى المسكين، في يوليو عام 1954 (وكنت حاضرًا في الدير في ذلك اليوم). بعد الرهبنة كان أبونا أنطونيوس السرياني هو أقرب

الناس جميعًا وأحبهم لأبينا متى المسكين، حيث كانت المحبة متبادلة بينهما بصورة فريدة فائقة للتصور.

على مدار عقود أربعة صنع "نظير جيد" تاريخًا شخصيًا يضاف إلى رصيده قبل الجلوس على الكرسي البابوي، كما صنع تاريخًا للكنيسة الأرثوذكسية، ليس في مصر وحدها وإنما في كثير من دول العالم. ظل كثير من هذا التاريخ مجهولًا بالنسبة لكثيرين بسبب بعده عن وسائل الإعلام بحكم منصبه، علاوة على العزلة الاختيارية التي كان يلزم نفسه بها في بعض الأحداث والوقائع المهمة.

رحل البابا شنودة في مارس من العام 2012 مصطحبًا معه صندوق أسراره، غير أن بعض هذه الأسرار ظل باقيًا في جعبة بعض المقربين منه، بحكم علاقتهم الشخصية معه وشهادتهم على كثير من المواقف التي مرت به، وأحد هؤلاء المقربين هو المهندس فؤاد نجيب صديق البابا شنودة.

احتفظ فؤاد نجيب بصداقته مع نظير جيد رغم الاختلافات بينهما، فالأول وُلد في شبرا بالقاهرة وتخرج في كلية الهندسة قسم العمارة من جامعة القاهرة، قبل أن يلتحق بالكلية الحربية ليخدم بسلاح المهندسين والأشغال العسكرية، بينما وُلد الثاني بمحافظة أسيوط وتخرج في كلية الآداب قسم التاريخ بجامعة القاهرة، قبل أن يلتحق بالكلية الإكليركية ويسلك طريق اللاهوت القبطي.

يتفرغ نجيب حاليًا للكتابة والتأليف، وله عدة كتب عن القراءات الكنسية وعن الكتاب المقدس، كما يحرر مجلة متخصصة في الكتاب المقدس تصدر في أمريكا وكندا باللغتين العربية والإنجليزية، اسمها "كلمة الحياة"، والأهم أنه يعكف على كتابة مذكراته مع البابا شنودة، وهذا ما دفعنا للاقتراب منه لفتح بعض خزائن أسراره وشهادته عن الفترة التي اقترب فيها من رأس الكنيسة السابق، علّنا نطّلع على كواليس حياة تلك الشخصية المهمة.

عن بداية تعارف البابا شنودة يروي فؤاد نجيب:

تقابلت مع الأستاذ نظير جيد لأول مرة في عام 1949، حين تسلم من الأستاذ إدوارد بنيامين مهام الإشراف على أمانة مدارس الأحد، ومجلة مدارس الأحد، وبيت مدارس الأحد. بعد ذلك تسلم فصلنا، فكان مدرسي في مدارس الأحد.

في ذلك الوقت كان لشهود يهوه (طائفة تدّعي المسيحية وهي في الأصل ضدها) نشاط ضخم في مصر، حتى أن أحد أصدقائي انضم إليهم، وكانت تقام في منزله اجتماعات أسبوعية لشهود يهوه يحضرها أعداد كبيرة من الأقباط. شعرت بتغير كبير في سلوك صديقي، حيث صار عصبيًا جدًا ومضطربًا في كل أموره، لدرجة أنه ترك دراسته. وكان "صعبان" عليّ جدًا. حاولت أن أقنعه أو أهدئ من روعه دون جدوى. وفي أول فرصة أبلغت الأستاذ نظير جيد بظروف صديقي ونشاط شهود يهوه في منزله، فطلب مني أن آخذ منه موعدًا لزيارته.

يمضي فؤاد متذكرًا الأحداث: ذهبنا لزيارة صديقي ولأول مرة أشعر بعبقرية الأستاذ نظير ومواهبه الفائقة في الحوار، والمقدرة على الإقناع، حيث استطاع بأسلوبه الرائع إقناع صديقي بسرعة. طلب صديقي من الأستاذ نظير أن يحضر الاجتماع الأسبوعي لمواجهة أفراد شهود يهوه أنفسهم. وفعلًا ذهبنا يوم الاجتماع وكان عدد الحاضرين لا يقل عن 30 شخصًا من النساء والرجال، وهم في حالة من التشكك الشديد في كل ما تعلموه في كنيستهم.

حضر رجل وامرأة أجنبيان يتحدثان العربية بطلاقة، ومعهما كتبهما وأناجيلهما بعدة لغات. وبدأ الحوار مع الأستاذ نظير، حيث ظهرت عبقريته ودرايته الفائقة بالكتاب المقدس، وقدرته العجيبة على فتح الكتاب بسرعة على مواقع الآيات، التي أفحمتهم وأبطلت كل تعاليمهم. لم تمر أكثر من ساعة حتى كان الجميع يهللون فرحًا، وانتهى الأمر بأن أغلق اجتماع شهود يهوه في ذلك البيت.

بعد هذا اللقاء توطدت العلاقة بين فؤاد نجيب والأستاذ نظير بشكل قوي جدًا، مع الثقة المتبادلة.

- كنت أستشيره في كل شيء وبدأت أدرس الكتاب المقدس تحت إرشاده، كما بدأت أستعير كتبًا من مكتبته. في نفس الوقت كان هو يعتز بي كتلميذ مجتهد، حتى أنه رشحني للخدمة كمدرس بمدارس الأحد بكنيسة الأنبا أنطونيوس بشبرا، حيث

قضيت أجمل أيام عمري مع شخصيات في غاية من الروحانية والتقوى والمحبة النادرة.

ذات يوم علمت أن الأستاذ نظير سيذهب مع مجموعة من قيادات كنيسة الأنبا أنطونيوس، ليقضوا أسبوعًا خلوة في دير السريان، حيث يلتقون بالأب متى المسكين الذي كان المرشد الروحي للأستاذ نظير، فطلبت الذهاب معهم، فرحَّب الأستاذ نظير.

كان ذلك في يوليو عام 1953، حين تعرف الشاب على الأب متَّى المسكين لأول مرة، وكان الأستاذ نظير يكلمه عنه كثيرًا. أتذكر ذلك اللقاء حين دعانا الأستاذ نظير للتوجه لموقع رائع في المزارع خارج أسوار الدير العتيق، فذهبنا انتظارًا لحضور الأب متى المسكين. ولما أقبل من بعيد وقفنا جميعًا. لا أنسى ما قاله لي الأستاذ نظير في تلك اللحظة عن الأب متى، حيث قال: "إن من تراه هذا يجود بمثله الزمن كل قرون طويلة". فتعجبت جدًا، حيث كنت في ذلك الوقت أرى أن الأستاذ نظير نفسه شخصية عظيمة نادرة، فكم يكون أستاذه ذلك الشخص الذي يتكلم عنه بهذا الحماس والمحبة؟!

يمضي فؤاد نجيب متذكرًا الأحداث وكأنها شريط سينمائي يمر أمام عينيه: قضينا أسبوعًا في الدير، كان أبونا متى يجلس معنا بعد صلاة الغروب كل يوم، ليطول الحديث الروحي الممتع جدًا الذي كان يمتد لمنتصف الليل. الأستاذ نظير كان هو أكثر من يسأل فقد كان تلميذ أبينا متَّى الذي يُعِدُّه للرهبنة، وكانت

أغلب التساؤلات تحمل الطابع الرهباني. لقد كان لهذا الأسبوع الأثر البالغ في حياتي، حيث تغيرت في كل شيء من الناحية الروحية والفكرية، وبدأت مرحلة جديدة في حياتي، واكبَت بدء دراستي الجامعية بكلية الهندسة.

الأستاذ نظير ترهَّب باسم أبينا أنطونيوس السرياني، تحت إشراف أبيه الروحي الأب متى المسكين. لقد كنت أبكي ونحن عائدون دونه، وكم تمنيت لو أترهب في ذلك المكان الذي أحببته جدًا وكل من فيه!

تفاصيل العلاقة القوية التي توطدت بينه وبين أستاذه يرويها نجيب قائلًا: تعلمت الذهاب للدير وحدي، حيث كنت تعرفت برئيس الدير، الذي كنت أُقدِّره وأحبه جدًا لتقواه وروحانيته. انتهزت إجازة نصف السنة (فبراير 1955) فحصلت على تصريح من الأنبا ثاؤوفيلوس رئيس الدير، وشددت الرحال وذهبت إلى الدير في وقت لم يكن فيه هناك طرق ممهدة. وكان الأمر يتطلب السير على الأقدام في الصحراء لمسافة 13 كيلومترًا. كان القيام بهذه الرحلة وحدي مغامرة، لكن كان دافعي للذهاب أقوى من كل العوائق، حيث كنت أريد أن ألتقي بمعلمي الذي صار أبونا أنطونيوس في ثوبه الرهباني الجديد. وكنت متطلعًا لأن أسبر غور حياة الرهبنة، حيث كنت أشعر في أعماقي أنها تشدني إليها بقوة. كان لقاء يصعب على القلم أن يسطر وقائعه في أقل من كتاب. في تلك الزيارة كان أبونا متى غائبًا، حيث إنه كان قد تعيَّن وكيلًا للبطريركية في الإسكندرية. فكان أبونا متى هو الغائب الحاضر في كل حديث مع أبينا أنطونيوس، حيث كان أبوه

الروحي المحبوب جدًا الذي يُشكِّل محورًا رئيسيًا في كل حياته وحديثه. أبونا أنطونيوس كان يفتخر بثقة أبيه الروحي فيه، حتى أنه ترك له مفاتيح قلايته أثناء غيابه في الإسكندرية، فأخذني لزيارة قلاية أبينا متى التي كانت في طرف الدير، حيث قضينا وقتًا رائعًا، حدَّثني فيه كثيرًا عن حياة الحرية وانطلاق الروح في الرهبنة. كان انطباعنا في نهاية هذه الزيارة أني ارتبطت فعلًا بالرهبنة، وما أن تنقضي سنوات الدراسة حتى أبدأ حياتي الجديدة في الدير كتلميذ لأبينا متى، في ذلك المكان الذي عشقته بكل ما فيَّ من شعور، وبكل ما فيه من روعة وجمال.

للأسف الشديد -والحديث ما زال لفؤاد نجيب- كل ذلك الخيال تحطَّم على أرض الواقع، فكانت الأحداث بعد ذلك سريعة جدًا أكثر من أي تصور وأعجب من أي خيال، أفسدت وحطمت كل شيء.

لم يقصد صديق البابا الراحل أن يكتب مذكرات عنه بالتحديد، ولكن للكتابة عنده سبب آخر، يتحدث عنه قائلًا: أشعر بغياب التاريخ. تاريخنا القومي الحقيقي، وغياب التاريخ من أهم أسباب فقد الهوية المصرية وبخاصة القبطية. سواء التاريخ القديم أم الحديث.

أولًا: غياب تاريخ سبعة قرون من العصر القبطي عن المجتمع المصري، حيث لا تدرس لا في المدارس ولا تجد الاهتمام الكافي في الكنائس أو حتى في المعاهد التعليمية الكنسية، مما يشكل ضررًا بالغ الخطورة على الشعور القومي المصري.

ثانيًا: تاريخنا المعاصر مُشوَّش جدًا وغير معروف، ويقوم على التحزُّبات والتعصب لشخص أو لفكرة، ولا أحد يعرف الحقيقة، بينما أنا قد رأيتها بنفسي كشاهد عيان، ومن عاشوا الأحداث مثلي كلهم صامتون. وكثيرة جدًا هي القصص الخيالية التي لا علاقة لها بواقع الأحداث، حيث يغلب عليها طابع التحزُّب العاطفي، مما يثير الكثير من البلبلة.

حمَّس صدور مذكرات الأنبا غريغوريوس ضيف حوارنا لكتابة مذكراته، وهو يصفها بأنها مهمة جدًا، حيث تحمل تسجيلًا بالمستندات للوقائع، لكن ينقصها الربط التاريخي للأحداث، وعرضها في تأريخ متكامل، لتكون حاضرة كمرجع تاريخي موثَّق لتاريخنا المعاصر. لذلك أرى أن هناك مسؤولية كبيرة جدًا على عاتق الجيل الذي عاش الأحداث وسكت، بينما التاريخ غائب، فنستمر في عرض تاريخنا مشوَّهًا من جيل إلى جيل.

ويمضي قائلًا: من المحزن أنه ليس فقط تاريخنا الكنسي هو الذي يتعرض للتشويه، بل أيضًا تاريخنا القومي. فهناك غياب خطير في التسجيل التاريخي المصري المعاصر، مثل تاريخ أحداث ثورة 1952 والعدوان الثلاثي والنكسة وحرب الست سنوات (1967-1973)، حيث يكتب الكثيرون كتابات يغلب عليها التحزُّب العاطفي، والجهل الكامل بتفاصيل الحقائق التي تسببت في الأحداث، مع غياب التأريخ العلمي بالمستندات والإحصائيات الواضحة. للأسف الشديد يستمد الشعب تاريخه من الأعمال الفنية والمسلسلات التي تستمد مادتها التاريخية من

قصص، ينقصها التوثيق العلمي ويغلب عليها الطابع الحماسي، مع تغييبة لكثير من الحقائق التاريخية المهمة، التي لها أثر بارز في مسيرتنا القومية.

بمرور الوقت تصاعد الخلاف بين الأب متى المسكين وتلميذه السابق نظير جيد، بعد أن اعتلى الأخير الكرسي البابوي، وصار خلافًا شهيرًا لا تزال آثاره باقية داخل الكنيسة حتى الآن، ويقف فؤاد نجيب من هذه العلاقة موقفًا راصدًا محللًا، فهو يلخص رؤيته في عبارة وجيزة، قائلًا:

إن تاريخ الكنيسة المعاصر على مدى ستين عامًا الماضية. بالتحديد منذ 13 نوفمبر عام 1956 (يوم وفاة الأنبا يوساب) حتى رحيل الأنبا شنودة، بل وحتى الآن، يمكن تلخيصه في صراعات بين أربع شخصيات حول الكرسي البطريركي. الشخصيات هم الأنبا شنودة والأنبا صموئيل، في محاربة لأبينا متى المسكين والأنبا غريغوريوس. الأربع الشخصيات يتميزون بالذكاء المفرط جدًا الذي يبلغ العبقرية، كما تميزوا بالمقدرة الهائلة على الزعامة والقيادة للجموع. كل الشخصيات الأخرى المحيطة بهم كانوا مفعولًا به مثل الأنبا ثاؤفيلوس، أو حتى الأنبا كيرلس نفسه، حيث كانوا يتحركون بإرادتهم أو دون إرادتهم، في فلك الأربعة المتصارعين المؤثرين على الأحداث. رغم كل ما يقال وكل ما يشيعونه كان الصراع الذي بلغ تكسير العظام، بل وحتى لمحاولة القتل، سببه الأوحد هو محاولات الوصول إلى الكرسي البطريركي.

ولمزيد من التوضيح يقول الصديق الشخصي للبابا، والذي كان شاهدًا على الأحداث:

مشكلة أبينا متى المسكين تتركز في شعبيته الضخمة جدًا، بدون أن يقوم بعمل أي دعاية، حيث ترشح مرتين للبطريركية دون أي محاولة منه، بل ودون رغبته. وأيضًا كان للدكتور وهيب عطا الله (الأنبا غريغوريوس) شعبية أقل من الأب متى المسكين، لكنها كانت كافية لأن تعوق إمكان وصول أي شخص آخر للكرسي البطريركي. لذلك كان كل من يسعى للوصول إلى الكرسي البطريركي عليه أولًا أن يحطم شخصيتين، كانا يُشكّلان عائقًا أمام أي مرشح آخر. أما بعد وصول الأنبا شنودة للكرسي فكانت الأحقاد أثناء الصراع الطويل قد بلغت إلى حد لا يمكن الرجوع عنه. هذه الحقيقة المهمة هي مفتاح لفهم تاريخ صراعات خمسين عامًا أرهقت المجتمع القبطي كله، بل وأرهقت مصر كلها.

فؤاد نجيب يضيف: إن تلك الصراعات وُرِّثَت لجيل جديد، لم يعش الأحداث ولا يعرف الحقائق. الصراعات التي بدأت لمصالح شخصية بحتة سعيًا وراء السلطة، تحولت لصراعات عنصرية أخذت طابعًا لاهوتيًا عقائديًا منحرفًا، مما يثير البلبلة والانقسام في المجتمع القبطي في وقت يضر بنا جميعًا. أرى أن التسجيل التاريخي للأحداث سيخفف من حِدة ذلك الانقسام حتى يلاشيه. لذلك أقوم حاليًا بتسجيل تاريخي دقيق بحسب معرفتي بتلك الحقبة، لعلّي أستطيع أن أسهم في التخفيف من ذلك الصراع غير المنطقي حول أوهام سلطوية.

هنا انتهت كلمات صديق البابا الراحل، ولكنها تثير الأسئلة أكثر مما تطرح إجابات. فهو بحكم قربه من الشخصيات المُحرِّكة للأحداث داخل الكنيسة، استطاع رصد عدد لا نهائي من المواقف والأحداث التي تسهم عند الاطلاع عليها كاملة، في تكوين صورة دقيقة حول حقيقة ما يجري خلف الأبواب المغلقة للكنيسة، كما نشرح خلفيات العلاقات الحالية بين الفاعلين في الكنيسة الأرثوذكسية، والتي تحتاج إلى مزيد من الحوارات واللقاءات لسبر أغوارها.

شهادة الأب المتقدم في الكهنة الدكتور أثناسيوس حنين - مطرانية بيرية - اليونان

يهوذا الإسخريوطي بين البطريرك الأنبا شنودة الثالث والأب الدكتور اللاهوتي صموئيل (مجدي) وهبة صموئيل.

لا شك أن حياة البطريرك الراحل (1971 -2012) تحتاج إلى مراجع كثيرة وكتب، لأنه أراد ونجح في أن يكون علامة لقيام وسقوط كثيرين في أرض مصر.

علامة لقيام أهل الحظوة والثقة، وعلامة لسقوط أهل النخبة والعلم. عرفنا الرجل عن قُرب، ولقد شجَّع الكثيرين منا في البداية على البحث والدرس، وكم كان سعيدًا حينما حضر إلى مصر البروفسور ستليانوس بابادوبلوس، أستاذ علم الباترولوجي في كلية اللاهوت - جامعة أثينا. وربما كانت تلك المرة الأولى التي يتكلم فيها لاهوتي بيزنطي بهذه الدرجة العلمية

الرفيعة، في كاتدرائية قبطية، وبحضور بطريرك بحجم البابا شنودة، منذ المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع في 451 م، أي منذ الانفصال المأساوي بين الأقباط والبيزنطيين، لأسباب غير لاهوتية في البدايات، أدت إلى مآسي لاهوتية لاحقًا، ولقد أعجبني المؤرخ القبطي الذي ينتمي إلى جيل الباشاوات الحقيقيين، يعقوب باشا نخلة، الذي لم يرَ سببًا لمأساة الانقسام بين القبط والروم غير العناد. (راجع تاريخ الأمة القبطية - يعقوب بك نخلة - الطبعة الأولى - روفيلة - الطبعة الأولى عام 1898 والثانية عام 2000 - ص 27). ألقى البروفسور اليوناني محاضرة لاهوتية في الكاتدرائية الكبرى، وترجم وقتها الأب الدكتور صموئيل وهبة.

ليس القصد من هذا المقال نبش القبور ولا فحص الماضيات، بل أولًا وقبل كل شيء عرفان بالجميل للرجلين، البطريرك وعالم اللاهوت اللذين شاركا في صنعي، كل على طريقته. الثاني دعاني إلى الكنيسة وأنا طالب في الجامعة (من أجل خلاص نفسك)، حسب تعبيره الجميل، والذي أحاول إلى اليوم أن أفهمه وأحققه وأتحقق منه، والأول طردني من الكنيسة وأنا كاهن قديم الأيام، ليحررني -بارك الله فيه- من نير أثقل كاهلي وعطل توبتي الروحية والعلمية واللاهوتية.

القصد الثاني من وراء هذه السطور هو التطلع إلى الآتيات والقياميات، للأخذ بأسباب النهضة والانبعاث من القبور، لأن الكتابة في اللاهوت هي كلام في القياميات وليس في الأموات، ومن حق كل عظيم علينا أن نتأمل في سيرته ونستخلص العبر،

يزيد الأمر تعقيدًا أن الشعب في مصر منذ أن قرر ترك صالونات بيزنطة وفكرها الأرستقراطي الحر والراقي، خلق لنفسه مجتمع الفلاحين والمزارعين، وانعزل فيه.

يقول حسام عيتاني في كتابه الهام جدًا "الفتوحات العربية في رواية المغلوبين - دار الساقي - بيروت 2011 - ص 53"، وهو يدرس العلاقة بين الشعب القبطي والبيزنطيين، ويشير إلى أن المصريين الأقباط لم يقلوا ثقافة عن البيزنطيين في مصر، ويصل إلى أن يُحمِّل القيادة الكنسية للأقباط مسؤولية عزلهم - آنذاك والآن- عن مسيرة الحضارة الهيلينية والثقافة الكونية، ويقول: "أمكن في مصر للكنيسة القبطية الاستحواذ على هيمنة راسخة ثقافية وروحية، رعاها الرهبان الفلاحون المنتشرون في أديرة، تمتد إلى عمق الصعيد ومجاهل الصحراء، جعلت منها - أي من الكنيسة- سلطة سياسية موازية لسلطة روما، ومن ثم للقسطنطينية... إن القوام الفكري للكنيسة القبطية لم يكن فلسفة صيغت في الإسكندرية الكوزموبوليتية، بل جلافة فلاحية. كان كيرلس آخر لاهوتي مهم، وكان يوحنا فيلوبونوس الفيلسوف الأخير". القيادات القبطية في خلقيدونية لم تدافع عن إيمان كيرلس، بل عن مصالح قومية ضيقة، يدفع ثمنها الشعب القبطي إلى اليوم. هذا المجتمع (الفلاحين على العكس من مجتمع المثقفين هيلينيي الثقافة)، لم يعتد على طرح الأسئلة المصيرية على الحياة واللاهوت، وهو يتلقى القدر مستسلمًا له. ولقد اعتاد على حكم الفرد وعلى ترك مصيره للقدر، سواء كان هذا الفرد فرعونًا أو رئيسًا أو أسقفًا أو

بطريركًا، أو هذا القدر فيضانًا أو أوبئة أو جهلًا عميمًا. ربما يفسر هذا أنه من ناحية لا يوجد تاريخ فكري وفلسفي للأقباط كشعب، بل تاريخ للبطاركة كأفراد، كما شرح لي يومًا الأنبا أثناسيوس مطران بني سويف، في حديث مودات. ومن الناحية الأخرى يمكن أن نفهم لماذا تمسّك القبط بعقيدة "الطبيعة الواحدة"، لأنها تريح من عناء وتعب البحث في الناسوتيات والإنسانيات، وتسلم المصير للاهوت أصم لا يمشي معنا على الأرض، في ناسوت كامل ولا يؤله طبيعتنا ولا يعطي لنا ذاته في الإفخارستيا، ولا يحل فينا بالروح القدس، كما علم (بفتح العين واللام والميم) بإصرار شديد البطريرك الراحل.

في هذا المناخ اللاهوتي في السماء بدون الناسوت على الأرض، أي بدون الإنسان (المونوفيزيتي) والفردي الفرعوني في القصر بدون الشعب في الحكم (المونارخيا)، لا يوجد مجال للحوار أو للحياد، فأنت في نظرهم معهم أو عليهم. ربما يفسر هذا قلة الحوارات وندرة الدراسات الإنسانية العلمية التاريخية في مصر، لا عند المسيحيين ولا عند المسلمين. لأن الجميع يؤمن بضرورة أن نذكر فقط محاسن موتانا ونستسلم لألوهة لا ندرك كنهها ولا فحواها ولا نواياها. ألوهة لا وجه إنساني لها، ألوهة غامضة حتى المكر. هذا بغض النظر عن إذا كان موتانا قد لعبوا دورًا كبيرًا في تشكيل مستقبل البلد أو طائفة من طوائفه، لم يعتد العقل العربي أو المستعرب (والقبطي عربي بالفعل حتى لو أنكر بالقول) على أن يفحص سير موتاه فحصًا نقديًا علميًا موضوعيًا وموثّقًا، ولا يرى في ذلك تكريمًا، بل ربما يرى فيه

إهانة، فالجميع في مصر -ونؤكد الجميع- يؤمنون أنهم "خير أمة أخرجت للناس" رغم أنف كل الناس، ومع هذا النوع من البشر أي شروع في تفكير أو نقد علمي هو جريمة تكفير وإهانة للمقامات وأولياء الأمر مع سبق الإصرار والتلصص.

جل قصدنا من هذه العجالة هو تكريم البطريرك الأنبا شنودة، واللاهوتي الدكتور صموئيل وهبة. البطريرك شنودة أب الفلاحين المصريين (كان قداسته يفتخر بأنه تربى على يد فلاحة مسلمة ورضع من لبنها بعد موت أمه)، واللاهوتي صموئيل سليل الثقافة الهيلينية واللاهوت العلمي الأكاديمي. نريد أن يتم هذا التكريم بشكل علمي ولاهوتي يليق بالقامات العالية، بعيدًا عن الشعارات والديماجوجيات والتشنُّجات، التي هي بلغة آباء الكنيسة النساك اللاهوتيين تعبير صارخ عن الأوجاع. ويرى الآباء أنه في الجهاد للخلاص من الأوجاع (أي الأمراض النفسية بلغة اليوم)، تكمن الخطوة الأولى والحاسمة للكلام في الإلهيات بشكل موضوعي.

بدا لجيلي الذي درس اللاهوت في جامعات اليونان وفرنسا وألمانيا أن الأب البطريرك سعيد بهذه الدراسات، وكان الأب الدكتور صموئيل من أول الدارسين، ولقد نجح الأب صموئيل في مزج بساطة الإنجيل بعمق البحث اللاهوتي التقني، وهذا فرادة تحسب له، ولهذا أحبه البطريرك حبًا خاصًا، لأنه بسيط، ولأنه عالم بسيط وغير مشاغب فكريًا، وترجينا خيرًا لأنه منذ صدام البطريرك ديميتريوس بالعلامة اللاهوتي الأفندي أوريجينوس في القرن الثالث الميلادي، لم نجد بطريركًا قبطيًا

يرتاح إلى علماء اللاهوت الأفندية ويأنس إليهم ويستأنس بآرائهم في إدارة شؤون الأمة العظيمة، الشؤون الزمنية والأبدية، بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا تحول، كما قال الآباء في المجمع المسكوني الرابع 451 م.

قام الأب صموئيل بالتعليم في الإكليريكية مادة العهد الجديد واللغة اليونانية، ونحن نشفق على كل صادق يريد معرفة خبايا العهد الجديد ولا يعرف اللغة اليونانية، وخصوصًا من الأكليروس والخدام. ونهمس في آذانهم أن لا يكونوا مُغالين في الثقة بأن النص يقول باللغة العربية كل شيء، وأن يسألوا أهل العلم إن كانوا لا يفقهون.

ظن الأب الدكتور -وهنا نشعر أن كل الظن إثم وليس بعضه- وظننا معه أن الساعة جاءت، وهي الآن لكي تستعيد مصر دورها اللاهوتي وريادتها العلمية، على يد جيل من الشباب زرع وحده بالدموع وها هو يحصد للكنيسة كلها بالابتهاج. ووقف صموئيل وهبة في قاعة الدرس يشرح ويسلم ما استلمه من آباء الكنيسة العظام ومن أحفادهم علماء اللاهوت الأرثوذكس.

نقصد ما استلمه في أثناء مناقشة رسالة الدكتوراه التي قدمها الأب صموئيل لكلية اللاهوت في جامعة تسالونيكية. ولقد قدمها في عام 1999، وكتب لي إهداء على النسخة التي قدمها لي نصه "إلى أبي الحبيب القس أثناسيوس مع تمنياتي القلبية

بتعزية آلام المسيح وبقوة وفرح قيامته في خدماتكم لكنيسته..
أخوك مجدي وهبة تسالونيكي 10 -5 -2000".

كانت المسيحية كليا عند مجدي أفندي (كما كان يحب أن يسميه والدي) هي قلب مشتعل بحب المسيح، أحب الجميع فأحبه الجميع. في سمالوط حيث مسقط رأسه، والمنيا حيث درس في كلية الزراعة، وفي القاهرة حيث خدم الرب، وفي اليونان حيث تخصص في العلوم اللاهوتية، وفي سوريا ولبنان بل ورومانيا، لأنه حقًا كان يسعى ليكون إنسانًا كاملًا في ملء معرفة المسيح. كان لا يكف عن أن يمطرنا بالدعوات والابتهالات للرب، الذي بدا لكل من تعامل معه أنه كان يراه عن قرب وله معه صلة ما. لم تختفِ الابتسامة النابعة من القلب من وجهه قط، كان حقًا مجدي (ذوكسا باليونانية)، وسكن في الأمجاد من هنا على الأرض.

أهدى الدكتور مجدي رسالة الدكتوراه إلى كنيستي القبطية التي حفظت الإيمان المستقيم، وتحيا في آلام المسيح وفرح قيامته. كان يكرر -ربما عن غير قصد- قول الأستاذ الدكتور طه حسين "الكنيسة القبطية مجد مصري قديم". إن من يعرف العالم الأرثوذكسي البيزنطي في العالم وفي اليونان، يدرك قدر الصعوبة التي تكمن في أن تحاول أن تقنع 400 مليون أرثوذكسي روم في العالم أن الكنيسة التي تركت مسيرة الكنيسة الجامعة منذ 451 عام ميلادية إلى اليوم، هي كنيسة مستقيمة الرأي أرثوذكسية، حتى ولو كانت ثلاثة القرون الأولى عظيمة ومجيدة، كما يرى البعض من اللاهوتيين القبط الصادقين.

ولكن مجدي ورفاقه قالوها وهم يعرفون أنها ليست حقيقة تاريخية، ولكنهم يترجون أن تصير واقعًا بعد النهضة العلمية واللاهوتية والتاريخية التي سعوا إلى صنعها في مصر والشرق. لقد أنفقت الحكومة اليونانية والكنيسة اليونانية أموالًا طائلة على المبعوثين الأقباط، أولًا لأنهم يحبون هذه الجماعة المظلومة، وثانيًا لأنهم آمنوا أن القيادات الكنسية القبطية والشعب سوف يستقبلون علماءهم حديثًا استقبال الأبطال النهضويين، بعد أن استقبلوا العرب قديمًا استقبال الأبطال المحررين من النير البيزنطي، كما كتب أحد أساقفة القبط منذ أيام، وبعد استتباب الأمور للحكم الإسلامي - الإخواني في مصر.

وقال الراجون نهضة القبط إنه إذا كان البطريرك كيرلس الخامس قد استقبل مطبعة صماء بالتهليل، فلا بد أن البابا شنودة سوف يستقبل العلماء الذين سيزودون المطابع بالإبداعات العلمية واللاهوتية بتهليل أكبر. (همس لي مرة الأستاذ الدكتور موريس تاوضروس أستاذ العهد الجديد واللغة اليونانية بأنه لا يقدر أن يطبع كتابًا في مطبعة الأنبا رويس، لأن المطبعة لا تطبع إلا كتب البابا).

بدأ الدكتور مجدي التدريس في الإكليريكية وأراد الرجل أن يسلم ما سبق واستلمه من أساتذة كبار مشهود لهم في العالم أجمع، وصدق وصدقنا معه أن القبط يعيشون عصر النهضة والعلم، وكان رحمه الله وكنا معه نقف ضد كل من تسوّل له نفسه من كبار القبط أن ينتقد من بعيد أو قريب الصرح البطريركي أو الجالس عليه.

نقول ما تعلم، وقد فاتنا أن نورد عنوان رسالة الدكتوراه، وهي "آلام وقيامة المسيح وما يتعلق بها من قضايا ومشاكل تفسيرية كما وردت في شروحات وتفاسير الشراح والمفسرين الإسكندرانيين والأقباط". العنوان حافل بالمعاني، فالشراح الإسكندرانيين هم الهيلينيي الثقافة. وكانت الثقافة السائدة في الشرق حتى الغزو العربي في القرن السابع الميلادي هم الشراح المتأخرين في العصور الوسطى، بعد أن استتب للعرب حكم وتعريب مصر، ونسي الأقباط أو كادوا، آخر صلة لهم بالتراث الإغريقي وهي اللغة القبطية.

ذكر الباحث أولًا الآباء الكبار أغريغوريوس اللاهوتي (القرن الثالث)، ويوحنا الذهبي الفم (القرن الرابع)، أبيفانيوس أسقف قبرص (القرن الرابع)، يوحنا الدمشقي (القرن التاسع)، ثيوفيلاكتوس البالغاري (القرن الحادي عشر)، أغريغوريوس يالاماس (القرن الرابع عشر). ومن الإسكندرانيين ذكر أوريجينوس (القرن الثالث)، وديونيسيوس الإسكندري (القرن الثالث)، أثناسيوس (القرن الرابع)، ديديموس الأعمى (القرن الرابع)، كيرلس الإسكندري (القرن الخامس)، أمونيوس الإسكندري (القرن الخامس)، ثيؤدوسيوس الإسكندري (القرن السادس). نلاحظ في هذه القائمة الدالة التي يتعامل بها الباحث القبطي مع تاريخ الآباء، فمنهم آباء ما قبل مجمع خلقيدونية ومنهم آباء ما بعد المجمع، وهذا أدى إلى أن يقول البعض إنه لو تناسينا الجانب السياسي وأحزان هذه الفترة وخلاف الإخوة، فإن المجمع المسكوني الرابع يعتبر إضافة كبيرة للاهوت المصري.

ذكر أيضًا الأب صموئيل من الأقباط المستعربين كل من حاول أن يكتب تفسيرًا علميًا كان أو روحيًا، شعبيًا كان أو أكاديميًا، إلى أن جاء إلى الأنبا شنودة الثالث، فقال عنه: "هو البطريرك الحالي للكنيسة القبطية منذ 1971 والبطريرك المائة والسابع عشر، وهو الأب الروحي لعشرة ملايين قبطي، وهو شخصية خاريسماتيكية ومتكلم بارع ونشيط، وكتب مئة مؤلَّف، وكتب عن الفصح والخميس العظيم، ويغلب على كتابات وشروحات البطريك التفسير الرمزي بهدف بنيان المؤمنين".

ما لم يقله الأب صموئيل أن التفسير الرمزي نعم يدغدغ مشاعر المؤمنين الروحية، ولكنه يفرغ اللاهوت من التاريخ، أي من الناسوت. "نسطورية جديدة" ولهذا يجد أتباع التفسير الرمزي أنفسهم في أزمة مع التاريخ، فيهربون منه أو يصطدمون به. ونعلم أن اللاهوت الرسمي للكنيسة الجامعة هو لاهوت تاريخ التجسد وتجسد التاريخ. وأن الكنيسة وقفت أمام التطرف في التفسير الرمزي، ولم تستقم مسيرة الكنيسة إلا حينما اصطلحت الرمزية الإسكندرانية مع التأريخية الأنطاكية، على يد الآباء الكبار، كيرلس الإسكندري ويوحنا الأنطاكي. ولعل الصدام في المجمع المسكوني الرابع الخلقيدوني هو صدام بين الإفراط في الرمزية الإسكندرانية التي فرغت التجسد من الناسوت (المونوفيزية) التي تزعمها ديوسقوروس، والواقعية التاريخية الشرقية التي قادها كيرلس الكبير مع الأنطاكيين ومع روما والقسطنيطنية. الإصرار على ناسوت المسيح الكامل هو إصرار على تاريخية المسيحية وواقعيتها، ومن هذا الناسوت

المؤله في اتحاده باللاهوت في شخص أقنوم الكلمة الواحد. من أجلنا ستخرج الكنيسة جسد الكلمة إلى التاريخ في مسيرة أفخارستية شاهدة وشهيدة، لتستأثر كل فكر لطاعة المسيح، فكر الله المتأنس (لم يكن الأنبا شنودة يحب هذه التعبيرات ولا مضمونها وهذا هو السبب الأساسي وراء كرهه للأب متى المسكين والدكتور جورج حبيب بباوي). بدأ الأب صموئيل في شرح آلام السيد وقيامته إلى أن جاء إلى العشاء الأخير وما عرف "بخيانة يهوذا". وهنا نزل العالم اللاهوتي على الأرض من سماء الرمزية، وعلم ما علمه الآباء الكبار وما يعلمه اللاهوت المستقيم الرأي في العالم أجمع، وهو باختصار أن العشاء الأخير ليس هو الفصح اليهودي، بل هو الإفخارستيا، وأن يهوذا وبحسب شهادة كل آباء الكنيسة الجامعة وتراثها عاش مع التلاميذ كل مراحل الرحلة الأخيرة للسيد المسيح، وشارك في كل شيء، وفي العشاء الأخير، نقرأ في كتاب "التريودي" وهو كتاب العبادة في الصوم الأربعيني في الكنيسة الرومية الأرثوذكسية، وفي فصل "ترتيب الآلام المقدسة" – يوم الخميس الكبير المقدس حوارًا لاهوتيًا وعتابًا إنسانيًا راقيًا بين الكنيسة المرنمة والساجدة ويهوذا:

"أي سبب جعلك يا يهوذا أن تسلم المخلص؟ وهل أفصلك من صف الرسل؟ وهل أعدمك موهبة الأشفية؟ هل تعشى مع أولئك وأقصاك عن المائدة؟ هل رحض أرجل البقية وأعرض عنك؟ فيا لكم من الصالحات صرت ناسيًا وأما عزمك غير الشكور فقد فضح، وأما طول أناته التي لا تقدر فيشاد بها وبمراحمه العظمى". ص 376. ومن أروع الآثار العملية لخيانة

يهوذا بعد تناوله العشاء السري، تجد هذه الصرخة التي تطلقها الكنيسة كلها المقبلة على العشاء السري قائلة: "اقبلني اليوم شريكًا لعشائك السر يا ابن الله، لأني لست أقول سرك لأعدائك، ولا أعطيك قبلة غاشة مثل يهوذا، ولكن كاللص أعترف لك اذكرني يا رب إذا أتيت في ملكوتك". راجع القداس الإلهي لأبينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم أفشين قبل المناولة.

وصل إلى علم الأب البطريرك من بعض الطلبة أهل الثقة والحظوة البطريركية الذين تم وضعهم ليتجسسوا حريتنا التي في المسيح، (وهذا تراث قبطي عريق) ولقد وصل من مارسه بإتقان إلى أرفع المناصب الكهنوتية. نقول وصل إلى علم البطريرك أن الأستاذ مجدي "بيقول إن يهوذا اتناول". قال الجواسيس.. هكذا بكل بساطة وبدون أي فهم للإطار العلمي واللاهوتي لرسالة الدكتوراه التي سكبها الراحل دمًا في أربعمائة وثلاث وأربعين صفحة من القطع الكبير. وهنا أوكل البابا إلى الأسقف بيشوي الذي لا يحمل شهادة في اللاهوت، ليحقق مع الدكتور اللاهوتي، وأعادوا إلينا غيرة وحسد البطريرك ديميتريوس من علم أوريجينوس الأفندي. وكنا قد قررنا أن ننسى هذه الفترة ونفتح صفحة جديدة. صُدِم الأستاذ مجدي من أساليب الأسقف الالتوائية على الناس والحق، ولأن الأسقف من أهل الثقة والحظوة، فهو على استعداد أن يسحق كل من يغضب البطريرك. كان يقولها علنًا بكل فخر وبلا خجل. وتم إذلال الأستاذ مجدي ومنعه من التدريس وإهانة الدرجة العلمية

التي يحملها، بل وإهانة الذين منحوه الدرجة، وفي ذات الوقت لاحتقار الشعب الذي أحب علم الرجل. ولاذ الأستاذ مجدي بالصمت مثل يوحنا الذهبي الفم أمام حيل واضطهاد البطريرك ثيوفيلوس وحاشيته في القرن الخامس. لاذ بالصمت احترامًا وذهولًا، حتى أن زوجتي (وهي سورية أنطاكية أرثوذكسية رومية شكلًا وموضوعًا) قالت له في مكالمة تليفونية وباللهجة الشامية: "يضرب يهوذا ما لك وما ليهوذا؟! وليه تزعل سيدنا منك؟!". كانت زوجتي على استعداد أن تتناسى التاريخ -وهي الأنطاكية- من أجل خاطر سيدنا وسلامة خدمة الأستاذ مجدي الذي أحببناه بالحق. قرر الأستاذ مجدي الذهاب إلى بيت العائلة في سمالوط للهدوء، والكل مذهول ولم يخرج أحد من القامات الروحية العالية ولا الباقات المنشأة في الكاتدرائية. لا ليحتج على الظلم؛ هذا أمر غير وارد في القاموس القبطي المعاصر. بل أقله ليشرح للناس وللطلبة تلامذة الدكتور وللشعب القبطي في الكرازة التي جال بها من الإسكندرية إلى أسوان، الأستاذ مجدي ينادي بكلمة الله. لم ينشغل أحدهم -كالعادة- أن يفسر لماذا مُنِع الأستاذ مجدي من التدريس في الكلية الإكليريكة، بلا أسباب علمية أو مواجهات، إلا هذا الإذلال من الأسقف بيشوي، الذي كنا نترجى أن يتعاطى اللاهوت ويشارك في صنع النهضة. (راجع الدكتور جورج حبيب: رسالة إلى المرتدين عن المسيحية الأرثوذكسية الذين يتزعمهم أحد المرشحين لكرسي مار مرقس)، ناهيك بالانتظار على الأبواب وسيدنا مشغول مع أصحاب وصاحبات الحظوة. وإذا فكرت أن تكتب مذكرة للبطريرك

تشرح فيها قضيتك وتتسول الرحمة، فتأكد أنها رسالتك ستمر بكل الأيادي الأمينة ما عدا أيادي قداسته.

حزن الأب صمونيل حزنًا شديدًا، وحزن معه كل الإخوة العائدين من اليونان للمشاركة في النهضة اللاهوتية والعلمية، وحزن الشعب والشباب القبطي الجائع إلى البر والفكر اللاهوتي الراقي. وارتعد الجميع، وأدركوا أنه لا يوجد مكان للبحث ولا للتاريخ ولا للرؤية العلمية للنصوص. لأن اللاهوت والبحث العلمي يحتاجان إلى أهل الخبرة، ولا يجد موضعًا له وسط الحاشية من أهل الحظوة وأصحاب المنافع الدينية والنفسية.

الفكر السائد هو لاهوت المزاج والأهواء، حتى ولو كانت صادقة (غيرة ليست حسب المعرفة). البعض ذهب إلى مقارنة ومطابقة ما حدث للأستاذ الدكتور مجدي وهبة، على يد قيادات الكنيسة القبطية، بما حدث للأستاذ الدكتور نصر حامد أبو زيد على يد الجماعات الإسلامية، لأن المشترك علميًا وتقنيًا -بالطبع ليس لاهوتيًا- بين العالمين مجدي وأبو زيد، هو فحص النصوص من اللغات الأصلية وتدريس علم التأويل والتفسير.

فاتنا أن نقول إن الأستاذ مجدي كان شمَّاسًا إنجيليًا (دياكون) وهي رتبة كهنوتية اختفت من الكنيسة القبطية، وهو الشماس المتبتل الذي يُكرِّس وقته وصحته وجسده وقلبه للعلوم الروحية واللاهوتية، ولقد كان القديس أثناسيوس شماسًا بهذا المعنى، ولهذا كان له الحق أن يوجد في المجمع

المسكوني النيقاوي، لأن الشماس الإنجيلي رتبة كهنوتية، ولا علاقة بينها وبين ما آلت إليه هذه الرتبة الجليلة اليوم في مصر. وحينما التقى شماسنا أسقف سمالوط الأنبا بفنوتيوس الذي كان قد سبق فرسَّم مجدي دياكونًا. وعلم الأسقف ما حدث مع مجدي، فأراد أن يهون عليه، فقام بعمل سيخلق عداوة بينه وبين البطريركية، ومع أن القوانين الكنسية الأرثوذكسية تعطي الأسقف الحق أن يقوم بشؤون إيبارشيته، ولكن الأنبا شنودة خلق جيلًا من الأساقفة يدينون له بالولاء، وهذا جيد وواجب، ولكنه الولاء القاتل لكل المبادرات اللاهوتية والروحية والرعائية، وهذا ضد قوانين الكنيسة.

قام الأسقف بسيامة الدياكون الدكتور مجدي قسًا وأهداه سيارة بمناسبة الحصول على الدكتوراه، وبدلًا من أن يفرح البطريرك وسكرتير المجمع (المجمع غير الموجود عمليًا لأن السكرتير الملهم يوفر على الأساقفة التعب ويقرر وينفذ ما يرى أنه يرضي البطريرك). (لازم توقع يا سيدنا على القرارات.. أحسن سيدنا يزعل.. لاهوت الخواطر!) نقول بدلًا من الفرح بأن أحد إخوتهم الأساقفة قام بمبادرة حل خلاف كبير، ورأب صدعًا جديدًا بين الكنيسة القبطية والكنيسة والدولة اليونانية، التي صرفت على إعداد هذا العالم، ولقد كان أسقف سمالوط بعيد النظر، صارت العداوة مع الأسقف أكثر شراسة. واندهس اللاهوتي الأب صموئيل تحت أقدام الكبار، التي لا تدوس بعز على الشيطان والجهل، كما قالت دبورة، بل تدوس بغل على الناس والعلماء.

ونذكر أن أسقف سمالوط قد لجأ إلى التراث البيزنطي الأرثوذكسي لتفنيد آراء قيادات الكنيسة القبطية، في مكانة البطريرك كرئيس للكهنة، ورأى أسقف سمالوط -كما يرى الروم- أن المسيح هو رئيس الكهنة الحقيقي، وأن أي بطريرك هو رئيس أعمال الكهنوت، حسب تعبير أسقف سمالوط، والأدق لاهوتيًا أن نقول إن الكهنوت هو مواهب الروح المنسكبة من كهنوت المسيح، على كهنوت الأكليروس. والتي أدت إلى إعادة الكرامة لرئاسة كهنوت المسيح. وأن كل رئيس كهنة (مأخوذ من الناس فيما لله) هو خادم لكهنوت المسيح، ولهذا لا تضع كنائس الروم الأرثوذكسية على عرش الأسقف صورة قديس أو رسول، حتى لا يخسر الناس سلكان البشر، بل أيقونة المسيح رئيس الكهنة الأعظم، حتى يرى الناس حنان الله الأب ويعلم أي أسقف أنه إنما يستمد رئاسة كهنوته من كهنوت المسيح، وتم كتابة الكتب والمقالات. ولجأ الأسقف سكرتير المجمع الأنبا بيشوي بلا مجمع، إلى دكاترة اللاهوت حتى يوثق هرطقاته حول علاقة كهنوت الأسقف بكهنوت المسيح، وجعلوا بعض النصوص المنتقاة بمكر تقول ما لا تقوله في سياقها اللاهوتي العام. (راجع الصدام بين بولس واليهود حول كهنوت المسيح في الرسالة إلى العبرانيين، التي نساها الشعب القبطي في العصر السابق). أين القس صموئيل وهبة صموئيل من كل هذا؟ زاده الكهنوت بهاء وتواضعًا وفرحًا، وجال في البلاد والقرى التي انتشر فيها الفكر البروتستانتي والخمسيني يحاجج ويشرح ويفند ويزرع الحب، ويكتب في اللاهوت مع إخوة له لاهوتيين في القاهرة.

ولكن كانت في نفسه غصة النفي والإقامة الجبرية في سمالوط، والمنع البطريركي من دخول كنائس القاهرة، وحرمانه من الأحباء القاهريين والإسكندرايين والصعايدة، الذين يطربون لسماع عظاته اللاهوتية على بساطتها والبسيطة في لاهوتها. زد على ذلك أن البطريرك والحاشية من أهل الثقة، قاموا بحملة تطهير كبرى من كل آثار هذا التعليم العلمي الأكاديمي واللاهوتي الغريب، الوارد إلى مصر من بلاد اليونان، على يد حفنة من الشباب تلاميذ الدكتور نصحي عبد الشهيد رئيس بيت التكريس، الذي هو بيت بلا تكريس، كما سبق وذكر الأنبا شنودة في أول أعداد الكرازة عام 1976. والذي هو نصحي عبد الشهيد بدوره تلميذ الراهب المارق الخارج عن طاعة الكنيسة متى المسكين! ماذا فعل البطريرك الراحل؟ لم يخرج علينا وهو الكاتب الكبير بدراسة موثقة عن قضية يهوذا في التاريخ الكنسي ولاهوت الآباء العلماء والبطاركة الذين سبقوه، بل أكد أن يهوذا لم يتناول، هكذا مختصرًا كل قضية الفداء في جملتين، ولم يكتفِ بذلك، بل قرن الفعل بالقول، وأعطى الأوامر. وهنا أترجى كل من له أحاسيس روحية مرهفة وحس تاريخي رقيق ووعي لاهوتي إنساني أرق أن يمتنع عن متابعة القراءة.. حذفوا صورة يهوذا من أيقونة العشاء الأخير، وصار التلاميذ بقدرة قادر 11! أي والله! أحد عشر تلميذًا. صورة العشاء السري لها من العمر مئات السنين والعالم كله يعرف ويرى التلاميذ اثنى عشر تلميذًا، ويقوم الكثيرون من رسامي الأيقونات بتغميق صورة يهوذا تعبيرًا عن الحزن عليه، ولم يتجرأ أحد لا بطريرك ولا بابا ولا

مجمع مسكوني أن يحذف يهوذا من الأيقونة. جاء البابا شنودة ليقرر في اجتماع أربعاء حذف يهوذا من الصورة التاريخية، وسط الزغاريد والتصفيق بالفتح اللاهوتي الجديد!

لقد شارك البابا شنودة بعمله هذا في الحرب على الأيقونات، ووقع تحت حرمانات المجمع المسكوني السابع، الذي أدان المخالفين الشريعة الذين حاولوا القضاء على الصور الموقرة (صور المسيح وقديسيه). عملت مطابع مكتبة المحبة ليل نهار لإصدار الصورة الجديدة، وقامت الدنيا ولم تقعد في مصر والمهجر، حتى تم في ساعات إحلال صورة اثنى عشر تلميذًا بصورة أحد عشر تلميذًا. في واحدة من أكبر الفتوحات اللاهوتية القبطية التي أذهلت العالم وما زالت! المأساة أن هذه المأساة لم تحرك مشاعر أي قامة قبطية، عالية كانت أو واطية. الآباء يقولون إن الخطية الأساسية هي انعدام الإحساس. أتذكر في أيامي الأخيرة كخادم للكنيسة القبطية في اليونان، أن قام الإخوة بتركيب صورة العشاء الرباني في الكنيسة الجديدة ضواحي أثينا، ونظر إليها مجموعة أطفال أقباط يتعلمون في المدارس اليونانية أصول الدين المسيحي، ويرون الأيقونات الأرثوذكسية، ليس فقط في الكنائس بل في المصالح الحكومية والشوارع، استوقفني أحدهم وسألني لماذا التلاميذ أحد عشر وليسوا اثني عشر؟ نظرت إلى الأيقونة وإذ هم بالفعل أحد عشر، ولم أجد جوابًا إلا بعد أن مات الأب الدكتور صموئيل، وعدت إلى رسالة الدكتوراه التي حازت إعجاب العلماء، وإلى الفصل الخاص بدور يهوذا في التدبير الإلهي والفداء، ومع ذلك

ككل المصريين المنهزمين والمهمشين والمسبحين بفضائل من يستعبدهم ويحرمهم نعمة الحرية ونسيم العلم النقي. شكرنا الله أن صموئيل مات عند أسقف حر، واستطعنا أن ندفنه في جنازة مهيبة خرجت فيها سمالوط المدينة وقراها عن بكرة أبيها بمسلميها ومسيحييها، وإلا لكانوا في الباب العالي في القاهرة قد منعوا الصلاة عليه كما فعلوا مع القمص إبراهيم عبد السيد، الذي كانت كل جريمته أنه كتب بحثًا عن ضرورة الرقابة على أموال الكنيسة، التي هي أموال الشعب. وداخت زوجته وأولاده "السبع دوخات" لإيجاد مكان للصلاة عليه. وكادوا يفعلونها مع الأستاذ الفاضل الدكتور سليمان نسيم، لولا أن كهنة الفجالة سارعوا بدفنه قبل أن يصل الخبر إلى العباسية. كان الجميع يتساءل في الجنازة، بعد إرادة الله والتسليم لمشيئته على الطريقة المصرية: لماذا مات صموئيل؟ ومن الذي قتله في ريعان الشباب (مواليد 1953 - 2009)؟ في البلاد الراقية يفتحون تحقيقًا لأن هذه الجرائم الفاشية لا تسقط بالتقادم. الأدهى من ذلك أننا التقينا الأسقف بيشوي في أثينا، في إحدى زياراته، وكنا في طريقنا إلى فولوس لحضور أحد المؤتمرات، وتوقفنا في الطريق للراحة، وهنا بادر أحد الحاضرين الأنبا بيشوي سائلًا بخباثة استفزازية، كمن يتوقع الإجابة أو ينتظرها أو يريدني أن أسمعها لإرهابي، لأني صديق الأب صموئيل: "هل عرفت يا سيدنا أن أبونا صموئيل وهبة مات؟". السؤال رائع، وكأن سيدنا لا يعرف. (بالمناسبة الذي سأل السؤال وصل إلى أرفع المناصب). فرد الأنبا بيشوي بالحرف الواحد وهو ينظر إلي بابتسامة ذات

مغزى، وكأنه يوجه لي رسالة شخصية: "أنا لم أر البابا فرحانًا في حياته مثل فرحه حينما علم بموت القس صموئيل وهبة".

رأيت الأب الدكتور اللاهوتي آخر مرة بالجسد، حينما انتقل والدي، وكان شخصًا غريبًا يعتري وجهه الحزن الدفين. لم أستطع أن أرى في وجهه كل كيانه، كما عوّدنا. فصموئيل كان وجهًا وأيقونة للسيد الذي أحبه حبًا مَلَك عليه وجدانه. أحببت أن أسمع عظة له في الجنازة لنتعزى بالإيمان المشترك، فاعتذر بأدب حزين على غير العادة، وهو الواعظ الملهم بالروح والحق. دعوته لزيارة اليونان لتغيير الجو ورؤية الأحباء، فاعتذر وقال لي: ماذا سأقول لليونانيين من أساتذتي وأحبائي وللعرب والمصريين إذا ما سألوني عن أخباري والأحوال وعلاقتي بالأكليريكية والبطريرك؟ كان لآخر لحظة ورغم الظلم الواقع عليه، يحافظ على سمعة كنيسة لا يعنها شيء إلا ذاتها.

غادرت سمالوط وإحساس غريب يجتاحني حول أحوال الأب صموئيل، أنساني الحزن على والدي. بعد جنازة والدي بأسبوع اتصل بي أحد الأقرباء ليعزيني في انتقال الأب الدكتور صموئيل، كيف؟! تساءلت. أجاب محدثي: بينما كان يعظ في إحدى الجنازات اشتكى من ألم في صدره وسقط. وسقط معه الكثيرون، ولن يكون آخرهم كاتب هذه السطور الذي أقامته نعمة الرب وحدها وانفتاح قلب وعقل الأسقف اللاهوتي سيرافيم مطران ميناء بيرية العظيم باليونان، والوارد ذكرها في سفر أعمال الرسل.

أيها الحبيب صموئيل.. لقد عبرت بأرض مصر وكنيستها عبورًا سريعًا، لأنها ليست مهيأة لأقدام أمثالك المبشرين بالسلام، وأحببت أن توجه قلوبهم إلى أدب الرب وآذانهم إلى كلمات المعرفة، ولكنهم لهم آذان ولا يسمعون، وأعين ولا يرون، فسر إلى وجه الحبيب أيها الرائي وقل للسيد المسيح الذي أحببت أن يرسم نوره على مصر وشعبها وعلى من أحبوك فيها ويذكرونك دائمًا، يرسم نور وجهه ليدخل الجميع في فرح الترنيم وقوة العطاء وينتهي السبي ويتحرر الشعب. لقد صدق عليك يا أخي صموئيل ما قاله سيادة المطران جورج خضر، في تأبين الأرشمندريت ليف جيلليه "إذا أردت أن أختزل الأب صموئيل بكلمة أو كلمتين أقول إنه كان مذهلًا في تواضعه ونسكه ووادًا لأصدقائه.. يذكرهم بأسمائهم كاملة ولو ابتعد عنهم سنوات مديدة. لم يسكره علمه وما كان يعرضه إلا عند الحاجة... بخفة العصافير طار إلى السماء. سلم لنا على الآباء الكبار"، ليكن تذكارك أبديًا آمين.

دكتور عادل شكري رئيس تحرير مجلة «مدارس الأحد» يكشف أسرار الاعداد التى اغضبت البابا شنودة في التسعينات

بدأت مجلة «مدارس الأحد» فى الصدور عام 1947، وقامت بدور نهضوى كبير فى إصلاح الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وتعبر مجلداتها منذ هذا التاريخ الممتد لأكثر من 73 عامًا عن حال الكنيسة وعقلها، والدكتور عادل شكري، رئيس تحرير مجلة الأحد، في هذا الحوار يصحبنا فى رحلة على صفحات المجلة الخالدة ويشرح لنا رحلة تحولها من الإصلاح إلى البناء والتعليم. وأسرار الاعداد المصادرة كنسيا من المجلة

■ فى البداية متى بدأت علاقتك بمجلة «مدارس الأحد»؟

علاقتى بمجلة «مدارس الأحد» بدأت عندما كنت أدرس فى ثانوي، وكان لى صديق يخدم بكنيسة الملاك ميخائيل بطوسون فى شبرا، وفى مكتبته وجدت مجلدات مجلة «مدارس الأحد» كلها، فقرأت هذه المجلدات بالكامل، وهناك مقال مازلت أذكره.. حفظته عن ظهر قلب، كان المقال بعنوان «التدين التصحيح»، وكتبه أمين خادمة يدعى «لبيب راغب»، وقد رسم بعد ذلك باسم أبونا أنطونيوس راغب، وهو أول كاهن تمت رسامته على يد البابا شنودة الثالث بعدما أصبح بطريركا.

■ وماذا تضمنت هذه المقالة؟

المقال كان يعرض لأربعة أنواع من خادم الكنيسة، وأعطى لكل خادم لقبًا وهم «عليم»، ويقصد به المعرفة عند الخادم،

و«الباذل» أى يجيد خدمة الآخرين ويبذل نفسه لأجلهم، و«هاكي» أى فى حاله تماما، والأخير هو «طاكسيس» نسبة لكلمة طقس، والمقصود به الخادم الحافظ لطقوس الكنيسة، ويطالب المقال ألا يكون الخادم واحدا فقط من هؤلاء، بل يكون الأربعة، فلا يهتم بنقطة واحدة فقط، وقد أثر هذا المقال ١٩٧٢ فىّ كثيرًا، وعشقت هذه المجلة.

■ وكيف جاءتك فكرة «التكريس»؟

«التكريس» كلمة تعنى التخصيص، وتقصد عدم الزواج، والخدمة المسيحية فى وسط الناس وليس الانعزال كما فى الرهبنة. وأذكر أن هذه الفكرة بدأت داخلى نتيجة لمقارنة عقدتها بين موقفين، حيث عرفت عام ١٩٧٦ أن مكتبة الكلية الإكليريكية مغلقة لأنه لا يوجد من يفتحها، وفى الوقت نفسه كنت أتابع ما يقوم به الأستاذ منير عطية، سكرتير الأنبا أغريغوريوس، أسقف عام البحث العلمى والدراسات القبطية العليا، والذى يقوم بعمل ضخم فى طبع كتبه وتسجيل عظاته على شرائط الكاسيت.

وكشفت المقارنة عن أهمية «خدمة الفرد»، فغياب شخص واحد عطل عمل المكتبة بالكامل، ووجود شخص واحد وفر ونشر الكثير من الكتب والعظات. ومن هنا كرست حياتى للخدمة، ولكن لم تتل على صلاة التكريس، فعشتها بلا طقس.

■ وهل اعترض أحد من أسرتك لاختيارك هذه الحياة؟

لا.. أذكر أن أبى قال لشقيقى كفاية أننا سوف نراه بدلًا من أن يذهب ليترهبن ولا نجده.

■ وكيف صارت خدمتك فى هذا الإطار؟

خدمت فى سنة الامتياز بكلية الطب بمكتبة الكلية الإكليريكية، مع أبونا أغاثون الأنبا بيشوي، وكان المسئول عن بيت ومجلة مدارس الأحد الأستاذ مختار فايق، ودعا خادم بكنيسة الملاك ميخائيل بطوسون الأستاذ فيكتور فيليب، ليتولى مجلة مدارس الأحد لنشء الكنيسة، أى مجلة الأطفال، و«فيكتور» دعانى فخدمت معه فى مجلة الأطفال كان ذلك عام ١٩٧٩.

وأذكر أن أول شيء كتبت فيها كانت قصة مصورة للأطفال عن «حمار» النبى بلعام، والمذكورة بالعهد القديم، ونشرت فى عدد مارس ١٩٧٩، وفى مجلة النشء التى بدأت فى الصدور عام ١٩٧٦ قمت بكل الأعمال الإدارية، وساعدت فى كتابة المقالات، وظل الأمر هكذا حتى عام ١٩٨١، حيث جئت لبيت «مدارس الأحد» بروض الفرج بشبرا كمتفرغ للخدمة بشكل كامل وبإرادتي، حيث لم يدعونى أحد.

■ وماذا تقدم مجلة «مدارس الأحد» للأطفال؟

رسالتها تقديم المسيحية للأطفال، وتنشر سير القديسين، وتاريخ الكنيسة، وتقوم بتبسيط العقائد المسيحية، كما أنها تقدم معلومات ومسابقات وفكاهات، واستمر عملى بها حتى عام ٢٠٠٧.

■ وكيف انتقلت لمجلة «مدارس الأحد» العامة؟

كانت علاقتى بمجلة «مدارس الأحد» الكبيرة موجودة طوال عملى بمجلة الأطفال، وكنت أنشر بها بعض المقالات، وأتابع مقالات كتابها الكبار وأختار الصور المناسبة، وفى عام ٢٠٠٧ ترك الأستاذ مختار فايق البيت والمجلة، وتوالت مس هدى فلتس مجلة الأطفال وتوليت أنا مجلة الكبار.

■ وماذا قدمت خلال رئاستك للمجلة؟

المجلة تحمل رسالة وتاريخًا كبيرًا، ولها مكانتها المميزة بين الأقباط، وعملنا على استمرار هذه الرسالة، ويساهم فى ذلك عدد كبير من الكتاب، فهناك أبونا إبرام المقاري، الذى كان يكتب أكثر من عشر صفحات بدون اسم ومقالات روحية ومناسبات كنسية، وكتابات الدكتور جرجس بشري، وأبونا أثناسيوس جورج، وأبونا أنطونيوس ذكري، ومقال شهرى للأب أنتونى كونيارس، بالإضافة إلى القصة وأخبار الكنيسة.

■ «مدارس الأحد» صدرت بالأساس كمجلة إصلاحية.. فأين هذا الدور الإصلاحي؟

بالفعل مجلة الأحد صدرت كمجلة إصلاحية ولها باع طويل فى إصلاح الكنيسة، وظهر هذا فى الفترة ما بين ١٩٤٧ و١٩٥٩، وعندما حاولنا أن نستعيد الدور الإصلاحى فى التسعينيات من القرن الماضي، اصطدمنا بالبابا شنودة.

■ لماذا تم وضع عدد مايو ١٩٩٢ فى المخازن؟

تضمن هذا العدد نشر خطاب من البابا شنودة، عندما كان أسقفًا للتعليم إلى الدكتور سليمان نسيم، مدير تحرير المجلة، والخطاب يوضح أن هناك اختلافًا كبيرًا حدث فى الكنيسة، وجاء فى نص الخطاب صديقى العزيز الأستاذ سليمان: «سلامى ومحبتى لشخصك العزيز الذى يحمل اسمه في شذى ذكريات جميلة عبر ماض طويل.. وصلتنى رسالتك، وأشكر لك محبتك ونبلك ومشاعرك الطيبة من نحوي، كما وصلنى أيضًا جهادك الذى يتميز بالصراحة والشجاعة. الرب إلهنا يكون معكم جميعًا... الوضع الذى أنا فيه أيها المبارك كان لا بد أن يكون، هو نتيجة طبيعية كنت أنتظرها منذ زمان، منذ وقفت أدافع عن القس يوحنا سيدهم وما حاق بنفسه البارة من ظلم، ومنذ وقفت أدافع عن قوانين الكنيسة وحق الشعب فى اختيار راعيه، ومنذ بدأت أنشر صفحة الرعاية فى مجلة الكرازة لأوضح الأوضاع الكنسية السليمة حتى لا ينفصل الناس عن ماضيهم المجيد ويعيشوا فى حاضر منحرف.

كان لا بد أن يحدث هذا الذى حدث. لذلك لم أتعجب له إذ كنت أتوقعه. إنه صراع لا بد أن يجابهه كل من يتصدى لقول الحق، وهكذا قال السيد المسيح لتلاميذه، وهكذا عاش الرسل جميعًا، فى ضيقات فى اضطرابات فى سجون «مضطهدين لكن غير متروكين»... على أننى موقن أن الرب لا بد سيعمل، انه قد يتأخر، ولكنه لابد سيجئ، يقوم «ويصنع الخلاص علانية»، وأنا لست مستعدًا فى يوم من الأيام أن أعيش فى سلام على حساب الحق.

كما تضمن العدد مقالات قوية منها «صور ديمقراطية فى حياة البابا كيرلس السادس» كتبه الدكتور سعد ميخائيل سعد، وأكد فيه أن البابا كيرلس كان يتبع أسلوب الباب المفتوح لكل الشعب. وقدم النموذج الواعى فى إدارة الكنائس (أي المشاركة المتكافئة بين الكهنوت والشعب) كما أنه ترك مجلة الكرازة تهاجمه وتنقده بكل حسم.

■ ولماذا غضب البابا شنودة أيضًا من العدد الصادر فى أغسطس ١٩٩٤؟

غضبت الكنيسة علينا فى شخص البابا شنودة، وتم منع توزيع المجلة فى الخدمة والكنائس والأنشطة المختلفة واضطررنا لكتابة اعتذار كى نحل الأزمة. حيث تعرضنا لمشكلة أبونا اغاثون الأنبا بيشوي، والتى أثيرت اتهامات ضده فى كنيسة أبى سيفين بمصر القديمة، ونشرنا بالوثائق والصور أدلة تؤكد عدم صحة هذه الاتهامات، ونشرنا مقالا عن حدود السلطان الكهنوتي، ومقالًا آخر بعنوان ٩ معاثر فى حياتنا الكنسية.

■ وكيف تعامل القراء مع عودة المجلة للإصلاح؟

يمكن من خلال التقليب فى أوراق المجلة أن تكتشف هذه الحالة، قمنا بالبحث فى أعداد ووجدنا تقريرًا بعنوان «لحظة صدق مع ضمائرنا من خلال الرأى والرأى الآخر»، يعبر عن هذه الحالة، حيث بعث إلينا الأخ مجدى إبراهيم غبريال، من شبين الكوم (منوفية)، برسالة مطولة عن رأيه فيما نشرته مجلة مدارس الأحد فى أعدادها الأخيرة. لكننا -إحقاقًا للحق- يجب أن

نستهل ردنا هذا بأن هذه المجلة على امتداد عشرين سنة كانت تمدح وتقدر كل أعمال وجهود قداسة البابا شنودة دون مواربة وتشيد بها مكررة كلمات التشجيع. فلماذا ينسى بعض الأفاضل هذه الفترة ولا يذكرون إلا ما كتبناه أخيرًا؟ أما رسالة الأخ مجدى فتتلخص فيما يلي:

علمونا فى «مدارس الأحد» أن الصغير يحترم الكبير ولو اختلف معه فى الرأي.. علمونا طاعة الكاهن واحترام الكنيسة... علمتنى أمى عدم المخالفة وكانت دائمًا تقول (المخالف حاله تالف) خصوصًا على أى رتبة كهنوتية. (لاحظ يا أخ مجدى أن كثيرا من أمثالنا الشعبية سلبية الاتجاه). وجاء رد «المحرر». كالتالى أين تلك الروح.. روح مجلة «مدارس الأحد»؟.. تشكيك فى أبينا الأسقف على صفحات المجلة... أليس مكتوبًا (العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة طاعة أمها تقورها غربان الوادى وتأكلها فراخ النسر) أم ٣٠: ١٧....

تكتب المجلة للهدم لا للبناء وتقول معارضة!! وهى كلمة غريبة فمقال على الكنيسة «أضواء على مشكلاتنا الكنسية» ص ٨، ٩ عدد يناير ١٩٩٢... إلى من توجهه المجلة ولمصلحة من:- هل هو موجه إلى رؤساء الكنيسة؟ أي شكوى؟ هل هو موجه إلى عامة المسيحيين؟ فهو تشكيك الرعية فى الراعى فإن كان موجهًا إلى رؤساء الكنيسة فهناك تسلسل قيادى يجب أن ترسل الشكوى إليهم وليس على صفحات المجلة: «لا تسمحوا بأن تعلم الأمم بشيء من الخصوصيات التى تكون فيما بينكم وبين

بعضكم» دسقولية ٨: ٥٣، فإذا كنتم تقهمون وتأكلون بعضكم بعضًا فانظروا لئلا تفنوا بعضكم بعضا».

والمجلة تنشر هذا الخطاب لأنها ترحب بالرأى الآخر وتناقشه بمحبة. والمجلة وأعضاؤها يشعرون بشعور بولس الرسول عندما قال: «من يعثر وأنا لا ألتهب»، بل إن صورة المجلة -حين كان قداسة البابا شنودة يرأس تحريرها- كانت صورة المسيح يطرد الباعة وهو يقول «غيرة بيتك أكلتني».

لكن الصحافة كلمة مسئولة وصادقة، مسئولة عن إيضاح الرؤية وتصحيح الوعي، وصادقة فى كشف الحقائق وإعلانها وأمينة فى توجيه النقد البناء، فقط الذى يستهدف علاج الأوضاع الخاطئة دون المساس بالأشخاص.

وقبل أن نتناول فقرات الخطاب السابق بالتعليق، فليسمح لنا القارئ العزيز باستعراض المقالات التى نشرتها المجلة منذ عدد يونيو ١٩٩١ وإلى عدد مارس ١٩٩٢، تلك المقالات التى تعرضت لنقد السلبيات أو المشكلات التى يعانى منها مجتمعنا الكنسي. هذه المقالات لم تتجاوز نسبتها من مجموع مقالات المجلة فى هذه الفترة.. الـ١٥٪ ولكننا لا ننسى أن نذكر أننا كثيرًا ما لجأنا إلى التسلسل القيادي، فلم نظفر برد وأننا نستعرض هذه المقالات فى تركيز حتى يتمكن القارئ من الحكم بنفسه عليها... هل هي للهدم أم للبنيان هل هى بهدف المعارضة أم لتصحيح الأخطاء؟ حتى تصير الكنيسة بلا عيب. هل فيها تشهير

أو تجريح بأي إنسان أم هي دعوة للحب من الجميع وللجميع، ودعوة للمصالحة وإنهاء الخلافات الشخصية والصفح.

وجدير بالذكر أن التجاوب الذى لمسناه مع كتابة هذه المقالات دل على أن ثمة كبت يعانى منه قطاع كبير من شعبنا مما يؤكد على آباء الكنيسة ضرورة التفكير الجاد فى علاجه وليس فى تجاهله أو الانتقام ممن تصدوا للتعبير عنه.

وإننا نرجو من صاحب الخطاب بل ومن كل قرائنا الأعزاء أن يرجعوا إلى المقالات السابقة ويقرأوا تعليقنا التالى بروح المحبة وبدون التأثر بحكم مسبق قد لا يكون من السهل التنازل عنه، وكذا دون التمسك باتجاهات وآراء موروثة قبل التحقق من صحتها وإيجابية اتجاهاتها.

■ لكن ما أسباب نشر المجلة لهذه المقالات؟

تزايد ظهور حالات إيقاع الحرم فى أماكن مختلفة وكثيرة، فكان أن تزايدت الشكوى من الكثيرين، وهؤلاء المحرومون لا تربطنا بهم أية علاقة ولم تتعاطف معهم إلا بسبب إحساسنا بالظلم الذى وقع عليهم. كما أنه ليس هناك أية عداوة شخصية بين أفراد هيئة تحرير المجلة وبين أحد الأساقفة أو الرعاة فجميعهم موضع الاحترام والتكريم. وإن كنا نتناول بعض تصرفاتهم فليس تشهيرًا بهم ولا إدانة لهم، لكن إدانة لتصرفاتهم وعندئذ يمكن معالجة هذه السلبيات فيزداد توقير الشعب لهم وتتعمق فى قلبه صور حبهم وطاعتهم.

وهنا نذكر أنه قد واكب هذه الأحداث وصول خطابات أخرى من أفراد آخرين من أماكن مختلفة يعانون من نفس المشكلة ومن الإحساس بالظلم ومن العثرة من داخل الكنيسة، فأحسسنا كما أحس القديس بولس يوما ما وهو يقول: «من يعثر وأنا لا التهب» ٢ كو ١١: ٢٩.

والآن تعالوا نتأمل معًا فى بعض المفاهيم الروحية: العثرة. ما هي؟ وما أسبابها؟ لقد كان السيد المسيح يقصد أن يعلو الحق فوق كل اعتبار وفوق كل أحد، فمن يعث بالحق فهو يعثر لأن النور ليس فيه. أما العثرة التى وبخها رب المجد قائلا ويل لمن تأتى به العثرات فهى العثرة بالخطية، والتى تؤدى إلى فعل الخطية أو التفكير فيها كما فى قوله إن أعثرتك عينك...

فالأخطاء الشخصية التى تصدر من أفراد عاديين تثير العثرة، أما الأخطاء العامة التى تصدر من شخصيات عامة وتمس الآخرين فذكرها ليس عثرة، لكن وجودها وفعلها هو العثرة. ونشرها بكلمة حق يهدف إلى القضاء عليها وإنقاذ الآخرين من عثرتها.

فأيهما أفضل: أن تحذر ونبصر تجنبا لهذه العثرات التى عادة يتناقلها الناس سريعا، فتنتشر أم نتركها ولا نذكرها ونحكم على أنفسنا بأننا شعب ميت لا غيرة عنده ولا شجاعة بقول بها كلمة الحق؟؟ وهل من العدل أن نقول للباكى لا تبك قبل أن نقول للضارب لا تضرب؟!!

ومفهوم الاحترام والطاعة للرؤساء: «أطيعوا والديكم فى الرب» «ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس» علينا عندما نستشهد بآيات الكتاب المقدس أن نستجمع كل الآيات المرتبطة بالموضوع حتى نخرج بمفهوم صحيح ومتكامل. فالكتاب قال أيضا «لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا». فالاحترام والطاعة لا يعنيان التخلى عن الحق والسكوت عن الخطأ.. فإذا كانت الطاعة عمياء فى الرب فهى صحيحة وإنجيلية. لكن هل نطلب طاعة عمياء للوالدين أو الرعاة، يتسبب عنها أفدح الأخطار؟ تحت أى قانون هذا؟ ووفقا لأى مبدأ؟؟

فعندما تشير المجلة إلى تجاوزات بعض الرعاة أو تجنبهم الصواب فى بعض المواقف، فهى لا تتصيد الأخطاء لهم، أو تستهزئ بهم أو تحتقر طاعتهم، أو تجرحهم، وإنما هى تشير إلى الخطأ وتدينه ولا تدين الأشخاص فالمجلة لا تهاجم الرتب الكهنوتية بل تحاول حمايتها من أخطاء بعض من تقلدوها. لأن وضع اليد على الرعاة لا يعصمهم من الخطأ. واختيار الله للأشخاص لا يعنى عصمتهم من الخطية. نلاحظ هذا منذ اختيار الله لشعب إسرائيل الذى لم يحافظ على الاختيار بل تقسى، وكذلك اختياره لشاول ملكا، وكذلك داود، وحتى نصل إلى الرسل.

لقد أخطأ بطرس فى الدعوة إلى ختام الأمم أولًا فقاومه بولس مواجهة لأنه كان ملومًا. فهل هذه عثرة؟ سلطان الرعاة (من جهة)، وطاعة الرعية لهم (من الجهة الأخرى) متعلق بالدرجة الأولى بمدى طاعة هؤلاء الرعاة لصاحب السلطان

الحقيقى الذى أقامهم وائتمنهم، سلطانهم للبنيان لا للهدم كما قال بولس الرسول فى ٢ كو ١٣: ١٠. وفى كل ما كتبناه استشهدنا بالكتاب المقدس، وبتقاليد وقوانين الآباء ثم بآراء وبتعليقات من سبقونا على كراسى مسئولية التحرير.

الاختلاف فى الرأى ليس معارضة ولا إهانة لصاحب الرأي: فقبل كل اجتماع للمجلة، وقبل كل كلمة تكتبها، صلوات كثيرة تطلب بقلوب صادقة أن تكون إرادة الرب قبل إرادتنا، وأن لا يسلمنا لذواتنا بل لمشيئته ولعلم الخير لكنيسته ورعاتها.

■ هل أصبحت المجلة للتعليم فقط لا النقد؟

نعم تحول دورها لنشر التعليم وبناء النفوس من خلال ذلك.

■ لماذا لا يوجد للمجلة موقع إلكتروني؟

الموقع مكلف جدًا، وبسبب التكلفة العالية للطباعة وتوزيع البريد أصبحنا نصدر ٦ مرات فى السنة، ومجلة الأطفال تطبع ٢٠ ألف نسخة والمجلة الكبيرة نحو ٥ آلاف نسخة.

مقالات من الأعداد المصادرة من مجلة مدارس الاحد والتى أغضبت البابا شنودة

صور ديمقراطية في حياة البابا كيرلس السادس

بقلم الدكتور سعد ميخائيل سعد

الكنيسة القبطية. لوس انجيلوس الولايات المتحدة

لكن كانت الديمقراطية في الكنيسة حلما في ضمير المصلح الكبير حبيب جرجس، فإن مواهب الروح القدس العاملة في البابا كيرلس السادس قد أتت بعناصر متعددة من هذا الحلم إلى حيز الوجود.

وهذه بعض الجوانب المضيئة في حياة قدسينا البابا كيرلس والتي تكشف عن روح قبول الآخر في العمل الكنسي:

(1)الشورى وإشراك العلمانيين في العمل الكنسي:

كان البابا كيرلس يتبع شركة الافخارستيا بممارسة مبدأ الباب المفتوح لكل الشعب. فكل من كان له رأى أو مطلب كان يعلم انه يستطيع تبليغه للبابا شخصيا في صباح الغد بدون ميعاد ولا سكرتارية ولا وساطة.

وكان يؤمن بالشورى ويشهد الكثيرون أنه سعى إلى معرفة رأيهم في أمور وقرارات معينة. وفي رسالة مكتوبة بخط يده (حوالي 1950) إلى رهبان دير الأنبا صموئيل ينصحهم ألا يعملوا عملا بدون مشورة حتى ولو ظنوا أنه جيد.

وكان يؤمن بدور العلمانيين في بناء ملكوت الله، سواء داخل التنظيمات الكنسية أو خارجها، فمنذ عام 1945 وهو يعطي تشجيعه الكامل في تاسيس ونهضة جمعية مارمينا للدراسات القبطية بالاسكندرية، وكان مرشدا روحيا خاصا للخمسة العلمانيين الذين أسسوها.

ولم تمض فترة وجيزة على توليه مسئولية البطريركية حتى وضع البابا كيرلس بحكمة بالغة نهاية للصراع الطويل والمرير بين الاكليروس والعلمانيين حول ادارة الأوقاف القبطية، فنجح غبطته في اقناع الطرفين بصيغة جديدة تكفل اشتراكهما معا في المسئولية، وهكذا تشكلت هيئة الأوقاف برئاسة البابا وعضوية ستة اساقفة وستة من العلمانيين.

وصار هذا النموذج (أي المشاركة المتكافئة بين الكهنوت والشعب) هو الصيغة التي اتبعها البابا كيرلس، سواء في تشكيل المجالس الكنسية أو الوفود التي تمثل الكنيسة القبطية في الخارج.

غير أن كاتب هذا المقال وهو يسجل ديمقراطية تشكيل هيئة الأوقاف من جهة الاشتراك المؤثر للعلمانيين في تكوينها، إلا أنه يرى فيها تراجعا من جهة أن أعضاءها معينون وليسوا منتخبين، إن منطق ديمقراطية الكنيسة يتطلب، من وجهة نظر الكاتب، أن يقوم الكهنة والرهبان والراهبات والشعب (أو ممثلوهم في المجالس الكهنوتية والديرية والمائية) بانتخاب جميع أعضاء الهيئة. وأيضا أن يضاف إلى عضويتها بالانتخاب أيضا، كهنة ورهبان وراهبات إلى جانب الأساقفة والعلمانيين.

(2)رعايته للرأي الآخر قبل جلوسه على كرسي مارمرقس:

كانت خدمة القمص مينا المتوحد متسعة ومتعددة الجوانب، ففي تلك الفترة (ما قبل عام 1959) كانت مجلة مدارس الأحد هي المعبرة عن مشاعر وآمال الجيل الجديد من

خدام مدارس الأحد بالنسبة للاصلاح الكنسي، وكانت قائمة الاصلاح طويلة ومتنوعة. فاحتجت على رسامات تمت بدون اختيار الشعب، بل تعرضت لبعض الأمور المتعلقة بالأدب البطريرك، وكان شعارها هو الاقتداء بالرب يسوع الذي حمل سوطا في يده وطرد الغرباء والباعة من هيكله.

فماذا كانت علاقة القمص مينا المتوحد بمحرري مجلة مدارس الأحد؟ كان لهم المرشد الروحي وأب الاعتراف، يشير عليهم، ويستنيرون بإرشاده.

وعندما حمل البابا كيرلس مسئولية البطريركية أتى بالكثيرين من محرري المجلة ليكونوا في سكرتاريته، بل رفع بعضهم إلى مسئولية الأسقفية، وكأنه يقول للرأي الآخر «كنت أمينا في القليل أقيمك على الكثير».

بل لقد مارس القمص مينا المتوحد الاحتجاج على الأوضاع الخاطئة في الكنيسة بنفسه، ولما خرج من مجمع رهبان دير البراموس استقل وأصبح مركز تجمع روحي للشبان، بل قام بتكريس البعض منهم للرهبنة.

(3) ديموقراطيته مع الرأي الآخر أثناء بطريركيته:

كانت المهمة الأولى أمام البابا كيرلس عام 1959 هي أن يصالح جميع الأطراف العاملة في الكنيسة، وأن يوازن بين اتجاهات متعارضة ورثت نزاع عشرات السنين فيها.

وبعد نظر سعى إلى تأليف وحدة تامة بين العناصر التقليدية التي كانت تحمل القيادة من قبله، وبين جماعة «الرأي الآخر» الذين أتى بهم إلى مواقع المسئولية الأولى في الكنيسة.

ومن طبيعة الأمور أصبح هناك معارضون له. وكانت مجلة الكرازة هي المعبرة عن الرأي الآخر، فاحتجت على أسلوبه في اختيار الأساقفة، وانتقدت خلو النظام المالي في الكنيسة من المبادئ الاشتراكية، واعترضت على اهداء عصا (تشبه عصا الرعاية) إلى بطريرك ارثوذكسي من الخلقيدونيين القائلين بالطبيعتين.

فماذا كان موقف البابا كيرلس من الرأي الآخر؟ لم يعتبر البابا أن الأسقف أو الراهب معاونا له وأنه اذا قدم نذر الطباعة، لا ينبغي أن يلجأ إلى الرأي العام لتحقيق التغيير، بل اعتبر أن ديموقراطية الحياة الكنسية تسمح بذلك، وأن الرأي الآخر هو عنصر أساسي في تكامل القرار الكنسي، وأن الجدل القائم يمكن أن يتحول، بروح الصلاة وإيماءات الأبوة، إلى حوار بناء لغير الكنيسة، فلم يوقف اصدار مجلة الكرازة رغم أنها كانت تصدر باسم الكنيسة.

ولم يمض وقت طويل على انتقاد القمص باخوم المحرقي لنظام التزكيات في اختيار الاسقف، حتى دعاه البابا للأسقفية باسم الانبا غريغوريوس (مايو 1967). هذا الموقف وغيره يشهد

ليس فقط بسعة صدر البابا للرأي الآخر، بل دعوته المتكررة لمعارضيه للمشاركة في المسئولية.

(4) إصدار دستور ديموقراطي للكنيسة في أمريكا الشمالية:

في عام 1969 اجتمع ممثلون عن كنائس أمريكا الشمالية (سواء التي بها كهنة مقيمين في كنسيتي تورنتو ومونتريال، أو التي كان الكاهن يزورها دوريا) وناقشوا بنود لائحة تنظيم العمل بكنائسهم. وبعد اتفاق رأيهم ارسلوا هذه اللائحة إلى البابا كيرلس، الذي لما تأكد من سلامة بنودها، باركها واعتمدها في 3 ديسمبر 1969، لتكون دستورا وقانونا موحدا للكنيسة القبطية في أمريكا الشمالية.

وبالإضافة إلى الأسلوب الديموقراطي الذي اختاره البابا كيرلس لوضع هذا التشريع الكنسي، فأننا نجد بنود الدستور نفسه على مستوى عال من الديموقراطية. فهي تنص أولا على تشكيل مجلس للكنيسة بالكامل بأسلوب الانتخاب الشعبي، وثانيا أن تجتمع الجمعية العمومية للكنيسة سنويا لمراجعة تقدم الخدمة والنظر في تقارير اللجان وميزانية الكنيسة واقتراحات الأعضاء ولأجراء انتخابات مجلس جديد للكنيسة. وثالثا أن يكون هناك مجلس عام للكنيسة القبطية بأمريكا الشمالية، تمثل فيه كل كنيسة محلية بعضوين هما كاهنها وسكرتير مجلسها، وأن هذا المجلس العام هو المنوط بالبت في تعديل الدستور في المستقبل. وبهذا يتأكد لنامرة أخرى أن

نموذج التساوي العددي بين العلمانيين والاكيروس في المجالس العليا في الكنيسة، كان هو الصيغة المفضلة عند البابا كيرلس.

خاتمة:

رأينا كيف قدم لنا البابا كيرلس السادس قدوة عملية للحياة الديموقراطية في الكنيسة، وكيف مارس تقاليد المساواة بين الاكليروس والعلمانيين وأرسى القوانين الكفيلة بابراز روح الديمقراطية السامية وكذا إلى أي مدى أعطى صفة الشرعية للرأي الآخر داخل الكنيسة. ويزداد قدر هذه الانجازات اذا قسناها على ضوء الأوضاع الكنسية السيئة التي ورثها البابا كيرلس عن اسلافه، وتأثير المناخ السياسي في مصر وقتها (اي الديموقراطية المحدودة)، بالاضافة إلى اعتبار أنه لم يمض في الخدمة البطريركية إلا اثني عشر عاما.

وبالرغم من هذا، فالكاتب لا يدعي أن أعمال البابا كيرلس قد أكملت السعي في هذا المجال، فالكمال هو جهاد الأجيال حتى مجئ المسيح الثاني لذلك ونحن نكشف ونحلل تراثنا الديموقراطي، نتعرف أيضا على ارادة الله من جهة مسئوليتنا في المحافظة عليه واستكماله.

وهذا يستلزم تعاون الجميع، اكليروسا وشعبا، حتى يتحقق فينا الوحي الالهي، وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة، شعب اقتناء. (1 بط 2:9).

لحظة صدق مع ضمائرنا من خلال الرأي والرأي الآخر

«أدرب نفسي على أن يكون لي ضمير صالح أمام الله والناس»

القديس بولس الرسول

بعث الينا الأخ العزيز مجدي ابراهيم غبريال من شبين الكوم (منوفية) برسالة مطولة عن رأيه فيما نشرته مجلة مدارس الأحد في أعدادها الأخيرة. وكانت قد وصلتنا رسائل مماثلة تضمنت الأفكار والاعتراضات التي حوتها رسالة الأخ ابراهيم. لكننا -إحقاقا للحق- يجب أن نستهل ردنا هذا بأن هذه المجلة على امتداد عشرين سنة كانت تمدح وتقدر كل أعمال وجهود قداسة البابا شنودة دون مواربة وتشيد بها مكررة كلمات التشجيع. فلماذا ينسى بعض الأفاضل هذه الفترة ولا يذكرون إلا ما كتبناه أخيرا؟ أما رسالة الأخ مجدي فتتلخص فيما يلي:

+ علمونا في مدارس الأحد أن الصغير يحترم الكبير ولو اختلف معه في الرأي.

+ علمونا طاعة الكاهن واحترام الكنيسة ...

+ علتني أمي عدم المخافة وكانت دائما تقول (المخالف حاله تالف) خصوصا على أي رتبة كهنوتية. (لاحظ يا أخ مجدي أن كثيرا من أمثالنا الشعبية سلبية الاتجاه) «المحرر». أين تلك الروح.. روح مجلة مدارس الأحد؟.. تشكيك في أبينا الأسقف على صفحات المجلة... اليس مكتوبا (العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة طاعة أمها تقورها غربان الوادي وتأكلها فراخ النسر) أم 30 : 17....

تكتب المجلة للهدم لا للبناء وتقول معارضة!! وهي كلمة غريبة فمقال على الكنيسة «أضواء على مشكلاتنا الكنسية» ص 8، 9 عدد يناير 1992... إلى من توجهه المجلة ولمصلحة من :-

هل هو موجه إلى رؤساء الكنيسة؟ أي شكوى؟

هل هو موجه إلى عامة المسيحين؟ فهو تشكيك الرعية في الراعي فإن كان موجها إلى رؤساء الكنيسة فهناك تسلسل قيادي يجب أن ترسل الشكوى اليهم وليس على صفحات المجلة:

«لا تسمحوا بأن يعلم الأمم بشيء من الخصوصيات التي تكون فميا بينكم وبين بعضكم» دسقولية 8 : 53

فإذا كنتم تفهمون وتأكلون بعضكم بعضا فانظروا لئلا تفنوا بعضكم بعضا»

والمجلة تنشر هذا الخطاب لأنها ترحب بالرأي الآخر وتناقشه بمحبة. والمجلة واعضاؤها يشعرون بشعور بولس الرسول عندما قال: «من يعثر وأنا لا التهب».

«بل أن صورة المجلة -حين كان قداسة الباب يرأس تحريرها- كانت صورة المسيح يطرد الباعة وهو يقول «غيرة بيتك أكلتني».

لكن الصحافة كلمة مسئولة وصادقة، مسئولة عن ايضاح الرؤيا وتصحيح الوعي، وصادقة في كشف الحقائق واعلانها وأمينة في توجيه النقد البناء، فقط الذي يستهدف علاج الأوضاع الخاطئة دون المساس بالأشخاص.

وقبل أن نتناول فقرات الخطاب السابق بالتعليق فليسمح لنا القارئ العزيز باستعراض المقالات التي نشرتها المجلة منذ عدد يونيو 1991 والى عدد مارس 1992، تلك المقالات التي تعرضت لنقد السلبيات أو المشكلات التي يعاني منها مجتمعنا الكنسي. هذه المقالات لم تتجاوز نسبتها من مجموع مقالات المجلة في هذه الفترة.. الـ 15% ولكننا لا ننسى أن تذكر أننا كثيرا ما لجأنا إلى التسلسل القيادي فلم نظفر برد وأننا نستعرض هذه المقالات في تركيز حتى يتمكن القارئ من الحكم بنفسه عليها ... هل هي للهدم ام للبنيان هل هي بهدف المعارضة ام لتصحيح الأخطاء حتى تصير الكنيسة بلا عيب، هل فيها تشهير أو تجريح بأي إنسان أم هي دعوة للحب من الجميع وللجميع، ودعوة للمصالحة وانهاء الخلافات الشخصية والصفح.

*مقالات المجلة من عدد يونيو 1991 إلى عدد مارس 1992م.

* دعوة إلى المصالحة.

* الحرمان الكنسي في ضوء تعاليم الانجيل والدسقولية.

* المشيرون.

* حول موضوع الحرم الكنسي (خطاب من أحد الخدام بالبلينا يشكو من ظلم وقع عليه).

* علاقة المحبة بين الأسقف وشعبه (تتحدث المقالة عن المحبة التي تطلب الضال وتصفح عن المخطئ ولا توقع ظلما بأحد).

* رأي حول الإعلان عن قرار كنسي ضد الأب الراهب دانيال البراموسي فلم تتعرض المجلة للقرار في ذاته (صوابه أم خطأه) بل تعرضت لطريقة نشره في الاهرام وقالت المجلة نفس كلمات الخطاب السابق لمن ينشر ولمصلحة من؟ وهذا النشر في الأهرام هو ما تنطبق عليها العبارة التي ذكرها الخطاب: «لا تسمحوا بأن يعلم الأمم بشيء من الخصومات...».

*إجابة على سؤال عن اللجنة المجمعية وعملها ومدى سلطاتها في الحرم، وكانت الاجابة من واقع لائحة المجمع المقدس وليس عن رأي خاص للمجلة.

* صورة قرار حرمان أحد الخدام من المنوفية (بدون ذكر أسماء) وكان الغرض من نشره توضيح أن القرار صدر بدون محاكمة ولأسباب لا تدعو مطلقا للحرم. فهذا الخادم لم يخرج عن الإيمان ولم يعتنق أو يخدم بغير الارثوذكسية أو خارج العقيدة.

* كلمة حق (عن بعض المشكلات التي تحتاج إلى تدخل البابا لحلها).

*بدء الصوم وحيرة الشعب (انفراد ايبارشية المنوفية ببدء صوم الميلاد يوم 11/25 بينما بدأته الكنيسة بأجمعها في 11/26).

* قصة واقعية عن الأقارب والمناصب (نصف صفحة)، ونحن لا نمانع في الاستعانة بالاقارب إلا في حالة سوء استخدامهم لسلطتهم فلماذا تؤخذ القضية بهذه الحساسية؟

* هموم كنسية في تقرير جمعية قبطية (يشير إلى أهم المظاهر السلبية المنتشرة وسط المسيحيين الآن).

* قصة واقعية عن سلطان الكنيسة العادل وكيف يجب ألا يأتي الحكم بالحرم سريعًا.

* حول الكلية الاكليريكية (مقالتان ناقشتا أحوال الاكليريكية الحالية من خلال المناهج والمبنى والأساتذة والبعثات واللائحة).

* قدسية بيت الرب (عدم مناسبة التصفيق في الكنائس).

* القدسات للقديسين (عدم اذاعة تفاصيل القداس على التلفزيون وخصوصا الجزء الخاص بصلوات التقديس).

* اكليريكيات الأقاليم.

* المجلس الملي العام وابناء الصمت (تساؤل عن الدور الغائب للمجلس في الوقت الحالي).

* قصة واقعية (هل هكذا تكون الأبوة) وتعليق عليها.

وذكرنا لهذه القصة لم نقصد بها التشهير إنما ذكرناها كمثل لما يعانيه الابناء من آبائهم الروحيين ليس في ابروشية المنوفية فقط بل في كثير من الابروشيات.

وجدير بالذكر أن التجاوب الذي لمسناه مع كتابة هذه المقالات دل على أن ثمة كبت يعاني منه قطاع كبير من شعبنا مما يؤكد على أباء الكنيسة ضرورة التفكير الجاد في علاجه وليس في تجاهله أو الانتقام ممن تصدوا للتعبير عنه.

وإننا نرجو من صاحب الخطاب بل ومن كل قرائنا الأعزاء أن يرجعوا إلى المقالات السابقة ويقرأوا تعليقنا التالي بروح المحبة وبدون التأثر بحكم مسبق قد لا يكون من السهل التنازل عنه، وكذا دون التمسك باتجاهات وأراء موروثة قبل التحقق من صحتها وايجابية اتجاهاتها.

- أسباب نشر المجلة لهذه المقالات:

تزايد ظهور حالات إيقاع الحرم في أماكن مختلفة وكثيرة، فكان أن تزايدت الشكوى من الكثيرين، وهؤلاء المحرومون لا تربطنا بهم أية علاقة ولم تتعاطف معهم إلا بسبب إحساسنا بالظلم الذي وقع عليهم. كما أنه ليس هناك أية عداوة شخصية بين أفراد هيئة تحرير المجلة وبين أحد الاساقفة أو الرعاة فجميعهم موضع الاحترام والتكريم.

وإن كنا نتناول بعض تصرفاتهم فليس تشهيرا بهم ولا إدانة لهم لكن إدانة لتصرفاتهم وعندئذ يمكن معالجة هذه السلبيات فيزداد توقير الشعب لهم وتتعمق في قلبه صور حبهم وطاعتهم.

وهنا نذكر أنه قد واكب هذه الاحداث وصول خطابات أخرى من أفراد آخرين من أماكن مختلفة يعانون من نفس المشكلة ومن الإحساس بالظلم ومن العثرة من داخل الكنيسة فأحسسنا كما أحس القديس بولس يوما ما وهو يقول: «من يعثر وأنا لا التهب» 2 كو 11 : 29.

والآن تعالوا نتأمل معاني بعض المفاهيم الروحية:

- العثرة . – ما هي؟ وما أسبابها؟

مفهوم العثرة من الكتاب المقدس: واجه السيد المسيح الفريسيين ورؤساء اليهود بعيوبهم وحرفية ومظهرية عبادتهم وصلواتهم ... فهل كانت هذه المواجهة عثرة أم ضرورة؟

صنع السيد المسيح المعجزات في يوم السبت مخالفا بذلك ناموس اليهود .. فهل يعتبر هذا عثرة؟

عندما قال السيد المسيح ما جئت ألقي سلاما على الأرض بل نارا ... فهل كان مجئ السيد المسيح عثرة؟

- عثرة بالحق:-

لقد كان السيد المسيح يقصد أن يعلو الحق فوق كل اعتبار وفوق كل أحد، فمن يعث بالحق فهو يعثر لأن النور ليس فيه. أما العثرة التي وبخها رب المجد قائلا ويل لمن تأتي به العثرات فهي العثرة بالخطية والتي تؤدي إلى فعل الخطية أو التفكير فيها كما في قوله أن اعثرتك عينك ...

فالأخطاء الشخصية التي تصدر من أفراد عاديين تثير العثرة أما الأخطاء العامة التي تصدر من شخصيات عامة وتمس الآخرين فذكرها ليس عثرة، لكن وجودها وفعلها هو العثرة.

ونشرها بكلمة حق يهدف إلى القضاء عليها وانقاذ الآخرين من عثرتها.

فأيهما أفضل:

أن تحذر ونبصر تجنبا لهذه العثرات التي عادة يتناقلها الناس سريعا، فتنتشر أم نتركها ولا نذكرها ونحكم على أنفسنا بأننا شعب ميت لا غيرة عنده ولا شجاعة بقول بها كلمة الحق؟؟ وهل من العدل ان نقول للباكي لا تبك قبل أن نقول للضارب لا تضرب؟!!

- ما مفهوم الاحترام والطاعة للرؤساء:

«أطيعوا والديكم في الرب» «ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس» علينا عندما نستشهد بأيات الكتاب المقدس أن نستجمع كل الآيات المرتبطة بالموضوع حتى نخرج بمفهوم صحيح ومتكامل. فالكتاب قال أيضا «لا تغيظوا أولادكم لئلا يفشلوا». فالاحترام والطاعة لا يعنيان التخلي عن الحق والسكوت عن الخطأ.. فاذا كانت الطاعة عمياء في الرب فهي صحيحة وانجيلية. لكن هل نطلب طاعة عمياء للوالدين أو الرعاة، يتسبب عنها أفدح الأخطار؟ تحت أي قانون هذا؟ ووفقا لأي مبدأ؟؟

فعندما تشير المجلة إلى تجاوزات بعض الرعاة أو تجنبهم الصواب في بعض المواقف، فهي لا تتصيد الأخطاء لهم، أو تستهزئ بهم أو تحتقر طاعتهم، أو تجرحهم، وانما هي تشير إلى الخطأ وتدينه ولا تدين الأشخاص فالمجلة لا تهاجم الرتب الكهنوتية بل تحاول حمايتها من أخطاء بعض من تقلدوها.

لأن وضع اليد على الرعاة لا يعصمهم من الخطأ، واختيار الله للأشخاص لا يعني عصمتهم من الخطية.

نلاحظ هذا منذ اختيار الله لشعب اسرائيل الذي لم يحافظ على الاختيار بل تقسى، وكذلك اختياره لشاول ملكا، وكذلك داود، وحتى نصل إلى الرسل.

لقد أخطأ بطرس في الدعوة إلى ختام الأمم أولا فقاومه بولس مواجهة لأنه كان ملوما. فهل هذه عثرة؟

سلطان الرعاة (من جهة)، وطاعة الرعية لهم (من الجهة الأخرى) متعلق بالدرجة الأولى بمدى طاعة هؤلاء الرعاة لصاحب السلطان الحقيقي الذي أقامهم وائتمنهم، سلطانهم للبنيان لا للهدم كما قال بولس الرسول في 2 كو 13 : 10.

وفي كل ما كتبناه استشهدنا بالكتاب المقدس، وبتقاليد وقوانين الآباء ثم بآراء وبتعليقات من سبقونا على كراسي مسئولية التحرير.

- الاختلاف في الرأي ليس معارضة ولا إهانة لصاحب الرأي:

قبل كل اجتماع للمجلة، وقبل كل كلمة تكتبها، صلوات كثيرة تطلب بقلوب صادقة أن تكون إرادة الرب قبل إرادتنا، وأن لا يسلمنا لذواتنا بل لمشيئته ولعلم الخير لكنيسته ورعاتها.

هات كلمة واحدة في المجلة دعت إلى الانقسام أو التحزب أو معارضة الرؤساء. على العكس اننا نسير على هدى محرري المجلة السابقين في نقد الأوضاع الخاطئة.

ولم تختلف المجلة في العقيدة أو الايمان أو المبادئ الأساسية ولو راجعت أعداد المجلة أوائل الخمسينات لوجدت مقالات الأستاذ نظير جيد (قداسة البابا). هي: مجرد أسماء، أوضاع خاطئة، رد على لجنة الاصلاح، شيطان الرصيد، سؤال قبل هذا.... إلى غير ذلك.

- التفاعل مع القراء:-

ويبقى أن نوضح للقارئ -من خلال خبراتنا ومن خلال الرسائل- أنواع المتلقين لمقالاتنا، حتى لا نحكم على أنفسنا من خلال عناصر غير مثمرة فنصير نحن ايضا بلا ثمر، وطوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه. واذن فليسمح لنا قارئنا العزيز أن نضع أمامه التصنيفات الآتية:

1- سلبيون غير مبالين بأمور الكنيسة عامة.

2- مؤمنون روحانيون ولكن لم يتعرضوا من قريب أو بعيد للاحتكاك بالرؤساء أو بما أشرنا إليه من تجاوزات في استخدام السلطة ويفضلون الابتعاد عن هذه المجالات.

3- مؤمنون وخدام تعرضوا للظلم وأحبطوا من الإحساس به، ويريدون من يعبر عنهم ويدعو إلى رفعه.

4- آخرون رأوا الظلم ويرفضونه ولكنه لم يقع عليهم، ولا يجرأون أن يتكلموا...

والمجلة تستمع إلى أراء هذه الفئات جميعا، ودورها -بعد أن تطلب من إلهنا الحكمة التي من فوق- أن تقول الحق ولو كان مخالفا لرأي الكثيرين..

ويبقى سؤال أخير: مجلة الكرازة منذ صدورها وهي تحمل الرأي الآخر: فلماذا لانقدم الرأي المختلف ؟

الدكتور وهيب قزمان يصرخ بكلمات مخنوقة بالدموع : ربنا يسامحك يا أنبا شنودة

"أجرى الحديث الصحافي

الأستاذ روبير الفارس بحضور دكتور جرجس كامل يوسف".

الدكتور وهيب من مواليد سنة 1938 وهو خريج كلية تجارة الاسكندرية وحاصل على دبلومة ضرائب وتسويق وكان يعمل مدير عام بالغرفة التجارية وأحيل على المعاش على درجة وكيل وزراة.

اختاره للخدمة الأستاذ سامي كامل الذي عرف فيما بعد باسم القمص بيشوي كامل.

أول لقاء مع الأب بيشوي بعدما دعاه للخدمة كان سنة 1954، وكان في مشغل الإخلاص بمحرم بك، أحد الأحياء الشهيرة بالثغر، وكان عند محطة اوتوبيس 6، كان واقفا ينتظر وصول الاوتوبيس، وبترتيب ربنا وأنا في كلية العلوم هكذا يحكي أبونا بيشوي، ندمت على اختياري تخصص جيولوجيا وناداني

العميد وقال لي خليها جيولوجيا وكيميا عشان فرصتك تكون أفضل، وترتيب ربنا لو كنت بس جيولوجيا كنت اتعينت في الصحرا وبعدت عن الخدمة، وكانت الكيميا مناسبة لي وتعينت في المعهد العالي

هكذا بدأ الدكتور وهيب يتحدث باستفاضة عن قصة حياة وخدمة ابونا بيشوي كامل متجاهلا تماما الحديث عن نفسه، وقال عنه إنه قديس ملهم ورجل الله في كل تصرفاته ولما طلبوه للرسامة هرب منهم،

قصة الأب بيشوي كامل مع الأنبا كيرلس السادس

خدنا للخدمة معاه في كنيسة العذراء محرم بك، بصفته أمين الخدمة هناك، للقاء البابا كيرلس، وقال كلمة موجزة، واختاره البابا وقال له إنه يصلح للكهنوت، وفي جمعية سيدي جابر اشتروا كنيسة واختاروا سامي كامل لكنه هرب وراح للأب متى المسكين وقابله، ولما رجع قابلته عند كوبري منشا وقال لي إن أبونا متى المسكين صلى له وقال له ربنا يقودك لما فيه الصالح لك، سواء كهنوت أم رهبنة وكان متميزا ورجل صلاة وملهما، المهم إن أهم جزء في القصة أنه كان أمين في التدريس في العالم، وأبونا مينا اسكندر الله ينيح نفسه عرف إنه في المدرسة حابس نفسه وراح سلم وجه للبابا كيرلس

وكانت انجيل مرات ابونا بيشوي من عائلة كلها خدام وقديسين، وكانت قريبة من البابا كيرلس، وكان أخوها الأنبا

ديمتريوس وهو طفل صغير كان البابا كيرلس يضع يده عليه وتنبأ له بأنه حا يكون له شأن في الكنيسة.

وعن أمانة الأستاذ سامي كامل أكمل، إنه جاله الوكيل بتاع المدرسة وطلب منه ما ياخدش حصص الدين المسيحي، لكنه أخدها إلى جانب تدريس الكيميا، ومرة مفتش دخل على الناظر وقال له سامي ده لازم ياخد امتياز، كل مدرس عاوز عسكري جنبه يحرسه إلا سامي، أمين ومتفاني في عمله،

أما عن نفسي أنا كنت بادي دروس انجليزي لطلبة إعدادي، أنا عاشق الانجليزي من يومي، وكان الاستاذ سامي يدرس كيميا وأنا ادي انجليزي.

ويوم رسامته سألوه تحب اسم مين، قالوا له اللي ربنا يلهمك بيه قل لنا عليه. ولو فيه قديس بتحبه قل لنا اسمه. ساعة الرسامة قالوا له دعوناك بيشوي، كان أول كاهن يتسمى بالاسم ده، والشعب قعد يصرخ بيش بيش بيش، يعني بيشوي بيشوي، وكانوا فرحانين بالاسم خالص. وأنا كنت دايما استفسر عن كل حاجة حتى هو ابونا بيشوي كان بيقول لي إنت يا وهيب بتحب تسأل في كل حاجة. وأنا قلت له إيه الاسم ده، بيشوي ؟ ضحك وقال عشان أريحك، أنا في آخر زيارة لدير الأنبا بيشوي طلبت منه يارب يكون لي نصيب في اسمك، وباين الأنبا بيشوي ساعتها كان معايا.

خدمت في سنة تانية إعدادي مدارس أحد بكنيسة العذرا وكان اسمها مدارس أحد المرقسية بس بعد كده الخدمة كبرت وبقى اسمها مدارس أحد العدرا. وكنت معجب بخدمة أبونا بيشوي، كان بيحضر ماجستير من القاهرة في الآداب، ودبلومة معلمين، وكان بيروح وبيجي وكان يركب فسبا ويروح يدور ويسأل ع الخدام والخادمات ويفتقدهم. وهذا الرجل على رأي ابونا مرقس راعي كنيسة العدرا، الوحيد اللي كان بيحب الكنيسة، ويخشها أكتر مني كان استاذ سامي كامل

كان عايش عيشة تكريس، وعشان كده أنا حبيت التكريس، وكرست نفسي للخدمة، وحاولوا يرسموني كاهن رفضت قلت لهم أنا ما ليش في الكهنوت، وقعد ابونا بيشوي كامل هناك فترة لغاية ما اتبنت كنيسة مارجرجس في سبورتنج واتنقل هناك مع ابونا تادرس يعقوب. وكنت أنا دراعه اليمين في الخدمة، كان هو أمين الخدام وأنا أمين خدمة إعدادي، وقعدت معاه، وكنت دراعه اليمين، لدرجة في يوم قال لي خد لك يوم أجازة، كنت مدير عام في الغرفة التجارية، بمحطة الرمل باسكندرية، وكان فايز يعقوب هو ابونا تادرس، وكان شغال في بنك اسكندرية وكان أمين جدا في عمله، من الصبح للساعة خمسة ما يبطلش شغل، ولو الدفاتر ما خلصتش كان يقفلها وما يروحش غير لما يخلصها. وفي الغرفة كان ربنا بيديني نعمة في عيني رؤسائي وخصوصا المدير العام، وكان يسيبني أشتغل ساعتين وأمشي انصرف للخدمة، ولما كتبوا شكاوي ومنها شكوى ضدي، المدير

رفض يحقق معايا وقال لهم ده شغال أكتر منكم، وهو بيخلص شغله ويروح الكنيسة ولو بتخلصوا شغلكم زيه سيبوا الشغل وروحوا الجامع. كان اسمه فتحي محمود وكان بيحبني جدا، وربنا إداني نعمة في عينيه.

الكلية الاكليريكية وعلاقتي بالأنبا شنودة أسقفا للتعليم الكنسي

كان اتعمل أسبوع نهضة بكنيسة مارمينا المندرة، وقعدت معاه الاسبوع كله، وابونا بيشوي قال كلمته اللي ذكر فيها إن هذا الرجل يقصد الأنبا شنودة هو اسقف القرن العشرين، ويعيش بروح الآباء الأولين(!!!) ورجل الله، وقعدت أنا معاه الاسبوع الأول وفي القاهرة بالاكليريكية رحت عشان اتتلمذ على ايديه وتشاورت مع المدير العام للغرفة عشان اسجل للدراسة، وربنا سهل لي الأمور، بقيت بادرس في جهتين، الأنبا رويس بالاكليريكية والجيزة عشان أسجل ماجستير التسويق والضرائب، عشان كده الأنبا شنودة كان بيقول لي إنت بتتعب يا وهيب كتير، ما تاخد أودة جنبي هنا، شكرته وما أخدتش، وكنا بنتكلم سوا كتير، وأيام ظهور العدرا سنة 1968 قعدنا على سلالم الاكليريكية وسألني شفت إيه، حكيت له إني شفت صورة نصفية للعذرا والحمام. وأنا ماشي سلم على وقال لي سلم على اللي في سبورتنج وبعد سنين ظهر سرب حمام فوق الكنيسة وظهر طيف أبونا بيشوي ودي كانت نبوة من الأنبا شنودة وتخرجت أنا من كلية الاكليريكية في الستينات حوالي سنة 1968، وبعد خلاف مع الأنبا كيرلس السادس وسوء أحوال الكلية قرر الأنبا شنودة يتركها للدير،

وقال كده للأنبا كيرلس أنا هربت ورحت الدير، والانبا كيرلس قال له ابق مكانك.

كانت علاقتي بالأنبا شنودة وهو أسقف تعليم فوق الممتازة، كنت الوحيد اللي بازوره وفي السنة اللي كان قاعد فيها هناك في الدير أخدت شوية خدام من العدرا ورحنا زرناه، وأشار وهيب إلى صورة له مع الأنبا شنودة التقطها نجل الأستاذ روبير الفارس، وهو يلتقي بالأنبا شنودة ويبدو فيها وهيب في عنفوان شبابه وقوته ونضارته، كان يحكي لنا وقد تجاوز الثمانين سنة، وقد أقعده المرض ووهن العضلات والعظام التي تشكو من الهشاشة، حتى أنه سار من حجرته الداخلية حتى الصالون في مدة طويلة متأبطا ذراع الأستاذ روبير مرة وجرجس يوسف مرة.

علاقتي بالأب متى المسكين

لما كان ابونا متى وكيل البطريركية بالاسكندرية كان ابونا بيشوي يحذرنا من التواصل معاه والاقتراب منه وقضى ابونا متى السنة ونصف وحاول خلالها إقناع ابونا بيشوي بالرهبنة، لكن تدبير ربنا أن أبو الأخير وقع مريضا وكان أخوته منشغلين بوظائفهم فتفرغ هو لخدمته،

من يومها عشقت الجلوس مع ابونا متى وقراءة كتبه ومؤلفاته وخصوصا كتاب حياة الصلاة اللي كان تمن ربع جنيه، وكنت عاجز عن تدبير المبلغ لأنه كان يساوي خمسة وعشرين جنيه في وقت كان الدخل ضعيفا، ولما أدخرت الخمسة وعشرين قرشا نفذ الكتاب من السوق، فحزنت جدا، لكن أحد

الآباء الأساقفة وهو الأنبا ايساك، كان حبيبي، أهداني الكتاب مجانا، وده كان تدبير ربنا عشان ما ازعلش،

وكنت في الخدمة أهدي لكل طالب كتاب حياة الصلاة لما وصل تمنه جنيه بالكامل لدرجة أن الخدام كانوا بيقولوا على مجنون، إزاي يوزع كتاب حياة الصلاة لتشجيع الولاد على القراءة،

وأصبح أبونا متى أب اعترافي قبل ما أسافر بره للدراسة

كنت باتقابل مع أبونا متى والأنبا شنودة بس كل واحد لوحده، من غير ما التاني يعلم، عشان ما تحصلش مشاكل، أنا باحب الاتنين، بس مش عاوز مشاكل.

سافرت مرة للدير، وقالوا لي أبونا متى نايم.. كان يوم شتا ومطرة، وتعبت اترجيتهم يبلغوه المهم كانت الساعة 11 قالوا له قام وقال لهم حرام عليكم الراجل قاطع المشوار ده كله في البرد والمطر، خلوه يدخل. وقال لي يومها، تشدد، ربنا ها يمتجد معاك.

ولما صار الأنبا شنودة بطريرك، كنت مع أبونا متى المسكين وقال لي يومها أنا مخنوق تعال نتمشى سوا، ولمحت أنا من بعيد البابا جاي في عربية جيب، ناديت على أبونا متى المسكين وقلت له البابا جاي يا ابونا، ونزل الأنبا شنودة من العربية الجيب، وانبطح أبونا متى أرضا وضرب مطانية للبابا، والبابا بص لي وقال لي إزيك يا وهيب.

وفي الاسكندرية وفي اجتماع الكهنة، قال لهم، بالحرف الواحد، أنا قفشت وهيب مع أبونا متى المسكين. ومن يومها حطني في البلاك لست (القايمة السودة) ومنعني من التدريس بالكلية الاكليريكية.

سفري إلى اليونان

كنت أول مبعوث يبعته مركز دراسات الآباء، سافرت سنة في أوائل التمانينات مش فاكر يمكن سنة 1980، وقعدت أدرس عشر سنين، خمسة باليونان وخمسة بانجلترا. كانت سنوات شاقة وشيقة في نفس الوقت. وبدأت أدرس الآباء وكان أبونا بيشوي وابونا متى غاويين ابائيات، وكان حجر الزاوية عندهم هم الآباء وابونا متى طبع العنصرة وكتاب الكنيسة الخالدة.

قلت أسافر اليونان سنة 1980، والدكتور نصحي عبد الشهيد أنا اللي طلبت منه كده لأنه كان رشح الأستاذ ناجي اللي هو ابونا اثناسيوس وقلت له أنا أولى، فقال لي إنت كبرت يا وهيب، كنت ساعتها قربت من الخمسين كان عندي 48 سنة، قلت له ما فيش كبير على التحصيل والعلم والدراسة. فوافق يرشحني، وكنت سافرت اليونان على حساب كنائس تبع وزارة الخارجية اليونانية، وبتوصية من رئيس دير سانت كاترين الأنبا دميانوس حتى هو كان بيمزح معايا يقول لي إحنا أشقاء، أقول له إزاي، يقول لي إنت قزمان وأنا دميان.

ودرست يوناني لكن كان نفسي آخد دكتوراة، وكان الموضوع صعب، وكان في اليونان مكتبات، عددها أربعة المكتبة اليونانية

والأمريكية ومكتبة الجامعة والمكتبة الأهلية بس كانت سيئة في الاستعارة وماشية بنظام فوت علينا بكرة في تصوير المراجع ولما لقيت الموضوع بيتعقد، قلت أحول على انجلترا، وكان الأمر هناك أسهل وأفضل.

وفي جامعة ديرهام تقابلت مع استاذ الآباء، الدكتور جورج ديون دراجاس، اللي شجعني ورحب بي جدا، وساعدني كتير، لما لقاني مقبل بشغف على الدراسة، وخصوصا الآباء الشرقيين والقديس اثناسيوس بصفة خاصة، حتى سألني ليه ما تعملش النعمة عند اغسطينوس، قلت له اغسطينوس عرف النعمة على كبر، لكن اثناسيوس كان مولود في النعمة وعاش حياته خادم على كرسيه يدافع عن المسيح ونعمة التجسد والخلاص. وتعبت جدا في الحصول على رسالة الدكتوراة ربنا يعلم أخدتها إزاي، بس ساعدني كتير في الدراسة الدكتور جورج بباوي في انجلترا والدكتور جرجس يوسف في مصر. الأول ساعدني في الصياغة وضبط الكتابة، والتاني في تجميع النصوص من العربية وترجمتها إلى الإنجليزية مع قراءاتي اللي كنت باقوم بها بنفسي، وللعلم أنا جبت معايا مرة اتنين طن ومرة تلاتة طن كتب، على باخرة، وكنت بالف على مكتبات انجلترا اللي بتبيع الكتب المسيحية اللاهوتية والتاريخية والكرستولوجية والليتورجية القديمة من أمهات الكتب اللي كانت في حوزة كبار العلماء والباحثين وكنت بادخر من مصروفي واشتريها، وحاليا عندي في البيت ما يربو على خمسة آلاف كتاب،

وسألني الدكتور دراجاس حا تعمل إيه بالدكتوراة حا تدرس وتتقاضى أجر عالي، رديت عليه مش حا يدوني أجر محترم، يمكن أتقاضى 200 جنيه ده لو دفعوهم، استغرب الدكتور دراجاس، وقال دي ملاليم مش ممكن، ليه كده، وأنا بصراحة كنت عاوز أتاجر بالوزنة، لكن ربنا ما أرادش. وجاني أحباط وتألمت كتير بسبب عجزي عن خدمة كنيستي برسالتي. وكنت قلت للمشرف على رسالتي أنا ما تهمنيش الفلوس أنا نفسي أخدم كنيستي مجانا، لكني خدمت في كل الطوائف وأعطيت دروس بالكنائس الإنجيلية والبروتستانتية لكن فشلت في أن كنيستي تفتح لي أبواب التدريس والتعليم.

وكنت حصلت على الدكتوراة بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

وفي يوم الامتحان والمناقشة عند الانجليز نظام إن المشرف على الرسالة ممكن يحضر أو ما يحضرش ويجيبوا ممتحنين خارجيين، يومها حضر الدكتور دراجاس، وأنا كنت شايل معايا أيقونة القديس اثناسيوس اللي حا كلمك عنها بعد شوية، فالدكتور استغرب، إزاي تخش عليهم شايل حاجة في إيدك، إنت عارف لجنة المناقشة كأنك داخل هيكل، ممنوع تخش بحاجة، شرحت له دي مش صورة شاريها من السوق، دي أيقونة القديس اللي وقف معايا طوال الدراسة، وصاحب النعمة والفضل بعد المسيح في بركات الرسالة، اقتنع وسكت، وعدى الامتحان وهو لم يناقشني. ونجحت بامتياز كما قلت.

قصة رسم أيقونة القديس اثناسيوس والنعمة

كلفت فنانا يونانيا من أشهر رسامي الأيقونة، وشرحت له المطلوب أن يرسم القديس أثناسيوس على الكرة الأرضية طائرا ووجه نحو المسيح يمد إليه يده اليمنى ويسراه تتجه نحو شعبه، يأخد من المسيح ويعطيهم.

ووصلتني الأيقونة فعلا قبل مناقشة الرسالة كما ذكرت، وأكرر لما سألني الدكتور جورج دراجاس عن النعمة عند اثناسيوس ليه مش عند اغسطينوس قلت له إن الأخير كان بيقول إن النعمة أجبارية لكن هي مش إجبارية، النعمة هدية أو عطية أو هبة ما تتفرضش، وتدخل الدكتور جرجس بالتعليق أن بالرسالة جزءا عن المعطي والمستقبل وأن الله يعطي النعمة بكامل حريته وللآخذ الانسان أن يقبلها أو يرفضها.

وقال الدكتور وهيب إن من قام بترجمة الرسالة كاملة إلى اللغة العربية هو الدكتور جرجس كامل يوسف.

مؤتمرات آبائية

كانت تقام في بني سويف ووادي النطرون، لكني كنت معترض على مؤتمرات بني سويف. ولي أكثر من ستين سنة في الخدمة، وعندي أولاد من أولادي في كل بقاع العالم، في المهجر والدول العربية ومنهم أساقفة.

سأله روبير الفارس، أنا عرفت إنك أهديت نسخة من رسالة الدكتوراة للأنبا شنودة، وقلت له إن الدكتور جورج دراجاس

عاوز يحضر مصر يقابلك لتوطيد العلاقة بين الكنيستين اليونانية والمصرية في الفكر والآباء، وكتب الأنبا شنودة الكلام ده في الكرازة لكنه لم يشر إلى أني أهديته رسالة الدكتوراة، كان واضح تعمده تجاهل هذا الأمر، وده أصابني بالإحباط. خصوصا أنه حطني في البلاك ليست ومنعني زي ما قلب من التدريس بالاكليريكية لمجرد أنه شافني بصحبة أبونا متى المسكين. والأنبا يؤنس الله ينيح نفسه قبل الأنبا بولا أسقف طنطا، كان طلبني أدرس يوناني في اكليريكية طنطا لكن البابا منعني من التدريس، وأصر لغاية آخر يوم في حياته إني ما ادخلش أي كلية أدرس فيها مع أنه عارف أني أول مبعوث وحاصل على رسالة الدكتوراة من انجلترا، لكن مرارة مشهد وجودي بصحبة أبونا متى لم ينساه.

لاح الألم في عيني الدكتور وهيب، مما حدا بالأستاذ روبير أن يسأله شايف الألم في عنيك،

رد وهيب، طبعا تألمت جدا من رفض الأنبا شنوده أني أدرس وزعلت لما قال للأنبا بولا، إزاي تفكر تخلي وهيب يدرس في طنطا، مش حا يحصل. الله يسامحه.

ما هي أسباب العداوة

هل في فترة الترشيح للبابوية كنت في صف أبونا متى المسكين زي ما علمت.

كنا في اسكندرية مع أبونا بيشوي كامل وأنا نرفض بشدة ترشيح أي أسقف عام لمنصب أسقف الاسكندرية بحسب قوانين وترتيبات الكنيسة الأولى. وكنا بنقول الأحق بالترشيح

راهب مش أسقف، والقانون الكنسي يسمح لراهب بالترشيح يبقى أسقف ومش أسقف يبقى اسقف اسكندرية.

وفي عيد الأنبا بيشوي كان ابونا بيشوي بيحضر عربيتين واحدة للستات والتانية للرجالة، ونروح الدير نبات ونصبح نتناول ونرجع، وكان الأنبا بيشوي بيعبر من دير السريان ويروح دير الأنبا بيشوي، وطلعت أقابله وقلت له يا سيدنا، وكان ساعتها أسقف تعليم ولا يجوز له الترشح لمنصب أسقف الاسكندرية، وهو بنفسه كتب مقالات نارية في مدارس الأحد يرفض بشدة ترشح الأسقف للمنصب البابوي، ففكرته بالمقالات دي، غضب ورد على وقال أنا أسقف من غير شعب ولا ايبارشيه وبدرجة سكرتير للبابا، يعني راهب سكرتير، طبعا الكلام ده فيه مغالطة، وفجأة قال لي يعني إنتو كل اللي مزعلكم أن الراهب هو اللي يترشح، يعني كل ده بتعملوه عشان أبونا متى، طب ارتاحوا انتو مش ماسكين ف أبونا متى المسكين ؛ حا نشيلوه لكم من الترشيح خالص، ارتاحوا بقى، وفعلا تمكن مع آخرين من حذف اسم أبونا متى من قايمة المرشحين، وقلت له ساعتها أنا داخل اتناول حاللني مش عاوزك تزعل مني، قال لي إنت محالل، حتى لو زعلان منك، عشان كده الأنبا شنودة ما حرمنيش رغم إنه كان متضايق جدا من معارضتنا لترشيحه لمنصب البطريرك. واسكندرية كلها كانت واقفة ضد ترشيحه.

حكاية تانية، أحب أحكيها، كان ابونا متياس راعي كنيسة مار جرجس غيط العنب قاعد مع الأنبا شنودة وقال له جه على ذهني واحد من ولادك بيحبك مش عاوز قداستك تزعل منه، رد

الأنبا شنودة، تقصد وهيب قزمان أخو ايلين اللي ساكن في شارع الحبشة محرم بك، لأ مش زعلان منه. !!!!!! بس من يوم الترشيح وأنا قلبي بيشر دم ، قلبي بيشر دم لحد دلوقتي وما اقدرش أسامحه.

دكتور عايش في انجلترا، اسمه أكرم حبيب، كلفني أسألك عن الانتاج العلمي، الناس عارفة إنك واخد دكتوراة في النعمة عند اثناسيوس الرسولي.

رد الدكتور وهيب، أنا بعد كده اتنشر لي مقالات في الدورية الخاصة بمركز الدراسات، وهي مقالات لاهوتية وقدمت سيرة القديس ايسيذوروس الفرمي، وقبل كده كتبت كتيبات صغيرة عن القيامة وأحد القديسين.

تدخل الدكتور جرجس يوسف في الحوار وذكره باليوم الذي كان فيه محبطا أن أحدا لم يتصل به أو يطلبه لمحاضرات عن النعمة في الكنائس القبطية، وانه اقترح عليه الذهاب للقاء أبونا تادرس يعقوب في بيته يوم الاتنين. وفعلا تم اللقاء وقال له الأب القمص تادرس يعقوب بلاش يا وهيب موضوع الدكتوراة دي، ارجع إلى محبتك الأولى أنت ربنا مديك موهبة في خدمة إخوة الرب، ساعتها، يقول الدكتور جرجس يوسف صدمت جدا أن يطلب منه رجل الآبائيات التخلي عن رسالته ويعود كما كان خادما للأسر الفقيرة في وقت كانت الكنيسة أحوج ما يكون لعلماء اللاهوت والتاريخ الكنسي، وخرج الدكتور وهيب من لدن الأب تادرس يعقوب أكثر إحباطا من ذي قبل.

موقف الأب بيشوي كامل من محاولات المصالحة الفاشلة مع الأنبا شنودة

لم يقم الأب تادرس يعقوب بدور فعال في المصالحة، لكن الأب بيشوي كامل، في شهر مارس، أبونا تادرس مش بيتدخل ليه في المصالحة، رد علي، وقال لي، أنت عاوز ليه يتدخل تاني، ورفع يده نحو السماء وقال لي أنا حاشهد لك قدام المسيح. ما انساش العبارة دي أبدا لحد دلوقت. عشان كده لم أقل سوءا في الأنبا شنودة وما ذكرته اليوم للتاريخ والحق.

وسأله روبير الفارس

إيه كان في نفسك لما رجعت من بره، تعمله لكنيستك

كان نفسي أطلع كتب وانشر الكثير من المقالات والكتب المرجعية باللغة العربية ، عن الآباء، وده دور بيقوم به المركز، بس أنا كان لي اشتياقات خاصة فيما له صلة برسالة النعمة وتوابعها عن التجسد والخلاص وشخص المسيح والتأليه وكلها موضوعات لابد تحسم لاهوتيا وآبائيا واستنادا إلى مراجع موثقة للآباء اللي كنت لسه دارسهم وفي دماغي كلهم، والشوق مالي قلبي ولسه عندي رجاء في المسيح أكتب، وأهو معايا الدكتور جرجس يترجم لي وأنشر، وأدلي بفكري وربنا يدبر أحقق الحلم ده.

سأله روبير الفارس، إنت عاصرت بطاركة من أيام الأنبا يوساب حتى الأنبا تاوضروس الحالي، عاوزك في عبارة تقول لي رأيك في كل واحد منهم.

البابا يوساب.

ظلم، كان قديس اتعلم في اليونان، وكان رجل مثقف، وعلاقته بملك هي اللي أضرته، ولكنه كان قديس معاصر. ولأنه لم يكن مقبولا أهملوا ذكره، رغم تقواه ومعجزاته

البابا كيرلس السادس

حدث ولا حرج، قديس حقيقي ضيف من السما، في عصره حدث ما لم يحدث في تاريخ الكنيسة القبطية من ظهورات العدرا مريم، ووصول رفات القديس مرقس كاروز الديار المصرية، ومعجزات شخصية له هو.

بس للأسف طلعت عنه إشاعة، إنه جاهل وبيعمل أحجبة.

الأنبا شنودة

ارتكب بعض الأخطاء، لكنه متلكم مفوه، وعنده ذاكرة من الفولاذ والألماس، عيبه إنه كان عاطفي ، يعني يحب ويكره بسرعة، ومتقلب العاطفة، وده بسبب تربيته لأنه اتربى يتيما، وده السبب في توتر علاقاته مع أقرب الناس إليه

الأنبا تاوضروس، بيحاول يصلح، لكنه جه عليه وقت وقف ضده الحرس القديم، وبالنسبة للاهوت هو ما عندوش فكرة عميقة في الدراسات اللاهوتية لكنه رجل بسيط وطيب، وعشان كده بيتكلم في موضوعات وعظات عامة.

وشرح الدكتور وهيب تفاصيل الأيقونة وقال عنها إنها تمثل القديس اثناسيوس باللونين الأزرق رمز السماويات والأحمر رمز

الألم والشهادة، وهو شهيد بدون سفك دم، إذ استقدم قسطانطيوس بن قسطنطين عشرة آلاف جندي للقبض عليه ومحاولة قتله، ولكن ربنا نجاه. واستطرد في شرح وضع الأصابع أنها تجمع بين حرفي الألفا والاوميجا لأن المسيح هو الألف والياء الأول والآخر والبداية والنهاية وهو أصل خلقتنا بتجسده وخلاصنا بموته على الصليب، وأن نعمة التجسد والخلاص، نعمة لا تدانيها عطية أخرى، والتي ختمت بالقيامة والنصرة، ومن هنا راح يتحدث عن حرف النصرة اليوناني الذي يصنعه الإصبعان المرفوعان السبابة والوسطى، دليلا على المسيح الظافر، كرستوس فيكتور. ويرمز له بالحرف V

شهادة الراهب جورجي المقاري "سابقا" "فائق زكه بولس"

(سلطة البابا أعلى من سلطة الانجيل)

يقدم الراهب السابق جورجي المقاري في هذه الشهادة مشكلة زواج الراهب الذى ترك الرهبنة ازاء قرار البابا شنودة بمنع الرهبان الذين تركوا الرهبنة بسنه قانون لم يذكر في الانجيل وجاء في الشهادة

هناك أمور لا نراها إلا شرًا خالصًا ويحولها الله إلى خير خالص. كأن يسقط أسمي من الحسابات -كما ذكرت- أربعة عشر شهرًا. فقد كانت خطة الله أن يُدخر لي مبلغا كبيرًا، ينفعني

في بداية حياتي الجديدة، حيث كنتُ أتمني أن أتزوج. كان راتبي في مصر سنة1979 28.5 جنيهًا مصريًا ولا أذكر أني أمسكت ورقة عملة كبيرة حتى لو كانت من فئة ال 50 جنيهًا، وإذ بي أصرف مبلغ سبعة عشر إلفا من الجنيهات دفعة واحدة.

كان لا يمكن التفكير في الزواج قبل أربع سنوات بعد تركي للدير، حيثُ لا يوجد نقود بالإضافة للاضطراب النفسي الذي ينتفي معه التفكير السليم واتخاذ القرار. أما وقد وجدت النقود فيجب الشروع في مشروع الزواج جدًّيا.

كانت أستاذة الفلسفة بجامعة الفاتح جميلة القوام مليحة الوجه، كانت تراني في كنيسة طرابلس، وتوطدت الصلة بيننا، جلست معي عدة مرات تناولنا موضوع واحد بعينه، البتولية والزواج فقد كانت عذراء بالرغم من تقدم سنها، وهي تملك أكثر من مقومات الزواج، ويُوجد مثلها أيضا فاتنات من غير زواج لأنهن اقتنعن بفكرة أن تظل بلا زواج. فعدم الزواج أفضل من الزواج هكذا حسب تفسيرهم الخاطئ للآية.

كانت أسئلتها كمن تبحث عن مواصفات عريس، وقد كانت كذلك ولكن ليس لها بل لإحدى قريباتها بالإسكندرية التي تعمل كمُدرسة بالمرحلة الإعدادية. نزلت إلى مصر ولما كنت أريد زواجًا واضحًا اتصلت بقريبتها وعرفتها بنفسي وصارحتها أني كنت راهبًا، ومن الصعب أن أحصل على تصريح زواج من الكنيسة الأرثوذكسية، وأمهلتني يومين للرد، واتصلت بعد اليومين لأتلقى الرد التالي، " لا تأتِ لتراني أو أراك لا يمكنني الزواج إلا في

الكنيسة الأرثوذكسية، ولا يمكنني أن أتمم مراسم الإكليل إلا بواسطة كهنة أرثوذكس" لم يكن الرد صدمة فأنا متوقع ذلك، ولم أرتبط بها وحتى لم أراها، ولكنها ضغطت على وجع ما زال ينزف في داخلي ألا وهو قسوة الرفض.

تقدمتُ إلى أخري كانت رائعة الجمال، الجمال الذي يُسبي القلب حين النظر إليه ولكنها كانت متطرفة أرثوذكسية، فلها خدمة بالكنيسة، وتصوم كل أوقات الصوم، وتذهب إلى الأديرة وهناك يظهر لها القديسون عيانًا بيانًا، ولا غَروَ فرائحة البخور تملأ المكان، والزيت يتساقط من الإيقونات، ورفات القديسين تشفي الأمراض، وأشياء كثيرة من هذه الخزعبلات. ولم يكن يُشكل كل ما سبق قلق بالنسبة لي، فأنا منقوع في الأديرة أحدي عشر عامًا، ولكن القلق جاء من التزمت الشديد والحرفية الزائدة، فهي تكلمني من فوق وكأنها السيد وأنا الذي يجب أن أخضع وأسمع، فهي تحدد الكنيسة التي سنتزوج فيها والكاهن الذي يصلي صلاة الإكليل...الخ، وسألتُ نفسي هل خرجت من دير لأدخل في دير؟ اعتذرت لهم في أدب شديد، وكان ارتباطي بها على أمل الحصول على تصريح زواج.

كان تصريح الزواج (شهادة خلو الموانع) بالنسبة لي العقبة الكئود أمام زواجي، بالإضافة للعقبة الأكبر وهي صحيفة الأحوال السابقة فقد كنتُ راهبًا وتركت الدير.

لم يوافق أهلي على فكرة زواجي، كانوا يريدون أن أعيش في البتولية؛ لأحتفظ لهم بقليل من ماء الوجه الذي أريق بسبب

خروجي من الدير. فقد كان بالبلد أخ ذهب إلى الدير، وبعد سنوات طويلة عاد، واحتفظ ببتوليته فلم يتزوج، ولم يمكث في شقته في عمارتهم، وهم ميسورو الحال، بل أخذ غرفة في البدروم، وحبس نفسه فيها متعبدا، ومنها ينطلق إلى القرى يعظ ويبشر، القداسة عند أهلي وكذلك عند المسيحيين ليس أنك تعبد الله من كل قلبك، أو أن تعيش بأمانة، القداسة هي عدم الزواج هي البتولية.

كان للعائلة صديقة بالقاهرة ولما أعلموها وربما عن غير قصد أنني أبحث عن زوجة، رشحت الصديقة صديقتها والأخيرة تمتلك شقة، كانت وصيتي لمن يبحث لي عن عروس قل لها أني كنتُ راهبا وقد تركت الدير، ولما كانت العروس من جهة أختي وأمي؛ لذا وافقتا على مرافقتي لرؤية العروس، وأنضم إلينا زوج أختي وابن أخي الأصغر الذي كان صبيًا، نزلنا بصديقة العائلة، وانتظرنا جميعًا قدوم العروس التي حلت في المساء، ولم تمضِ دقائق التعارف حتى قفزت العروس لتقف في الوسط، كانت لا تزيد عن شبر ونصف طولًا مطروحًا منه 15 سم كعب الحذاء الذي تحتذي، جميلة كعروس حلاوة المولد لها ملامح بريئة جميلة كل ما فيها صغير ودقيق أعتقد أن وزنها لا يزيد عن 30 كيلوجرام 23 كجم عظام + 7كج لحم حين قفزت في الوسط انقلبت البراءة إلى خشونة وتحول هدير الحمامة إلى زمجرة أسد، وصاحت في وجهي، "لماذا تركت الدير؟". كانت نفسي مكسورة، ولديّ إحساس بأني أقل الناس وأني مرفوض، هذا جعلني بطيئًا في الرد فاتر التفكير، وهي بدورها لم تمهلني وقتًا، لأن لديها

حديثًا، فأردفت بسؤال آخر" أنت ذهبت لتموت عن ذاتك هناك فلماذا لم تمت؟" وانطلقت من بين الشفتين الصغيرتين طلقات حنجرة المدفع الثقيل، "ألم تكن تعلم أن الباب ضيق والطريق كرب؟، ألم تسمع قول المسيح اجتهدوا أن تدخلوا، أين حَمِلَكَ للصليب؟ ألا تحتمل الألم من أجل سيدك، الرهبنة عفة الرهبنة فقر الرهبنة طاعة" ألا تستطيع النسك مثل النساك العظام؟".

كانت عيون الجميع شاخصة إليها ومن حين لآخر تسترق النظر إلى لترى ردة فعلي، وكنتُ هادئًا واجمًا لا أُحرك ساكنًا، كانت الأخت ترجمني بكلامها بطريق مستفزة، مما أثار حفيظة والدتي التي لم تكن راضية عن فكرة زواجي بالمرة. فصاحت بي " ألا ترد عليها؟ ألم توجعك كلماتها؟ لماذا تصمت؟ دافع عن نفسك، لم تكن لدي والدتي رغبة في إقناع الفتاة، فهي نفسها غير مقتنعة، وإنما أرادت انتصار لهزيمة في معركة وضعتنا فيها هذه النحيلة، وعادت الفتاة لاستكمال قذائفها، وألحت والدتي لكي أرد ولكن دون جدوى، واستكملت تلك الرقيقة الجسم فظاظتها " أنت انهزمت وانهرت وهرولت عائدًا. كالجندي الهارب من ساحة القتال."

هدأت بعد طول وقت سردت فيه قصص السواح الذين يطيرون في الهواء، ثم جلست وصارت تتكلم عن نفسها، وعن دراساتها في جامعة خاصة بعد حصولها على التعليم المتوسط، وعن أختها الكبرى، وفي ظني أنها نسيّت تمامًا بداية حديثها عن الجهاد والقتال والتغصب والفقر والطاعة والنسك، وقالت

"رغبت أنا وأختي في حياة الرهبنة وذهبنا كلتينا إلى دير للبنات وأرسلتنا الرئيسة (رئيسة الدير) إلى المطبخ للعمل به (يحدث هذا في فترة الاختبار) ولم أطق العمل بالمطبخ ولا تسلط الراهبات وأحسستُ بضيق شديد، وما قضيت سوي أسبوع واحد حتى عدت للقاهرة، وما هو إلا إسبوع آخر إلا وعادت أختي أيضًا، ولم نترهب". وكأنها ألقت دون أن تدري لي طوق النجاة من البالوعة التي أغرقتني فيها.

وثبتُ واقفا في تلك اللحظة صائحا بها "لم تستطيعي العيش بالدير سوى أسبوع، وتركتِ حياة الرهبنة للأبد؛ واستنفذت ساعة في توبخيني وتعنفيني أنا الذي إحتملت هذه الحياة أحدي عشر عامًا." وأمسكت بيد أبن أخي وقلت له هيا بنا لنخرج، وتركت كل المجلس، وتركت القديسة على ورق، الناسكة بدون صوم، المدعية الفقر الاختياري بدون تجرد، التي تعلِّم غيرها ولا تعلِّم نفسها.

بعد ذلك ذهبت مع ابنة عمي القاطنة بالمحافظة المجاورة، لنري الشابة السمراء الساكنة بنفس حيها، وإذ بالشابة منشرحة فرحة بلقائنا، تتكلم بطلاقة وصراحة متفائلة راغبة، ولم أكن بنفس حماسها، في المرة الثانية قال أخيها إنني مسافر لزوجتي (ألمانية) ولا داعي لشراء شقة شرق النيل، يمكنك إعداد هذه الشقة (في نفس البيت) للمعيشة والاتفاق مع عمي في باقي الأمور. وقالت والدتها (رحمها الله) ردًا على قولي "أني أسعي للحصول على تصريح زواج من الكنيسة الأرثوذكسية، ولكني لا أضمن نتيجة هذا السعي". "إننا ارتحنا لك ونريدك عريسًا

لإبنتنا حتى ولو تزوجت في كنيسة إنجيلية" كان هذا رائعا من حماتي (رحمها الله). على أنها غيَّرت اتجاهها 180 درجة حين تقدم بعدي اكليريكي لنفس العروس ولم يكن يعلم بذهابي إليها، فتمسكت الأم بقسيس المستقبل الذي يضمن لها حياة الرفاهية، السيارة والعمارة والكرامة، كرامة زوجة أبونا الكاهن، والخيرات التي سوف تُغدق عليها من بكور ونذور وعشور وغلال وطيور. وتمسكت السمراء بي رغم كل ضغط والدتها.

ذهبت لمقابلة الأنبا أثناسيوس (الراحل) مطران بني سويف، والذي لم يكن على وفاق تام مع البابا شنودة. قابلته في الشارع على بعد أمتار من المطرانية بمرافقة أحد الشبان، فقلت لنيافته إن لديَّ كلام خاص. فقال للشاب تقدمنا إلى المطرانية، فسبقنا، وقلت "هل تتذكرني أنا الذي كنت الراهب جاورجي المقاري الذي خدمت معكم خمسة شهور، وفي نهايتها أرسلتني إلى البابا شنودة؟". فتذكرني سريعًا وقال نعم نعم أتذكرك. قلتُ "أريد أن أتزوج وليس لديَّ تصريح زواج. ولا أرتاح كأرثوذكسي إلا إذا تزوجت داخل الكنيسة الأرثوذكسية"

وكأنني بهذا القول نقلته إلى واقع مرير أو مشكلة أزلية تعرَّض لها كثيرًا. فلم يسألني عن أي تفاصيل بل وكأنه دخل لعمق المشكلة، وأدرك في لحظةٍ واحدةٍ كل أبعادها. فغلب عليه الوجوم، ولزم الصمت مطبق، وراح في فكر عميق، وعلت مسحة الحزن وجهَهُ، فعبَّرَتْ عن غم شديد أصاب نفسه. ولما وجدته على هذه الحالة سرتُ بجواره لا أريد حتى أن أتنفس،

لئلا تقطع أنفاسي حبل أفكاره، مدركًا أنه حمل على نفسه مسئولية إيجاد حل.

كان الرجل بين نارين فلو وافق على زواجي وأعطاني شهادة خلو الموانع (تصريح الزواج). لوضع نفسه تحت طائلة القانون الكنسي الذي منع التصاريح للرهبان التاركين الأديرة، وأعطي للبابا سكينا بيده يطعنه بها، وما أكثر أساقفة المجمع المختلفين معه في الرأي وعلي رأسهم "بيشوي الأسقف الذي أخذ سلطات البابا شنودة يصول ويجول بها، وذات مرة رأي أن يرتفع على الأنبا أثناسيوس وأن يجعله ينصاع لأمره فما كان من الأنبا أثناسيوس إلا أن أردعه ردعًا وأمام المجمع كله. المجمع الذي يدّعون أنه مقدس، ويلصقون هذه الصفة به، مرادف كلمة مجمع كلمة مقدس، على أن كلمة مقدس تجيء في الوحي الإلهي بمعنيين الأول المكرس لله أي المخصص له وحده، والثاني من معني القداسة والاستقامة والطهارة والأمانة. ولا يصيب المجمع من هذين المعنيين إلا الأسم فقط. فأعضاؤه خانعين خاضعين للبابا تلو البابا، فلا يستطيع أشجع من فيهم أن يأتِ برأي مخالف لرأي البابا حتى ولو كان من الكتاب المقدس، وحتى لو كان سنده جميع آيات الإنجيل، إن سلطة البابا أعلي من سلطة الإنجيل. سلطة البابا تتعدي الناحية الروحية إلى النفسية والجسدية والاجتماعية. سلطة البابا والأساقفة ورؤساء الأديرة سلطة مطلقة، يدّعون أن لديهم سلطان الحل والربط، مدعين أيضًا أنهم أخذوه رأسًا من المسيح، الذي أعطاه للرسل، وأنتقل إليهم عن طريق الوراثة، لأنها تركة أبوهم وصلت إليهم عن

طريق التوارث، إنها سخافة لا تجيزها إلا العقول الخالية من التفكير، العقول الخالية من نعمة الإدراك، العقول الفارغة من الحكمة، النفوس التي لم تعرف الاختبار الروحي، وحتى التي عرفته ولكن غُرر بها وأضلوها ومنعوها من التفكير كما فعلوا بي منذ لحظة دخولي الدير. نعم سخافة لا تقبلها إلا الألباب التي فضلت الأوهام عن مشقة البحث، والترهات عن عناء الاكتشاف، البصائر التي تعاون الرهبان على مدي يزيد عن الف وستمائة عام على طمسها، النجابة التي خاف أصحابها الاصطدام بالواقع المخالف لمعتقداتهم، فآثروا الركوع على الوقوف، والانبطاح على المواجهة. والخنوع عن الشجاعة، سخافات زرعها الرهبان رعبًا في النفوس فما تستطيع النفوس من رعبها مفارقة الرعب، والابتعاد عنه، ففيه حياتها وفيه موتها أيضًا، أصر الرهبان على إبعاد الناس عن حق الكتاب المقدس ليظل أعظم من فيهم تابع، لا يعرف شماله من يمينه، وأبدلوا كلام الله بمجموعة طقوس ومسلمات ومناسبات وتدريبات وارشادات وصلوات وممارسات وتحكمات ووصايا وتفسيرات وقصص وخزعبلات من وحي خيالهم وعقولهم المريضة، وكل هدفهم ترويع الناس واستغلالهم. وقد نجحوا في ذلك نجاحا منقطع النظير.

هذه نار إذا وافق على منحي تصريح، أما النار الثانية فيحسها في داخله لأنه إنسان، كيف لا يساعد أخيه الإنسان الذي من حقه المساعدة وطلب العون، كيف لا يقف بجوار إنسان كل بغيته أن يتزوج ويعيش مأمونا في الحياة الزوجية،

كيف وهو مقتنع بحقي الطبيعي أن يُخالف ضميره، وما هي جريمتي التي ارتكبتها حتى أعاقب بالحرمان من الزواج الذي شرعه لي الله؟ كيف صارت أحكام الناس أعلي (حاشا لله) من أحكام الله العظيم؟ كيف يكون قضاء الإنسان أمضي من قضاء الرب؟ كيف يلغي المخلوق أمر الخالق؟ ماهو ذنبي هل قتلت راهبًا؟ ! الله يعلم أني حتى لم أشتم راهبًا وتحملت منهم الكثير. كل ما قمت به هو تركي للدير، وهم يعتبرون أن ذلك أعظم جريمة يرتكبها الإنسان في حق الرهبان وليس في حق الله.

دخلنا المطرانية (أنا والمطران) وصعدنا السلالم إلى الدور الثاني، وكلينا في هذا الصمت الرهيب، وفجأة توقف واستدار نحوي وابتدرني "ألم يتوفي عمك القمص غبريال منذ فترة وجيزة؟" "فأجبت بلى يا سيدنا منذ شهرين فقط" وللتو أخذ شهيقًا عميقًا والتمعت عيناه ببريق الذكاء وراحة الذي يسترح من طول عناء التفكير، والوصول إلى الحل، كسفينة كانت تائهة بين الأمواج ووصلت للشط بأمان، وأوسع عينيه ورفع حاجبيه حتى طالا حافة الطاقية على رأسه وقال:- "لم تزل الدفاتر لدى ابن عمك فليب (دفاتر عقود الخطوبة والزواج وعمل تصاريح زواج ...الخ) إنه لم يسلمها بعد إلى المطرانية. إذن فليخرج لك تصريح زواج بتاريخ قديم سابق لموت عمك وكأن عمك هو الذي أخرج لك التصريح قبل موته؛ صار يقهقه ويصيح بأعلى صوته فليذهبوا يسألونه في القبر إن كان أخرج لك التصريح أم لا؟ عليهم أن يتحققوا من الأمر منه شخصيًا ويقهقه ويضرب يدي كفًا بكفه ويعاود الضحك بقوة ويعاود ضرب يدي كفًا بكفهِ

والفرح يغمر نفسه، ويهتز ويترنح بكل كيانه، لم أراه سعيدًا يومًا بهذا المقدار، ولم أراه فرحا بكل هذا الفرح. ثم قال "سوف أوصي أبونا فلان ليكمل لك الإجراءات مع أبن عمك فليب". فعل هذا ليسترد لي حقي في الزواج الذي أعطاه لي الله، واغتصبته مني الكنيسة.

ذهبت إلى أبن عمي فليب وكان وقتها رئيس لجنة جمع التبرعات بدير بياض أثناء الاحتفالات التي تقام في الصيف بمناسبة صوم العذراء وعيدها والتي يطلق عليها "مولد العذراء" فقال عند عودتي إلى بني سويف سوف أكتب لك شهادة خلو الموانع". وبالفعل قام باستخراجها وتم ختمها من المطرانية.

يا لنعمة الله! يا لكثرة مراحمه! يا لشدة عطفه! كيف أشكرك يارب؟ وماذا أرد لك على كثرة إحساناتك؟ الحمدُ لك والشكر لك والتسبيح لك والافتخار بك أنت قدوس قدوس قدوس.

هب أن إنسانًا آخر لا يعرفه المطران، ولم يكن عمه قمصًا بالكنيسة، أو خرج من الدير بعد وفاة عمه بوقت طويل، أو وفاة المطران؛ لكان من المستحيل أن يتزوج!

ماذا لو كان عمي على قيد الحياة وقتها؟!

هل كان يستطيع عمل تصريح لي بالزواج ؟!

أيتجاسر على مجابهة البابا شنودة؟!

أيثبت أمام الكنيسة والأساقفة ويتصدي لهم ؟!

وقد كثر الأساقفة الذين حكم عليهم البابا شنودة في عهده بعدم الخروج من الدير وحرمانهم من رعيتهم. وكم من قس تم شلحه. فإن كان أساقفة نالوا عِقابًا فكيف ينجو قمصًا؟!

أكان يريد عمي بينه وبين نفسه أن يُضحي بماضيه الطويل في الطاعة والخضوع للرؤساء واحترامهم وتبجيلهم، ويخرج عليهم بقرار فردي بتصريح زواج ضد قوانينهم؟!

أيمكن بضربة واحدة أن يسحق 52 عامًا خدمة في الكهنوت الأرثوذكسي؟! وهو المؤتمن على خدمة الراهبات، وعمل القداسات الخاصة بهن؟!

أيقدر هذا الشيخ (83 سنة) أن يحارب جحافل الكنيسة المتغطرسة وتعاليمها المظلمة؟!

أيجوز له أن يتخلي عن كل عائلته من أجل أن يتزوج أبن أخيه؟!

لم يكن يستطيع هذا ولا كان بإمكانه ذاك!! خاصة أن عمي لم يكن من الشخصيات الشجاعة المتمردة الجسورة صاحبة البأس، بل كان شخصًا مُذعنًا خاضعًا خانعًا مستكينًا مُتصاغرًا، وهذا هو الوضع الذي أرادوه له وعلّموه إياه ووضعوه فيه. إياك أن تتكلم، الويل لك إن رفعت صوتك، ليس لك رأي، الرأي رأي الكنيسة، والقرار قرارها، سيتم شلحك إن تفوهت.

أجل من أجل كل ذلك رتب الله أن يكون طلب تصريح زواجي بعد موت عمي بشهرين، إنها توقيتات الله الذي يرتبها

كخالق قادر على كل شيء، سبحانه المهيمن الحكيم المُدقق. إنه الوقت الذي عينه الله بسابق علمه وحده، لأنه يعرف العوامل ويُدرك الثوابت، ويحيط علمًا بالمتغيرات ومتى كان ومتى سيكون إنه إلهي إنه المسيح.

لو كان عمي على قيد الحياة وقتها لما تزوجت، وكنت أعزبا حتى وقت كتابة هذه السطور.

إن المحفور في داخل أذهاننا -وهذا خطأ- أن الزواج إن لم يكن بواسطة الكهنة وداخل الكنيسة الأرثوذكسية فهو زواج غير شرعي أو باطل، وعلي أكرم تقدير هو زنا، لذا لا نألو جهدًا عن أن ننال تصريح زواج لنتزوج داخل الكنيسة الأرثوذكسية.

يأتي هنا السؤال المباشر لماذا تتحكم الكنيسة في تصاريح الزواج؟!

إن عملها روحي ومسئوليتها إلهية وهي التبشير، ونقل الحياة التي فيها -إن كان فيها حياة- إلى الآخرين. فهل فشلت في الكرازة والتبشير فاندفعت لمسك أعناق الناس والتسلط عليهم والاستبداد بهم بالتزويج و(التطليق إن أمكن). كعملية تعويضية عن المسئولية الأساسية. وهي نشر الكلمة.

حدث في أيام الرسل أنهم تعرضوا لمشكلة اجتماعية مُلِّحة أكثر من الزواج وهي عدم العدالة في توزيع الطعام والخدمات اليومية. " فدعا الاثني عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يُرضي أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد. فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهودًا لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة

فنقيمهم على هذه الحاجة وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة." (أعمال6 : 2-4) (أي نشر البشارة المفرحة بقيامة المسيح من الأموات الذي شاهدوه بعد قيامتهِ وأكلوا معهُ.) أي أن الرسل أصروا على نشر الكلمة وعدم التوقف حتى لو كان السبب الطعام نفسه وليس الزواج.

وإذا كانت الكنيسة تتشدق بأنها كنيسة الرسل وامتداد يوم الخمسين (يوم حلول الروح القدس على الرسل) فهل كان عمل الرسل التزويج وإقامة الأفراح، هل زوَّج المسيح أحدًا ؟!، هل عقد الرسل عقد قران أحد؟! أما كان الرسل بكل ما لديهم يخدمون الرب ويبشرون بالمسيح الفادي والمُخلِّص، وقد دفعوا لا بيوتهم فقط بل وحياتهم أيضًا في سبيل ذلك.

لا يختلف الوضع في أيام البابا شنودة المتشدد عن أيام البابا تاوضروس، فالأول فعَّلَ قرار عدم زواج من كان راهبًا إن كان لم يُفعَّل حتى وقته، أما الثاني فزاد عليه، فكتب في نهاية قوانين الرهبنة الجديدة (قبل النهاية بستة أسطر) "ولا يجوز مناولة رهبان تركوا الرهبنة وتزوجوا في كنائس غير أرثوذكسية، وكُتب أيضًا قبل العبارة السابقة بسطرين، "والرهبنة هي نذر العفة لله وكسرها بمثابة خطية تحتاج إلى قانون توبة ، وقد يُفهم خطأ أن بعد تطبيق العقوبة على من وُقع عليه قانون التوبة، ينال تصريح زواج، أبدًا هي أساليب تحايل وخداع فلن تُصرِّح الكنيسة بالزواج سواء تم عقاب تارك الدير أو لم يتم، سواء نفذ قانون التوبة بإرادته أم رغمًا عنه، قانون التوبة هنا لا يقصد به تهذيب وإعادة تأهيل، ودخول في شركة الجسد

الواحد، وإنما قُصِدَ به إذلال الشخص، وتحقيره والإحساس بنشوة إنتصار الكنيسة عليه إذ سبق فكسر لها قانونًا، قانون التوبة هنا لا يقصد به سوي خضوع الشخص لسيطرتها، لكي لا تقوم له قائمة فيما بعد ولكي لا يستطيع أن يتمرد ثانية أو يُحَرِّض على التمرد. قانون التوبة هنا ليس شفقة على الشخص بل هو هو انتقامًا منهُ.

اسألوا البابا، اسألوا المجمع المقدس هل يعطي تصريحًا لمن أتم قانون التوبة؟!

ولعل السؤال القادح من الذي جعل كسر النذر خطية؟!، وبعبارة أخري في أي شرع جُعل الراهب خاطئ ومذنب إذ ترك الدير، هل في شرع الله؟! هل جاءت هذه القوانين في الكتاب المُقدس؟! هل وضعتم أنفسكم مكان الله لتحكموا أنها خطية، ثم إن كانت خطية جدلًا فهل جعلكم مندوبين عنه (سبحانه وتعالي)، هل عينكم وكلاء عنه.

ماذا لو كان طريقكم أنتم كله خطأ وخطية. من أوله إلى آخره، فهو انحراف عن الكتاب المقدس الذي لم يوصي قط بالرهبنة والرهبان واختراعات البشر، الرهبنة عبادة وثنية مارسها الهندوس قبل الميلاد بخمسة عشر قرنًا، وطور فيها وعاشها بوذا قبل الميلاد بستة قرون، وأقحمها أنطونيوس وبولا ومقار وباخوميوس في القرن الثالث الميلادي في العبادة المسيحية. الإنجيل بريء من الرهبنة لا توجد به رهبنة على الإطلاق.

شهادة الدكتور اكرم حبيب "مدير تحرير مجلة مدارس الأحد سابقا"

عندما تمنيت ألا يحبنى أبى الأسقف

من منا لا يتمنى أن ينال محبة أبيه الروحى؟

وماذا لو كان الأب الروحى هو أسقف، وأسقف عظيم الشأن؟

أما أنا فقد مرت على لحظات تمنيت فيها ألا تكون لى أى مكانة فى قلب الأنبا أرسانيوس.

وسأحكى لكم الحكاية:

منذ حوالى سبعة عشر عامًا، كانت هناك مشكلة وأزمة كنسية، لم تكن لى أى علاقة بها، وتطور الأمر حتى تم إيقاف كاهن عن الخدمة، ثم تم رفع الموضوع للمجلس الإكليريكى الأعلى فى القاهرة للتحقيق، وتلقيت طلبا للمثول أمام المجلس كشاهد فى الواقعة، وبالطبع قبلت.

وبعد مرور يومين صدرت مجلة الكرازة وكان بها خبر عجيب، التحقيق سيتم معى أمام المجلس الإكليريكى بالقاهرة لأسباب مختلفة، أسرعت إلى الأنبا أرسانيوس، وبوجهه دائم الفرح أخبرنى أن الخبر صحيح، وأننى تحولت من شاهد إلى متهم إلى متهم، ومطلوب للتحقيق مع آباء كنيستنا الثلاث، وأخت مكرسة.

كان هناك شئ ما خطأ، فأنا علمانى لا أمتلك أى درجة كهنوتية، وبالتالى لا أخضع لتحقيقات المجلس الإكليريكى، رد

سيدنا أنهم يعتقدون أنك شماس مكرس، كنت يومها متزوج ولست شماسا مكرسا، بالإضافة إلى أنه لا توجد علاقة بينى وبين الواقعة موضوع التحقيق، أحد الأراخنة من رجال القضاء كان واضحا، ألا أحضر التحقيق، وأن أرسل إلى قداسة البابا مذكرة تفصيلية تشرح الموقف القانونى، أما الأنبا أرسانيوس فكان واضحًا جدًا، نعم كل هذا قد يكون صحيحًا ولكن علينا الطاعة، والطاعة التامة بدون مناقشة، وبالفعل خضعت للتحقيق، وكان يوما تاريخيا.

الخلاصة خضعت للتحقيق أمام المجلس، كان التحقيق يتم برئاسة الأنبا بيشوى، كان سكرتير المجمع المقدس ونائب البابا فى قيادة المجلس الإكليريكى للتحقيق مع الإكليروس، كان مسار التحقيق واضحا بلا خفاء، الهدف هو إبعادى عن أبونا الأسقف الأنبا أرسانيوس [لن أستفيض فى تفاصيل التحقيق]، أو بمعنى أدق إبعاد كل من يعمل عن قرب من الأنبا أرسانيوس.

وبعد أن إنتهى التحقيق بأيام، إتصل بى الأنبا بيشوى تليفونيا وأخبرنى أنه يتحدث معى بجوار البابا شنودة الثالث، ويخبرنى حرفيا، أنه عرض نتيجة التحقيقات بالكامل على البابا ليتخذ القرار المناسب، ثم أخبرنى أن البابا مقتنع بإجاباتى وبراءتى فى العديد من الإتهامات التى وجهت إلى، إلا فى تهمة واحدة، البابا مقتنع بإدانتى بهذه التهمة، ثم أمد أنه هو شخصيا مقتنع بإدانتى، ولكن قداسة البابا له رأى آخر.

ولما سألته عن هذه التهمة قال هى الإتهام بأننى المتحكم الأساسى فى جميع شئون الآباء الكهنة بإيبارشية المنيا وابو قرقاص، يتم رسامة من أشاء، وأنقل من أشاء من الآباء، واحرم من أشاء، وأننى المتحكم الرئيسى فى تصرفات وقرارات الأنبا أرسانيوس مع الكهنة فى الأيبارشية، وبناء عليه سيتخذ البابا القرار بما يراه عقوبة مناسبة، وكدت أن أسقط مغشيا على.

ذهبت مسرعا إلى أبونا الأسقف الأنبا أرسانيوس فى مقره بمبنى أسقفية الشباب، وكالعادة كان وجهه ضاحكا، وهدى من روعى وهو يقول هذه ليست تهمة ولكنها على سبيل الترقية، وأصر ألا أقلق وأن أترك الموضوع كله فى يدى الله، ثم إتصل بى أحد الآباء الأساقفة الأحباء (الأنبا ى.)، وأخبرنى بالذهاب إلى المقر البابوى فى الحال لأن قداسة البابا سيقابلنى، وذهبت وكان لقاءا ملئ بالحب، ومنحنى البابا ورقة مالية من فئة العشرة جنيهات، ثم كرر البابا كل ما قاله لى الأنبا بيشوى، وقال أنا قرأت التحقيق كلمة كلمة، وأعتقد أنك برئ من التهم التى وجهت اليك (بالمناسبة 26 تهمة)، إلا تهمة واحدة، وكرر نص الإتهام.

نظر الى البابا وقال من الواضح أنك غير مقتنع أنك متهم، أشرت بوجهى موافقًا، فقال أنه يثق فى تحقيقات الأنبا بيشوى، ثم أكمل، ولكن يا فلان أنا سأتأكد بنفسى من صحة الإتهام، لدى طرق الخاصة، وتركنى البابا وعاد بعد دقائق وهو متجهم وقال أنه تأكد من سلامة الإتهام بنفسه، ثم قرأ على القرار: قرر البابا بصفته رئيس المجلس الإكليركى منعى تماما من الصلاة أو دخول كنائس إيبارشية المنيا وأبو قرقاص.

كان القرار صدمة، لا تهمنى جميع كنائس إيبارشية المنيا، ولكن تهمنى كنيسة واحدة، كنيستى التى تربيت فيها، بل بالأحرى التى شاركت بنفسى فى بناءها، والتى تقع فعليا كجزء من منزل عائلتى، ولا أستطيع أن أخبركم بحجم الصدمة والألم، كنت متأكد أننى لا أقدر على تنفيذ القرار، وكيف أنفذه وأنا لا أعرف غيرها كنيسة، كنت أعيش بين القاهرة وبين المنيا، نصف الاسبوع فى القاهرة والنصفه الآخر فى المنيا، كانت لى خدمتى فى المنيا، وكانت لى خدمتى فى القاهرة، ولكن لم أشعر فى القاهرة إلا بمشاعر الغريب والضيف.

تجرأت وسألت البابا، كيف تأكد من إدانتى بهذا الشكل القطع، إبتسم وقال، كل ما فعلته أننى إتصلت بالأنبا أرسانيوس، وأخبرته أنك معى، وسألته سؤال مباشر، هل يتمتع فلان بمحبة خاصة فى قلبك يا أنبا أرسانيوس.

أجاب الأنبا أرسانيوس، ببرائته المعهوده، لا يا سيدنا البابا، لا يمكن أن أقول أننى فقط أحبه، بل الحقيقة أنه من أقرب الأشخاص إلى قلبى، وهكذا صدر أصعب قرار إدانة تخيلته فى حياتى.

صدرت العقوبة الكنسية القاسية لأن الأنبا أرسانيوس يعتقد أننى من أقرب الاشخاص إلى قلبه.

تركت المقر البابوى جريا إلى مقر الأنبا أرسانيوس، وقصصت عليه ما حدث، فضحك وهو يقول نعم هذا ما حدث.

ولكن يا سيدنا لماذا قلت هذا؟ وأنت تعرف أننى تحت التحقيق وتعرف السبب الحقيقى وهو علاقتى وبنوتى لك؟

فقال وهو يبتسم، أليست هذه هى الحقيقة، كيف أكذب.

قلت ولكن يا سيدنا لست قريبا من قلب نيافتك إلى هذه الدرجة، قال وهل أنت أدرى منى بنفسى، إنها الحقيقة، أنت من أقرب الناس إلى قلبى.

نطقتها فى هذه اللحظة، قلت ليتك كنت تكرهنى يا أبى الأسقف، ليتنى ما تمتعت بهذا الحب الأبوى.

قال الأنبا أرسانيوس، لا تقلقل أنت لست الهدف، قلت أعرف وهذا كان واضح أثناء التحقيق، قال وأنا سعيد وفرحان ولن أتخلى عن فرحى، ولم أفهمه ساعتها.

نظر الى الأنبا أرسانيوس وهو ميتسم وقال، هل أنت حزين من القرار؟ قلت لن أستطيع تنفيذه، قال بل ستنفذه، وستنفذه وأنت سعيد، قلت كيف يا أبونا الأسقف؟ أنت لا تدرى ماذا يعنى هذا القرار بالنسبة لى، أجاب بل أعرف، ولكنك ستنفذ وبدون ألم، تعالى إقترب منى.

واقتربت منه فوضع يديه على رأسى وبدأ يصلى صلاة طويلة جدا، لم افهم ماذا يقول فى صلاته حاولت أن أفهم كلمات الصلاة ولم أقدر، وكانت صلاة طويلة فعلا.

ولكن كل ما أفهمه، أنه قد مرت على أكثر من سبعة عشر عامًا منذ ذلك اليوم حتى يومنا هذا، ولم أدخل خلالها أى

كنيسة فى إيبارشية المنيا، ورغم أننى أقضى جميع الأعياد والمناسبات فى المنيا وسط عائلتى، ورغم أن أسرتى جميعهم خدام فى كنيستنا العريقة، ورغم أن منزل العائلة قريب جدا من الكنيسة بدرجة أنه يمكن إعتباره جزء من الكنيسة، إلا أننى لم أعانى ولا مرة واحدة، ولم أشعر ولا مرة واحدة فقط بالمرارة فى قلبى، ولم أشعر بأى الم على الإطلاق، وأتمتع بمحبة آبائى رعاة الكنيسة، وألتقى بهم فى كل مرة أتواجد فيها هناك.

إنه الأنبا أرسانيوس، لم يعرف يوما كيف يلعب سياسة، ولا كيف يحسب الأمور، عاش بقلب نقى يتمتع ببساطة الأطفال، ومحبة بلا حدود تفيض على الكل، وإصرار على إتباع المنهج الروحى فى الطاعة التامة بلا تفكير، كان يقول أن التعامل مع هذه الأمور ليست وظيفتنا.

ومع كل هذه الأمور كان يمتلك قوة مستمرة وجبارة للصلاة، كان يردد أمامنا دائما قوله المأثور "هصلى مهما حصلى"، وفى الحقيقة كانت صلواته تعالج المواقف من جذورها، أشهد أن صلاته لم تمنع القرار من الصدور، ولكنها منعتنى من أن أشعر بنتائج هذا القرار.

ولكن لا أخفى عليكم، لقد تمنيت يوما ألا يكون قلب أنبا أرسانيوس محبًا بهذه الدرجة لشخصى الضعيف.

تاريخه حافل بالتآمر على رفقاء دربه

شهادة الدكتور جرجس يوسف "مترجم لاهوتي"

يصفونه بمعلم الأجيال، مستعيرين لقب القديس الأنبا اثناسيوس، البابا العشرين، من القرن الرابع، وهو أكثر من قاوم وحارب عقيدة وفكر التأليه عند الآباء، وعند اثناسيوس، قوام الطرح اللاهوتي عنده هو ما ترسب من آراء وتفاسير شخصية، فهو ليس بالباحث ولا اللاهوتي ولا المتميز إلا شعرا و تمكنا من ناصية اللغة العربية يقرأها بطلاقة ويملك قدرة على التأثير العاطفي على سامعيه. رجل نكتة وسريع البديهة، لكنه يتمتع بدهاء يبلغ حد المكر الشديد، يسعى إلى الزعامة منذ صباه ويشتهي الرئاسة والقيادة، تاريخه حافل بالتآمر على رفقاء دربه، وشركاء مسيرته، ينقلب عليهم بسرعة البرق، ويزيحهم من طريقه، واثقا أن الانفراد بالخدمة والعمل والقيادة، هو أقصر الطرق إلى الزعامة المنشودة والتي تحققت، ولكن بغير الطريق الشريف والنبيل. إقرأوا ما كتبه عنه آخرون، إن في مؤرخات أم في كتب أو في مدونات الكترونية معروفة (سامي المصري على سبيل المثال لا الحصر)، تخلصوا إلى ما أوثقه من صورة المتلهف والمشتاق على الزعامة والسيادة والاستبداد بالرأي والأمر.

وعن كتاب الدكتور الباحث واللاهوتي المعاصر جورج حبيب بباوي، بعنوان، "الرد على كتاب بدع حديثة"، أقتبس بعضا من سطوره:

في تبرير الدكتور جورج لعدم أحقية الأنبا شنودة أن يوصف باللاهوتي والباحث، يقول إن كل ما يكتبه أو كتبه من مقالات،

أولًا : قد جاءت من انفعالات شخصية، ولذلك تخلو من العودة إلى التاريخ الكنسي، ومصادر التعليم اللاهوتي الأرثوذكسي: الآباء والليتورجيا.

ثانيًا: أن الأنبا شنودة الثالث لم يدرس الآباء، فهو في هذه المقالات كما فعل بعد ذلك، يستلهم عقله وحده وما يعرفه، ولذلك غاب ذهبي الفم الذي تُرجم إلى العربية في مطلع القرن الثاني عشر، ولا تزال هذه الترجمات في مكتبة البطريركية في

الأزبكية. بل لا عذر له في عدم العودة إلى عظات ذهبي الفم على رسائل القديس بولس. وهي تقريبًا ثلثا العهد الجديد، ونشرت هذه العظات، ولا تزال مجلدات هذه العظات في مكتبة دير السريان... ولكنه كما صرح في أكثر من مناسبة، أنه يشك في أصالة كتب آباء الكنيسة، وفي مقدمة هؤلاء الآباء القديس أثناسيوس نفسه، ولذلك كل ما ورد تحت اسم "اللاهوت المقارن" لا علاقة له بأي لاهوت نعرفه. لا هو (لاهوت) أرثوذكسي ولا بروتستانتي ولا كاثوليكي.

ليس شرطا أن يكون البطريرك كاتبا ومؤلفا، لكن كيف للأنبا شنودة والصحافة تجري في دمه علمانيا وراهبا وأسقفا للتعليم، ولا أجد أبلغ وأصدق من شخص كان ملازما الأنبا

شنودة كظله، هو الدكتور جورج بباوي، الذي انقلب عليه أسقف التعليم بلا مبرر، ويقول الأخير:

"من حق كل مسيحي أن يكتب ويؤلف... ليست هذه هي القضية الأولى... لكن عندما يتهم غيره، ويخترع اتهامات عقائدية موجودة في عقله وحده، بل ويُجرم غيره ويحاربه بكل ما يملك، لاسيما التوجه إلى الشارع القبطي الذي أصبح هو مجال

الباحث والقاضي لكل العقائد، وأصبح حشد أكثر عدد من الأنصار والمؤيدين، هو الدليل على صحة التعليم. أسلوب "جماهيري" سياسي لا علاقة له بأي عقيدة أو أي مبدأ أخلاقي مسيحي، ولا يمت للقداسة بأي صلة، ثم ينتهي هذا العرض الجماهيري "بقطع" من يختلف مع الأنبا شنودة و"حرمانه". أو عندما يعجز عن التصدي لمجلدات أبحاث ودراسة الأب متى المسكين، لا يجد أمامه سوى "الشوشرة" واختراع اتهامات هو أول من يعلم أنها غير صحيحة.

وكل من يعرف الأنبا شنودة، يعلم عن يقين، أن الحكم والقاضي في كل ما يصنعه ويأتيه من أحكام وقرارات هو الانفعالات وانتفاخ الأنا وروح الزعامة، وليس المعرفة.

حاول المحللون، المنافقون منهم وهم كثر، والصادقون وهم قلة، أن يطرحوا على الرأي العام، أسباب الخلاف بين الأنبا شنودة والأب متى المسكين، لكن رأيا واحدا أثق أنه الأحق والأجدر بالاهتمام، يقوله القريب من الرجلين، قرب الجلد من العظام، رأي الدكتور بباوي، الذي شهد الأحداث، وتابع يوما

بيوم سيناريو التشابك بين الأسقف والراهب، حول مؤلفات الأخير التي لا تشوبها شائبة، رغم أحقاد الأول عليها وعلي كاتبها، ويقول الشاهد على العصر والحدث بالحرف:

"لم يقدم الأنبا شنودة الثالث أي تصحيح (لمؤلفات الأب متى المسكين)، وحوَّل الموضوع كله إلى كاتب هذه السطور الذي لم يرَ في مؤلفات الأب متى المسكين أي خروج على التعليم والتسليم الآبائي... وبذلك تحولت أنا نفسي إلى قائمة الأعداء، التي تصدرها الأب متى المسكين، والذي أصبح بما يملك من مؤلفات وحياة نسكية القائد الروحي الحقيقي، وليس أسقف التعليم الأنبا شنودة الذي أصبح بابا الإسكندرية بعد ذلك.... هذا هو جوهر وقلب كل ما حدث وما قيل.

نعم هذا هو جوهر وقلب كل ما حدث وما قيل: فلا يزعمن أحد أن الأب متى المسكين هرطق، وأخطأ في التأليف، ولا يقولن جاحد إن الأب متى المسكين تآمر على الكنيسة، ولا يفترين أحد على الرجل الذي رفض حتى النفس الأخير أن يدافع عن نفسه، متمثلا بسيده، في وقت، كان الأنبا شنودة يحشد الغضب الجارف كيانات مريضة حوله من انتهازيين متطفلين يعيشون على فتات بين أسنان التمساح العجوز، ويملأ الدنيا صخبا وصياحا، تارة باتهام الراهب بالزندقة والخروج عن العقيدة، وتارة بالإيعاز أن الراهب يتآمر على سلام الكنيسة وسلام البطريرك. لكن، وأكرر عبارة للتاريخ، يكتبها الدكتور بباوي، (نعم هذا هو جوهر وقلب كل ما حدث وما قيل: أن الأنبا شنودة كان يتعمد تصيد الأخطاء للراهب متى المسكين، أن الأنبا

شنودة كان يتعمد تشويه سمعته، ربما غيرة من مركز الراهب اللاهوتي وقدرته التي لم يكن يتمتع بها الأسقف، رغم قدراته الخارقة في التلاعب بالجمل والألفاظ في عظات تخاطب شعبا، جله من المغيبين والمتخدرين عاطفيا، غاب عنهم المثقفون والعالمون والمترجمون والخدام الأمناء النابهون، إقصاء تعمده الأسقف حتى تخلو له الساحة والباحة يمارس فيها صولاته وجولاته الدون كيخوتية بلا منازع، ولا منافس.

كان يطارد الجميع ولم يكِنّ احتراما لأحد:

دأب الأنبا شنودة، رحمه الله وسامحه، على مطاردة جميع رجالات العلوم الكنسية والكتابية واللاهوتية. لم يرحم أحدا، ولم يحترم أحدا، ولم ينج أحد من قبضته الذاتوية التي كانت تبطش حتى بمن كانوا يوما ذوي حظوة ومكانة لديه. جورج حبيب مثالا، وآخرون، معروفون بالاسم. ونلقي نظرة سريعة على سطور كتاب المفترى عليه الدكتور بباوي، الذي يقول والمرارة الواقعية تطفح من بين سطوره، تحت عنوان (الثمن الباهظ الذي دفعناه ولا نزال ندفعه):

ماذا بعد ذلك... والسيادة لقانون الغرائز والانفعالات:

1. ضباب كثيف يحيط بأسرار الكنيسة لاسيما سر الشكر الذي يصر الأنبا شنودة الثالث على أنه تناول الناسوت فقط.

2. إنكار سكنى وحلول الروح القدس فينا بدعوى غريبة أننا نأخذ المواهب فقط رغم أننا لم نرى هذه المواهب عند أصحاب هذا الادعاء الكاذب.
3. إنكار الشركة في الطبيعة الإلهية واتهام هذا التعليم بأنه دعوى للشرك بالله.
4. فصل الإنسان فصلًا تامًا عن المسيح نفسه.
5. اعتبار البابا رأس الكنيسة، فحل محل المسيح نفسه وأصبح هو رأس الجسد، وصار لجسد المسيح رأسان: بابا الإسكندرية والرب يسوع ... تعليم ينتزع كل اختصاصات المسيح باسم رئاسة الكهنوت.

وباقي القائمة شنيع. لكن ليست العبرة في القائمة، وإنما في العجز عن شرح التعليم ثم مطاردة كل من هو قادر على ذلك. مُنع د. المستشار وليم سليمان و د. المستشار عوني برسوم من تدريس القانون الكنسي. وأُبعد د. سليمان نسيم عن معهد

الخدمة القسم المسائي ثم مجلة مدارس الأحد. كما وُضِع الأنبا غريغوريوس تحت حزام الفقر، وسُحب منه معهد الدراسات القبطية وأُبعد عن الكلية الإكليريكية. وقصة المؤرخة الكنسية إيريس حبيب المصري وكتاب السنكسار معروفة. وأسلوب مطاردة هؤلاء الباحثين يخدش الحياء ولعل خير مثال على الإيمان بالبحث هو أن يصبح د. ميشيل بديع الذي تخصص في كتابات ديديموس الضرير مسئولًا عن قسم الألحان الكنسية بعد رحيل أستاذنا راغب مفتاح، فهو مثل

غيره ممنوع من تدريس الآباء، وسبقه في القائمة د. وهيب قزمان والأب الروحي لكل الباحثين د. نصحي عبد الشهيد.

المؤسف أن بعض من ذكرت أسماهما في الفقرة السابقة، اشتري سكوتهما بالعمل الأكاديمي السطحي بأمر من الأنبا شنودة، لأحدهما، وركن الآخر إلى الصمت، مؤثرا السلامة حتى لا يفقد مركزا للدراسات الآبائية، تعب في تأسيسه ومواصلة نشاطه. فكان الأول راضيا بما قسم له من وظيفة، ما دام ظاهرا في الصورة الكنسية، وأزعم أن لحكمة شقيقه الدكتور الكاتب والنابه والصديق الوفي، مينا بديع عبد الملك، أثرا بالغا وشديدا في وصول الأمر إلى هذه الصورة، ربما اتقاء لغضب قد يوقع أخاه فيما لا تحمد عواقبه. ورضي الثاني بالابتعاد عن المواجهة ما دام المركز الدراسي باقيا يعمل ويرسل المبعوثين إلى الخارج، وكان أولهم الدكتور وهيب حلمي قزمان،الذي رفض الأنبا شنودة مقابلته والاعتراف برسالة الدكتوراة التي أعدها، وكان أول مبعوث من الأقباط يوفده الدكتور نصحي عبد الشهيد إلى الخارج.

خمسون عاما فى ثلاث مقالات

شهادة الدكتور ماجد منصور "باحث قبطي"

1-

البابا الراحل الانبا شنودة الثالث كان وسيبقى شخصية عظيمة وكبيرة فى تاريخ كنيستنا القبطية فهو المعلم الاول وليس الوحيد ولا الصحيح دائمًا خلال خمسين سنة امتدت من ١٩٦٢ وقت رسامته اسقف للتعليم وحتى نياحته فى مارس ٢٠١٢ .

أنا من مواليد ١٩٥٩ ولذا لم أع ولا أذكر شيئًا عن أيام رسامته وخدمته اسقفا ولا حتى ايام تنصيبه بطريركا فى نوفمبر ١٩٧١ ولكن بدء وعيي به كان فى النصف الثانى من سبعينيات القرن المنصرم عندما بدأت فى الدخول لمرحلة الدراسة الجامعية والوصول لعتبة عشرينيات العمر وكنت مع أصدقائى وقتها نحضر اجتماعه الأسبوعى فى الكاتدرائية المرقسية بالعباسية وايضًا كان لنا الحظ فى حضور القداسات معه وبعض احاديثه فى الأسر الجامعية التى تعقد اجتماعها فى منطقة الانبا رويس وهى ايضا المقر البابوى وكذلك اتذكر حضورنا بعض صلوات البصخة المقدسة بقيادته وبصحبة المعلم ابراهيم عياد كمرتل وكانت تلك تؤثر فى نفوسنا ايما تأثير ولا أنسى ما حييت عظته على مقولة يسوع ليلة القبض عليه اى عشية جمعة الصلبوت عندما قال للجنود الذين أتوا للقبض عليه " هذة ساعتكم وسلطان الظلمة" وايضًا سمعنا منه تأملات جميلة على السبع عبارات التى تفوه بها يسوع على الصليب القاها فى صلوات

الجمعة العظيمة فى سنوات متتالية وقد صدرت فى كتاب جميل بأعظم عظاته .

كنا كشباب صغير وقد بدانا توا رحلة تكوين الوعى الكنسي والقبطي بكل فروعه الروحية والتاريخية والواقعية وغيرها منبهرين بقداسته وذلك لسهولة الاستماع المتكرر له كل أسبوع مرة او اكثر فقد ساعد قرب سكننا لمنطقة الانبا رويس على التواجد المستمر لأغلب الفعاليات التى يسمح للشعب حضورها من نشاطات البابا . اتذكر حرصه على صلاة عشية عيد الانبا رويس فى كنيسته الصغيرة جدا امام القصر الباباوى الحالى وكنا نسعد بالحضور وايضًا أتذكره عندما حرص على الحضور مع بعض الاساقفة وكان منهم المتنيح الانبا غريغوريوس اسقف الدراسات اللاهوتية اجتماع أسرة القديس لوقا الطبيب- أسرة كلية طب عين شمس - عندما تواجد بها الأخ عماد نزيه وراح يعارض بعض الافكار القبطية الارثوذكسية فتكلم البابا وشرح تعليم الكنيسة وسمح لعماد بالكلام وعرض أفكاره ولكن البابا رفضها ولما لم يقبل عماد نزيه كلام البابا نطق قداسته وسط اندهاش الجميع قرار حرمانه وأبعاده عن الكنيسة ولحظتها هاج عماد وراح يصرخ ويهذى بكلام غير مفهوم وأخرجوه بعض الحاضرين وأكمل البابا الاجتماع وأنهاه وحتى هذا الوقت كنّا لا نناقش آراء وتعليم البابا ونعتبرها ايمان الكنيسة الواضح والاكيد وأتذكر بعد هذا الوقت بسنوات عندما واظبت على حضور احاديث الانبا غريغوريوس وجاءت سيرة ما حدث مع عماد نزيه انه اظهر امتعاضه لما حدث وكيف انه لم يكن مناسب ان يدخل

بابا الكنيسة فى جدل لاهوتى مع شاب عادى وانه تسرع بنطق قرار الحرمان الذى قال فيه من فمى وفم الاساقفة المجتمعين معى ولم يكن قد اعطي الفرصة لأحد منهم ان يشترك فى الحوار .

بانتهاء فترة السبعينيات والدخول فى مرحلة الثمانينيات اتذكر بعض احداث أوائل الثمانينات عندما رفض البابا فكر الاحتكام للشريعة الاسلامية فى كل قوانين الدولة وأعلن انزعاجه من ظاهرة خطف وأسلمة البنات القبطيات والاعتداء على الكنائس فنادى فى اجتماعه الأسبوعى بصوم واعتكف بالدير وأعلن رفض استقبال رجال الدولة فى الاحتفال بعيد القيامة وأتذكر خطاب السادات وتكراره للقول شنودة بدون اى لقب وقراره بالغاء اعتراف رئاسة الدولة بتعيين قداسته بطريرك للأقباط وتعيين اللجنة الخماسية لتسيير أمور الكنيسة

-2

كانت فترة احتجاز البابا اى النصف الاول من الثمانينات كئيبة مملة نوعا ما فقد حرم الشعب من محاضراته وإجاباته على الأسئلة فى شتى الامور وبالمناسبة كنت أتشوق وقتها مثل كل الناس للإجابات مهما كانت نوع الأسئلة حيث تكون ردوده غالبا مقنعة وطريفة فى احيان كثيرة مما يمتع المستمعين ولكنى بعد عقدين تقريبا من هذا الزمن وقد كنّا بدأنا نتخلص من التبعية وصرنا نحاول ادراك وتمييز الامور أدركنا ان فقرة اجابات الأسئلة هذة قد أوقفت عقول الناس وربما الاكليروس ايضا ولم يعد احد يفكر فى حل اى شيء وراح الجميع يرسل الأسئلة للبابا

وينتظر الإجابة وغالبا استمر هو فى ذلك لأنه كان يرى فى نفسه أحكم الناس وأكثرهم علما ويرى نفسه معلما وحيدا وبداء يعلن بعض الآراء التى يعارض فيها اقرانه وربما هم كانوا أساتذته ايضا وخاصة الانبا غريغوريوس والأب متى المسكين - ولعله من المناسب هنا ان نذكر بالخير للبابا تاوضروس انه تخلى عن اجابات الأسئلة فى اجتماعه الوعظي الأسبوعى فغالبا هذا يسرى فى صالح ان يعمل الناس عقولهم فى المشاكل والمواقف والآراء ولا يتبلدون ويغرقون فى تفاهات الامور منتظرين اجابات جاهزة من بابا الكنيسة .

لما جاء على عام ١٩٨٣ سافرت فى ابريل منه لباريس طلبا للرزق والثقافة ومشاهدة حضارة اوروبا الراقية وكانت وقتها كنيسة واحدة الموجودة هناك وهى عبارة عن بدروم كاتدرائية سان سلبيس فى قلب العاصمة الفرنسية ويخدم بها كاهن غير متفرغ ويعمل خمسة ايام ويحضر للكنيسة سبت وأحد فقط وأحيانا أحد فقط وأحيانا اخرى لا سبت ولا احد اذ يعلن انه نازل مصر عشرة ايام او اسبوعين وغالبا يكون فى مناسبة عيد تنصيب البابا او مناسبات اخرى وكان الضعف الشديد للخدمة واقتصارها على القداسات يوم الأحد فقط يجعلنا كشباب ان نرسل احيانا خطابات للبابامباشرة نشرح الامور وتطلب كهنة للخدمة وكان ذلك مع بعض الخدام او الاساقفة الذين يمر احدهم غالبا على باريس مرة كل عدة شهور وحتى اليوم لا اعلم ان كانت الخطابات تصل للبابا ام لا وتقريبا فى العام الرابع لى هناك جاءنا راهبان سريانيين اى من دير السريان على ما اذكر

وخدما بعض الوقت والحق يقال أنهما كانا على اتصال دائم ومحترم بالخدام الشباب ويعملون على تعويض النقص فى الخدمة وحل المشاكل الموجودة واستمر الحال كذلك حتى رجعت فى اخر يوم من سنة ١٩٨٨. لابد ان أسجل هنا ان فترة تغربي فى باريس هذة قد أوضحت لى وتأكدت ان البابا شخص غير كامل وأن الثغرات فى اعماله وربما اقواله كثيرة فمثلا كونه أقام أسقفين أوروبيين الأصل وقد كانا مطرودين من الكنيسة الكاثوليكية أسقفين قبطيين وسلمهما الخدمة فى ربوع فرنسا وبلجيكا وهولندا وهما لا يعرفان العربية ولا تواصل بينهما وبين الاقباط فى تلك الدول جعل شخص كأبونا جرجس لوقا هذا- وهو مازال موجودا- يقنعهما بأنه كافى للخدمة بتفرغه فقط يومين فى الاسبوع على الاكثر ولم يستطيع الانبا شنودة التدخل فى الامر وتوسيع الخدمة وإكثار الكنائس الا فى اوائل التسعينيات -كنت قد عدت- عندما استدعى الأسقفين الفرنسيين ووقع معهما بروتوكولا جديدا يحولهم فيه او به للخدمة فقط مع الأوروبيين المنضمين للكنيسة القبطية ويتركون المهاجرين الاقباط لأشرافه هو وبعدها فقط استطاع ان يرسل كهنة ويدشن عدة كنائس فى ربوع فرنسا وما يحيطها من بلاد .

فى فترة وجودى فى باريس تعرفت على صديق اكبر منى قليلا ولكنه مثقف وقارىء جاد ومنه اطلعت على ما كتبه الصحفى حسنين هيكل فى كتابه خريف الغضب الذى تعرض فيه للخلاف الحاد الذى نشب بين السادات والبابا ومع توالى الأحاديث معه فى بعض نقاط ابرزها هيكل فى كتابه ومِمّا رأيته بنفسي من مشاكل

وضعف الخدمة فى كنيسة باريس كنت ومعى بعض الشباب الأصدقاء هناك قد أدركنا ان نقاط ضعف شخصية البابا ليست قليلة ولعل انفراده التام بإدارة كل شىء فى الكنيسة واصراره على انه المعلم الوحيد مما شجع بعض مساعديه من التشنيع بمنافسيه وقد وصلت لمسامعنا بعض التصرفات المعيبة .

قابلت ايضا فى باريس اول مبعوث قبطي فى عصر الانبا شنودة لدراسة اللاهوت الارثوذكسي وأقوال الاباء اى علم الباترولوجى فى اليونان بتعضيد وإشراف الخادم الطبيب دكتور نصحى عبد الشهيد مؤسس مركز دراسات الاباء اول مركز دراسى قبطي منفصل عن او لا يتبع الكنيسة الرسمية وهو الدكتور ناجى حنين اسحق وكان وقتها مقيم بباريس يدرس دبلومة لغة وادب قبطي ف المعهد الكاثوليكى بقلب عاصمة النور والجمال هذا الخادم المكرس والكاهن الارثوذكسي فى اليونان حاليا علمنا الكثير فى اللاهوت الارثوذكسي وأدركنا من خلاله بعض غنى الادب والروحانية الارثوذكسية الخلقيدونية من خلال ما سمعناه منه وايضًا من كتب المطران جورج خضر والعلامة كوستى بندلى التى كنّا نستعيرها منه ونقرأها ونتحاور فى ما بها معه.

-3

عدت من سفرى وانا على مشارف عمر الثلاثين فأنشغلت فى النصف الاول من عقد التسعينيات فى البحث عن عمل ثم البحث عن زوجة وهكذا عندما وصل الزمن بى لمنتصف التسعينيات كنت اعمل فى مركز البحوث الزراعية وسجلت

لدرجة الماجستير وتزوجت وأنجبت بنتا ولكن لم احاول خلال هذة السنوات حضور اجتماع البابا الاسبوعى وواظبت على حضور حديث أسبوعى اخر كان للأنبا اغريغوريوس كل يوم اثنين وايضًا تقدمت للدراسة فى معهد الدراسات القبطية قسم التاريخ وأنهيت عام وفى منتصف العام الثانى قررت تركه لاستمرار ضعف المستوى الدراسي به وكان التدريس فى معظمه هو من كتب ألفها المستشار زكى شنودة وهو كان قد تعين بواسطة البابا مديرا للمعهد رغم انه ليس بأكاديميا وكتبه تكاد تكون مذكرات تصلح لمدارس الأحد فقط- تركت المعهد بعدما تأكدت انه لا نية إطلاقا فى تحديث او تطوير الدراسة به ومحاولة الوصول به للمستوى الجامعى المفروض ان يكون عليه

كان هذا هو حال قسم التاريخ اما وقد حضرت بعض الوقت مع زوجتى التى كانت قد قدمت للدراسة معى ولكن فى قسم الدراسات الأجتماعية وكان على رأسه الخادم العظيم الدكتور سليمان نسيم فقد كان أستاذا جامعيا وكان حريص على ان يكون العمل بقسمه يرقى للمستوى الجامعى فلم يستعين للتدريس فى قسمه سوى بأساتذة جامعة حقيقيين وكانت المناهج تدرس من كتب جامعية ايضا ولكن للأسف وفى تقريبا وقت متزامن مع قراري بترك الدراسة بالمعهد وعلى اثر ان الدكتور سليمان نسيم كتب بعض مقالات فى مجلة مدارس الأحد يطالب فيها بتطوير العمل والدراسة بالكلية الاكليريكية ومعهد الدراسات القبطية فكان ان البابا غضب وقرر طرد سليمان نسيم وسمعت بأذنى من فراشين معهد الدراسات انه جمع الفراشين والعمال

وذهب لمكتب الدكتور سليمان وقد كان فى نفس القاعة التى يدرس فيها وطلب من الفراشين كسر القفل ودخل وأشاع الفوضى فى المكان ثم طلب ان يغيروا اقفال الأبواب والدواليب وعين شخص اخر رئيسا للقسم وسلمه المفاتيح وطبعا انا انقطعت تماما عن المعهد ومنعت زوجتى ايضا والحق يقال اننا قابلنا بالصدفة بعدها بأسابيع الدكتور سليمان فوجدناه يعيش فى سلام نفسي عظيم ولم يظهر اى حزن او مرارة بل وشجعنا على العودة للدراسة بالمعهد وراح يشكر فى من عينوه بدلا منه ولكننا لم ننفذ نصيحته وكنت وقتها حزين وغير مصدق ان البابا يتصرف هكذا وانه يترك مستوى المعهد يتدهور هكذا ولكن ما باليد حيلة.

دخلنا فى النص الثانى من التسعينيات حيث وجهت كل طاقتى لإنهاء الماجستير والدكتوراة فى قسم الكيمياء الحيوية بزراعة عين شمس وتقريبا لم أعد احضر اجتماعات كنسية ورحت اركز كل وقتى وجهدي فى الدراسة الكيميائية ورعاية ابنتاى وهكذا انهيت التسعينيات والقرن العشرين ومع اول أعوام الألفية الثالثة كنت قد انهيت الدكتوراة وبعدها اذ يدخل الباحث مثلى فى فترة تستمر لعشر سنوات ينجز فيها حوالى ١٥ بحث جديد على مرحلتين متتاليتين متساويتين تعطيه الاولى لقب ودرجة استاذ مساعد والثانية لقب ودرجة استاذ وكان ان هذة الفترة قد واكبت انتشار اجهزة الكمبيوتر الشخصية والتواصل المعرفى من خلال الانترنت ونظرًا لطول الاوقات التى كنت ابحث فيها عن ابحاث ومراجع لكتابة أبحاثى الخاصة كنت فى اوقات

الراحة اذهب لموقع البابا واسمع بعض العظات وقادنى الابحار فى الانترنت ايضا لمواقع دير ابو مقار وإعداد مجلة مرقس وموقع كوبتولوجى الخاص بالدكتور جورج حبيب المهم سمعت من فم البابا فيما اسماه بمنهج اللاهوت المقارن اعتراضاته وأحيانا سخريته من اقوال وافكار للآب متى وعندما كنت أراجع اقوال ابونا متى كنت استغرب مما يقوله البابا واشعر ان الغيرة وحدها هى التى وراء تفنيده لأقوال ابونا متى وسخريته منها وكان نفس الامر يجول فى خاطرى من جهة تفنيده كذلك لكلام انبا غريغوريوس والدكتور جورج بباوى

عندما وصلنا لمنتصف العقد الاول من الألفية الجديدة كنت قد تأكدت من ان الانبا شنودة هو شخص لا يقبل ان يفوقه احد فى اى مجال ومن هنا سعى لتسخيف آراء كل منافسيه وعندما اشتد عليه المرض فى اخر عقد عاشه تولى امر مطاردة منافسيه والادعاء عليهم تلميذه النجيب الذى كان فى رائيى شخص جاهل ومعاند بدون اى وجه حق حتى درجة تأليف الاكاذيب و رشقها بكل من ظن انهم ينتقصوا من شعبية البابا اى مطران دمياط الراحل

ورغم كل ذلك فقد كنت ككل الاقباط فى هذا الزمان نشعر بأن البابا هو ابونا الفعلى ولعل هذا يفسر بكينا عليه بأكثر مما بكونا ابونا الحقيقى

شهادة الباحث اشرف بشير

كنت متشبع عمياني بكلامه وانفتحت عيناي

من حوالي 15 سنة او اقل شوية، مش متذكر كام سنة بالظبط عشان مكذبش، كنت واحد من أشد مؤيدي المطران بيشوي (واللي يعرفوني شخصيا عارفين ده كويس)، كان بالنسبة لي هو ممثل الأرثوذوكسية على الأرض، وكان على النقيض واحد زاي متى المسكين عندي مهرطق، عدو للكنيسة، بيفتي في اللاهوت، كانت قناعتي بده زاي قناعتي إني أشرف ! ... كنت بدافع عن تعاليمه بغيرة نارية، بنفس منهجه السولا سكريبتوري (الاستدلال العقيدي بالكتاب المقدس وحده) ... وافتكر اني بعت للمطران رسالة قلتله فيها اني بطلب معونته في الرد على التأله اللي كان منتشر نسبيا بين بعض الاراء هنا وهناك، وفاكر انه رد بذوق عليا وبعتلي مقدمة بحث ليه مع بداية الرسالة بلفظ "الابن اشرف ...". اللي كانت وقتها كلمة في رسالته مخلياني مزقطط، شاب صغير بقا !! (الله العالم هو اللي رد ولا حد من مكتبه!)

لفت سنين قليلة جدا، وفضل الحال على ما هو عليه، وكنت باسمع عظات قداسة البابا شنودة وهو بيتكلم عن اللي كان بيوصفه بأخطاء متى المسكين، زاي تأله لبشر، وشركة الطبيعة الإلهية، وتأله ناسوت المسيح، وسكنى الروح، وكنت بخبط كف على كف، إزاى واحد زي متى المسكين يقع في كل الأخطاء ديه، وكنت بخلص العظة البابوية او عظة المطران من

على السي دي (مكنش النت رخيص زاى دلوقتي)، وانجعص واقول اما احنا كنيسة جامدة اوي صحيح !!

لفت سنين تاني، وكان النت بداية طفرة، وكان اول مرة اسمع عن وجود ترجمات ابائية فرنسية وانجليزية (كان ظني وقتها ان كلها يوناني ولاتيني)، ومكانتش متوفرة free online، فطقت في دماغي أما أجهز كام رد على المنتديات على المهرطق متى المسكين، ووقتها كان ابتدا تاني شخص يظهر ميقلش عنه هرطقة اسمه جورج بباوي، وكنت انا قارئ ممتاز لكتب البابا والمطران، بدون مبالغة قريت كل كتبهم اكتر من مرة، وكنت متشبع عمياني بكلامهم، ولسه مكتبتي في اسكندرية فيها مجموعة كتبهم كاملة مليانة تسطير وعلامات ترقيم وورق بين الورق وحواشي، وفعلا قلت لازم ارد على العك المسكيني البباوي ده :)

كانت الكتب الابائية عزيزة اوي، كان فيه كتاب تجسد الكلمة لاثناسيوس ترجمة كاهن مش فاكر اسمه، وكتاب اعترافات اغسطينوس، وقلة من نبذات كنيسة مارجرجس اللي كان بيشرف عليها الاب تادرس ملطي، ديه كانت الترجمات المباشرة للنصوص (الباقي كان اقتباسات تأملية او تفسيرية بعضها حتى غير ممصدر)، او يمكن ده اللي اتيح ليا!، وبحكم اني اتربيت في مدارس لغات للراهبات وللرهبان، كانت لغتي الانجليزية والفرنسية ممتازة، فكنت بقول لأي صديق مسافر مع والده لامريكا او اوروبا يجيبلي معاه اجزاء من ANF و NPNF و les sources chretiennes وكان عندي اصدقاء مدرسة فعلا

بيتفسحوا في الدول ديه (فترة الثانوية بالذات اتعرفت على الطبقة المجتمعية ديه) ... كنت شاب صغير في كلية هندسة، وكنت متشوق جدا اعمل ردود أكاديمية ابائية على اخطاء متى المسكين وجورج بباوي

وفعلا جاتلي الكتب على فترات، وربنا يعلم كنت بجيب تمنهم منين (مش هدخلكم في تفاصيل شخصية متقلقوش)! وابتديت فعلا افحتهم قراية اسطر واعلم وافهرس ارقم وابوب، وافتكر اني خلصت حوالي اكتر من نص مكتبة الANF في كام شهر اول مستلمتهم كانوا بالنسبة لي كنز ملهوش تمن! ... الغريب اني كنت بقرا الاباء، ومقريتش للي عايز ارد عليهم، كنت معتمد اني قريت اقتباسات البابا شنودة عنهم والمطران وان ده كافي ... وبعد حوالي سنة، خلصت فيها نص الموسوعة الانجليزية (لان مش كل اجزاءها كانت لاباء معتبرين) وخلصت كتب كتير جدا من الموسوعة الفرنسية، وافتكر اني كنت بلاقي كلام بيصدم تعاليم مسلماتي بالبابا والمطران !! بس كانت عندي قناعة اني جاهز، فاضل بس امسك تعاليم كتب المسكين وافصفصها، وابتديت بكتاب المعمودية، وانتهيت منه وملقتش اي اختلاف ابائي، بعدها العنصرة، بعدها بولس، بعدها حياة الصلاة (بعتذر لو الذاكرة خايناني ف الترتيب)! ...

قلت اخد كتب تانية، قريت تاني وتالت ورابع، ملقتش اي نصوص فيها مشكلة، مسكت كتب البابا اللي كان بقالي سنتين او اكتر منقطع عنها هي وكتب المطران عشان استرجع الاعتراضات (كنت بقول لنفسي انت اللي مش شايف السم ف

العسل!)، وبعد كام صفحة حسيت ان فيه جبل بيتحط على دماغي، اعتراضاتهم عليه هي اللي مخالفة للاباء !!! ازاي ؟ ... وانا فاكر كم غضبي وقتها، وضيق نفسي واحساسي بالعجز، بس قلت يمكن الاب متى المسكين اب رهبنة مختبر مش سهل يتمسك عليه غلطة، قلت أشوف جورج بباوي المهرطق الأكبر، وكانت الصدمة بعد ما قريت في حوالي سنة تانية كتبه (اللي كانت متاحة اونلاين وكان ابتدا النت يرخص)، ان جورج بباوي كان اكثر تطابق مع الاباء من متى المسكين!!! لدرجة اني كان ممكن ارصد اختلافات ابائية مع المسكين بس شبه مستحيل مع بباوي .. وكان كل كتاب بقراه قلم بيخبطنى وبينزل على وشي يقول فوق من عتهك!!

فتحت كتب الاباء تاني بغيرة أكبر، قعدت اقارن فهرستي وحواشيا وورقي المضاف وتسطيري الكتيير في المواضيع اللاهوتية مع تعاليم متى المسكين وبباوى بالبابا والمطران وكنت بستغرب جدااا ازاي البابا والمطران بيعترضوا على نصوص ابائية صريحة وفكر كامل في كتاباتهم، وعلم بيها المسكين وبباوي، ازاي كنت جاهل كده وكنت بأيد حد عمياني؟!!! ازاي كأرثوذوكسي عمري ما فكرت ان مرجعيتي لازم تكون ابائية... هل مكنوش يعرفوا ؟ مقروش ؟ طيب مراجعوش مراجعهم في الريفيرنسز ؟ تألهنا واقع ابائي، تأله ناسوت المسيح نصوص آبائية، شركتنا في الحياة الالهية، سكنى الروح مش مجرد مواهبه، مجد المسيح، رفض الابدال العقابي ... وغيرها ... ابتديت اشوف صورة اكبر وانا براها مش مع حد ولا ضد حد ....وهنا قررت، لازم احدد انا

مع مين، لازم يبقى عندي الفصل واضح مين صح ومين مخطئ هينفعش اكون لا حار ولا بارد ..... وقررت اقف في صف الاباء القديسين ! ... ومنها ابتدت صفحة مختلفة تماما في فهمي لنقاوة الارثوذكسية

نصيحتي ليك، اقرا للاباء وقارنهم بتعاليم اي حد، شوف مين في صفهم ومين بيخالفهم، متاخدش كلام اي حد ثقة، قرر مرجعيتك الارثوذوكسية للاباء القديسين، ولا لمطران ولبطريرك ولكاهن ولا لمسكين ولا لبباوي ولغيرهم، حط معيارك واقرا للي اعتبرتهم مازورتك الأرثوذكسية، ووقتها ستاير كتير اوي هتتفتح، (انت موقفك دلوقتي اسهل عندك مراكز متخصصة للترجمة العربي باسعار زهيدة ومئات الترجمات pdf) لو مازورتك الأرثوذكسية مش هي التقليد، يبقى ربنا يعينك على نفسك، وفي اي اختيار: ربنا ينور عينيك

شهادات قصيرة

شهادة الباحث في علم الآباء

يسري صموئيل عازر

نموذج لبدع البابا

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم "إن كان أحد ينحرف عن الإيمان لا يكون له ثبات، فيسبح هنا وهناك حتى يفقد نفسه في الأعماق"

وللأسف فالبابا شنودة انحرف بالكنيسة عن اورثوذكسيتها وأضرها ضررًا بالغًا يحتاج إلى سنوات لعلاجه.. ومنها أذكر في نقاط بسيطة.

+ هو صاحب العبارة النسطورية التي تقول أن ربنا يسوع المسيح له المجد لم يقل [خذوا كلوا هذا هو لاهوتي بل هذا هو جسدي].

وهذا ما ردده نسطوريوس "بطريرك القسطنطينية من 428 م إلى 431 م." والنسطورية بدعة أنكرت ألوهية المسيح وأدخلت الشرك بالله.

- رفض البابا شنودة الاتحاد بين اللاهوت والإنسانيه فقال نصا "بأن كلمة لاهوت خاصة بالطبيعة الإلهية"

= رفض الاتحاد الاقنومي.. فرفض كون الافخارستيا -سر التناول- هي عطاء لاهوت وحياة الله.. وأن الروح القدس يسكن فينا باقنومه وادعى عطيه مواهب الروح دون الروح نفسه..

وفصل اللاهوت عن الناسوت بالادعاء بأن اللاهوت لا يؤكل لكي يبقي الذي يؤكل هو الناسوت وحده، فأضاع سر الشكر

وتشدد ليغير القانون الاكليريكي.. متمسكا بلفظ ادعى أنه آية في الكتاب وهو ليس بآية "لا طلاق إلا لعلة الزنا". مما أدى إلى خراب الأسر القبطية واصطدامها بالكنيسة وبإيمانها واكليروسها وانفصال الكثيرين إلى ديانات وطوائف أخرى.. والكثير منهم متمسكون ولكن كقنبلة مستعدة للانفجار

وأضاع الكهنوت إذ كتب عن مفهوم اختلقه وهو عصمة الكهنوت في كتاب له.. وهو ينظم للعلاقه بين الاكليروس والشعب ليست على مستوى الخدمة ولا الأبوة ولكن الهيبة فقال نصا "ينبغي على الشعب أن يهاب الكاهن وعلى الكاهن أن يهاب أسقفه وعلى الأسقف أن يهاب بطركه".

فسقط الاكليروس ورفضه الشعب وضاعت النعمة وروح التقوى القبطية..

وحارب الانبا شنوده كل أبناء الكنيسة النابهين والمتقدمين في الدراسة والمعرفة مبتدئا من انبا اغريغوريوس إلى انبا صموئيل إلى انبا يؤنس اسقف الغربية وغيرهم

وناطح بقوة الأب متى المسكين وكل رهبان دير انبا مقار.. وحجم كل الرهبان الدارسين وجنبهم عن الخدمة وحارب مركز دراسات الآباء وباحثيه ومنعهم من التدريس بالمعاهد والكليات اللاهوتية. وافترس منهم بطرق شتى من استطاع ..

الانبا شنودة حركة لربما بدأت حسنة وبغيرة وانتهت بانحرافها إلى تمزيق الكنيسة والإيمان ..

الرب يرحم نفسه .. نحن نصلي من أجله ..

الشنودين والسيمونية

شهادة الباحث رفعت ريد

أدخل البابا شنوده الثاني السيمونية (السيمونية هي نيل أي درجة كهنوتية عن غير استحقاق عن طريق الرشوة، وهي نسبة إلى سيمون الساحر الذي لما رأي أنه بوضع أيدي الرسل يعطي الروح القدس قدم لهما (لبطرس ويوحنا الرسولين) دراهم قائلًا (أعطياني أنا أيضا هذا السلطان حتى أي من وضعت عليه يدي يقبل الروح القدس) فقال له بطرس (لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا الأمر لأن قلبك ليس مستقيمًا أمام الله) (سفر أعمال الرسل الاصحاح 8:18-21).في الكنيسه وضُرب به المثل في هذا حتى انه لم يكن يضع يده على احد الا وأخذ منه مالا" كان محبا للمال وحاد الطباع

ثم جاء خليفته البابا شنوده الثالث وأسس السيمونية المعاصرة

لم يكن يحتاج إلى المال لأنه بذكاء وبسبب كاريزمته التي لا تُقاوم تدفقت الأموال على الكنيسة

ولكنه أدخل سيمونية من نوع جديد هي سيمونية المطانيات والولاء والطاعة العمياء والخضوع والخنوع والانبطاح للقائد

فانبطح تحت أقدامه الرهبان فصاروا اساقفة يختارهم بعناية بمدي ولاءهم له حتى ولو كانوا غير مؤهلين

ثم انبطح للاساقفة الخدام فصاروا كهنة حتى ولو كانوا غير مؤهلين

ثم انبطح الشعب للكهنة فاختاروا منهم شمامسة وأمناء خدمة حتى ولو كانوا غير مؤهلين

وصار الولاء والانبطاح والمطانيات "السجود" والطاعة العمياء هي الرشوة التي تقدمها لكي تصل إلى الكهانة

هذه هي السيمونيه المستحدثة وهي سيمونيه بلا رشوه أموال، سيمونية تتسم بالمكر والدهاء، سيمونية تناسب عصرا لا تحكمه القيم، سيمونية تستمد قوتها من ابليس، سيمونية ذات منهج منحط لا تقل حقاره عن سيمونية الأموال، لقد عانينا ونعاني وسنعاني من مخلفات هذه السيمونية
ولسخرية القدر فان التاريخ سجل سعي الاثنين للكرسي البابوي

شهادة الدكتور مجدي جرجس استاذ التاريخ بالجامعة الامريكية بالقاهرة

رمي الكنيسة في حضن الدولة وعزل الأقباط عن المجتمع "كيف تقرا تاريخ الكنيسة في عصر البابا شنودة مثلا؟"

يمكن أن أقدم قراءة لهذه الفترة من خلال كتاب مهم جدا هو" القرارات المجمعية للكنيسة القبطية في عصر البابا شنودة "الذى اصدره المجمع المقدس للكنيسة هذا الكتاب يقدم فترتين مختلفتين الاولي من عام 1970 إلى 1980 والثانية من 1985 إلى 2012 ومن خلالها تدرك ان البابا شنودة اعاد تاسيس الطائفة والكنيسة المجالس المختلفة لفرض السلطة المطلقة للبطريرك وحتى لاتتكرر واقعة 1981 اي موافقة بعض رجال الكنيسة على ادارة الكنيسة والبطرك لازال حيا .فاعاد تشكيل المجمع باساقفة صغار وقرر رسامة اعضاء المجلس المللي شمامسة ليكون في ادني السلم الكنسي وبعد صراع مع السلطة في عصر السادات أصبح جزء من السلطة وروج لخطابها في عصر مبارك وتبنى المجمع المقدس بيانات اعادة انتخاب مبارك وحصر مطالب الأقباط في مطلبين بناء الكنائس والحصول على وظائف وقد رمي الكنيسة في حضن الدولة وعزل الاقباط عن المجتمع بدافع الحماية ولفرض السلطة الكاملة عليهم .وعلي مستوي التعليم فان كل كليات اللاهوت في العالم تدرس تعاليم اباء الكنيسة المصرية مثل اثناسيوس وكيرلس وعامود الدين وكليات مصر تدرس كتب البابا!!

الباحث اللاهوتي روبير ايليا يجيب عن سؤال أين تكمن الاختلافات بين منهج الأب متى المسكين والبابا شنودة؟

يمكن تلخيص الاختلاف فى نقطة واحدة بسيطة وهي: التقليدية، الأب متى المسكين كان أمينًا جدًا فى بحثه عن التقليد، ولاحظ أن الظروف فى بداية حياة الأب متى لم تكن تساعد على ذلك، كانت المراجع الآبائية فى غاية الندرة، إن وجدت، ولم يكن يوجد أى شخص قائم على توفيرها أو تنظيم البحث عنها وفيها، وفى وسط كل هذا ترهبن الأب متى وأنتج كتابَ «حياة الصلاة الأرثوذكسية»، الذى كان ولا يزال وسيظل من علامات الروحانية الشرقية الأرثوذكسية، كتاب يلخّص سيرة الأب متى فى انطلاقه للاهوت من الصلاة والحب الإلهى وأقوال الآباء.

على الناحية الأخرى، يبدو لنا جيدًا أن ذات الظروف التى أنتجت شخصًا كالأب متى يخطئ مرة فيصحح مساره ويصيب مرات.. تخرج لنا أيضًا الأنبا شنودة الثالث. فخرجت لنا كتاباته بعيدة عن التقليد ولا تعتد به.

ولهذا كان الصدام محتمًا، بين سلطة لا تعترف بالتقليد، تشوه الليتورجيا -العبادة - والطقس الكنسى والرهبانى، وتحرم لاهوتيى الكنيسة القلائل، وبين روحانية تتفتح فى وادى النطرون مستعيدة الحلة القديمة للقديس أبومقار لابس الروح.

الفصل الثاني

التحديق في شمس البابا شنودة

عقل القبطي المدافع باستمرار عن رجال الدين لا يدرك الفرق بين الإدانة والنقد للإصلاح.

كيف رفض المسيح إدانة المرأة الخاطئة وشن الويلات على رجال الدين؟

من حين لآخر أجد رسائل على التليفون أو على صفحتي بالفيسبوك تكيل لي الشتائم لأني أنتقد البابا أو بعض الأساقفة من رجال الدين المسيحي. وإلى جانب الشتائم التي تحمل تبرير الغيرة المقدسة على رجال الله، ولو بأسلوب بعيد جدًا عن القداسة، أجد من يكتب لي واعظًا ويذكرني بما جاء على لسان السيد المسيح: "لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا" وآية أخرى تقول: "رئيس شعبك لا تقل فيه سوءًا". وبين المفهوم القاصر على الإدانة أو الإساءة قامت الكنيسة بعملية تكميم العقل القبطي، بحيث يخلط بين إدانة الشخص على الخطايا الفردية وتوجيه النقد لتحقيق الإصلاح العام، وخصوصًا عندما يحتل هذا الشخص موقعًا عامًا، فيتحول إلى قدوة فعلية. وهناك عدة أدلة على تفريق الكتاب المقدس وأعمال السيد المسيح بين النقد العام والإدانة بمعنى المحاكمة، وأصدر حكمًا على الخطيئة الفردية. فالسيد المسيح الذي رفض إدانة المرأة الزانية، والتي قبض عليها في ذات الفعل رغم كونه الديان، إلا أنه هو الذي قام بأكبر عملية نقد عام ضد رجال الدين في عصره، والذين كانوا يعرفون بـ"الكتبة والفريسين"، وهي الويلات الشهيرة، والتي جاء فيها "لكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ

تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ، فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ، ولِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ لِتَكْسَبُوا دَخِيلًا وَاحِدًا، وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ابْنًا لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفًا. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الْقَائِلُونَ: مَنْ حَلَفَ بِالْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِذَهَبِ الْهَيْكَلِ يَلْتَزِمُ. أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّمَا أَعْظَمُ: أَلذَّهَبُ أَمِ الْهَيْكَلُ الَّذِي يُقَدِّسُ الذَّهَبَ؟..وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالشِّبِثَّ وَالْكَمُّونَ، وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ: الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالإِيمَانَ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ. أَيُّهَا الْقَادَةُ الْعُمْيَانُ! الَّذِينَ يُصَفُّونَ عَنِ الْبَعُوضَةِ وَيَبْلَعُونَ الْجَمَلَ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِل مَمْلُوآنِ اخْتِطَافًا وَدَعَارَةً.. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُورًا مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِل مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ. هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا: مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَارًا، وَلكِنَّكُمْ مِنْ دَاخِل مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْمًا". إنجيل متى 23.

وقد حدد المسيح بذلك الأمراض التي تصيب كل رجال الدين، ووصف هيرودس رئيس الشعب المدني بالثعلب، أليست هذه إساءة؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد منهج الكتاب المقدس واضحًا في ذكر خطايا الأنبياء أنفسهم، ليعطي

للقارئ رجاءً في التوبة، وأيضًا ليثبت أن المسيح وحده بلا خطيئة. والغريب أن العقل القبطي الذي يعتبر أن النقد إدانة، إذا همَّ بقراءة كتب تاريخ الكنيسة سوف يجد نقدًا واضحًا وفاضحًا للبطاركة، فلا تاريخ مقدس ولا أشخاص مقدسون. وعلى سبيل المثال ذكر تاريخ الكنيسة رجال الدين الذين هرطقوا وخالفوا الإيمان السليم، مثل أريوس ونسطور وأطاخي ومكدونيوس وغيرهم الكثير، وأيضًا من كانوا يبيعون الرتب الكهنوتية مقابل أموال مثل البطريرك شنودة الأول وكيرلس الثالث وثيوفانس وغيرهم، والأمثلة والصفحات لا تُحصى، ولم يقل أحد لكتبة هذه الكتب هذه إدانة وإساءة لرئيس الشعب. إن توظيف الآيات بهذه الطريقة جعل الأقباط أنفسهم يقاومون أي محاولة لإصلاح الكنيسة، وجعل الكنيسة تطمئن جدًا أن هناك من يدافع عن رجالها في كل الأحوال بضراوة رهيبة وبلا فهم. وطوبى لمن يفهم!

مدخل ثانٍ

الإخوة الأقباط.. لا تتباكوا على إسلام البحيري

لماذا لم يتضامن الأقباط مع متى المسكين وجورج بباوي؟

من بين الفئات المتضامنة بقوة مع المفكر الباحث إسلام البحيري، تجد الأقباط يحتلون مركزًا متقدمًا في الدفاع عن حرية الفكر والبحث والتنقيب، والنبش في التراث ونزع القداسة عن التاريخ والموروث، وهذا التضامن الكبير الواسع المتعدد الأشكال بدأ من بوستات الفيسبوك ودمج المقالات والبكاء على الحريات.

تجده يتكرر بشكل أو بآخر في الدفاع عن الكاتب المفكر سيد القمني أو الدكتور خالد منتصر وغيرهما، من الكُتاب الكبار الذين يشنون حملات فكرية على التراث الإسلامي بكل ما فيه من أمور تحتاج إلى تجديد وتحديث وتنقية.

إلا أن المضحك المبكي، والأمر الذي يكشف عن طائفية مقيتة متأصلة في النفوس، نتيجة لعصور متتالية من الاضطهاد والعزلة والتميز في المجتمع المصري، أن هؤلاء الأقباط أنفسهم وبذات البوستات والتويتات والمقالات. لا يقبلون من قريب أو بعيد من يمس كتبهم التراثية وأفكارهم البالية وتاريخهم المقدس وقصصهم الضعيفة وشخصياتهم الدينية.

فهم يعشقون -بأثر نفسي واضح- التنقيب والبحث في التراث الإسلامي، ويرفضون بقوة أن يحدث ذلك معهم، وهو عار

حقيقي أن يشجع المرء حرية الفكر فيما يخص غيره ويرفضها على ما يخصه.

أكتب هذا وفي نفسي مرارة حقيقية تمتد لأكثر من 15 عامًا، تحمَّلت فيها تغطية الملف القبطي والكنسي بالعديد من الصحف والإصدارات، ووجدت من الكثير من الأقباط هجومًا يتراوح مداه حسب الموضوعات المنشورة، وحسب فهم المتلقي الذي أحيانًا لا يتجاوز عنوان الموضوع، لتجد سيلًا من الإهانات والشتائم، بل وتكفيرك باعتبارك غير أرثوذكسي وتنتمي لطائفة أخرى، وهدفك تشويه الكنيسة والآباء العظماء، وتحمل في ذاتك مؤامرة كونية ضد الأقباط.

هذا إذا كان الموضوع المطروح يحمل نقدًا ووقائع مثبتة بالمستندات والبيانات، أما إذا كان الموضوع إيجابيًا ويشيد بعمل مهم للكنيسة، فلا تعليق ولا حس ولا خبر ولا شكر.

ولعله من الممكن أن نذكر الأقباط المدافعين عن حرية التفكير بالزيف، برد فعلهم العنيف ضد رواية عزازيل ليوسف زيدان، هذه الرواية التي نبشت عن وقائع تاريخية ونزعت القداسة عن التاريخ الكنسي، وكشفت دور الكنيسة في مقتل الفيلسوفة هيباتيا، وهي في الأول والآخر رواية. فثارت ضدها الكنيسة والأقباط ثورة عارمة، وعندما نشرتُ حقيقة الواقعة من خلال كتب الكنيسة نفسها والتي لم تخفِ الأثر أو الدوار والصراع أخذت نصيبي من الهجوم.

وأذكر الأقباط المتضامنين مع الباحث الذي فتش في كتب التاريخ، ولكن ليس كتبهم، برد فعلهم العنيف ضد الفيلم الرائع "بحب السيما" الذي كشف عن وجود تطرف أصولي مسيحي بين المسيحية ذاتها، فاعتبر الأقباط هذا تشويهًا وإهانة لهم. ويا للهول اعتبروا أن تقديم نموذج لزوجة قبطية خائنة لهو إسقاط يقع على كل الزوجات المسيحيات! مع أن الكتاب المقدس ذكر نماذج للزانيات ولم ينسحب هذا الإسقاط على بقية النساء بالكتاب، ومثال على ذلك شخصية رحاب الزانية.

وأذكر الأقباط الذين يطالبون بحرية الفكر، بموقفهم ضد كتابات الأب اللاهوتي الكبير متى المسكين، والذي تعده دوائر اللاهوت في العالم من الرواد. هل نسي الأقباط أن هناك أسقفًا جمع كتب الأب متى وحرقها في حوش الكنيسة؟! المضحك أن معظم هؤلاء الأقباط لم يقرؤوا حرفًا للأب متى، بل يسيرون في ركب المجمع المقدسات وآراء البابا شنودة الثالث، ويتجاهلون الخلافات الشخصية بينهما. ونفس الأمر ينطبق على اللاهوتي الكبير الدكتور جورج بباوي عميد كلية أنديانا الأرثوذكسية وغيرهما.

إن الأقباط الذين يبكون على فكر البحيري ومنعه، لم يصدر منهم صوت يلوم منع المجمع المقدس للكنيسة لكتب الدكتور جورج، أو منع معرض الكتاب القبطي لكتب الأب متى المسكين، هي الكتب التي تكشف عن الكثير من الحقائق التي تضرب مُسلّمات يعيش فيها الأقباط بلا فهم أو تعقُّل.

لماذا تذرفون دموع التماسيح على إسلام البحيري، وأنتم شركاء للسلفيين في فكرهم وفعلهم، وتركنون معهم في نفس جحرهم المتربص بكل فكر جديد أو نزع الغطاء عن وقائع تاريخية أو شخصيات تعطونها حُلّة القداسة وتعتبرونها رموزًا بلا خطأ أو خطايا، في حين أن البشر جميعًا بلا عصمة؟!

يا لسخرية القدر على أنصار حرية الفكر! أذكر عندما انفردت بنشر موضوع عن إصابة البابا شنودة بالسرطان في مجلة روزاليوسف عام 2009، هجمت على ألسنة الأقباط الطاهرة بالشتائم القذرة من كل صوب وحدب، والمضحك الهزلي أنه عندما تأكد الجميع من حقيقة الانفراد بعد رحيل البابا، اعتبر الأقباط أن هذا المرض يؤكد قداسة البابا شنودة، وكيف كان يخدم وهو متألم، وأضافوا بذلك عظمة على عظمته.

لا تتباكوا على البحيري: "بصراحة شكلكم وحش قوي". ويبقى أن السلفيين يعتبرون تضامن الأقباط مع إسلام من الأمور التي تؤكد عداوته للإسلام وترحيب أعداء الإسلام به.

مدخل أخير

ثلاث أساطير تشكل العقل القبطي الأصولي

لماذا يعتقد أغلبية الأقباط أن الرهبنة أفضل من الزواج؟

كيف مات 5 أقباط دهسًا بالأقدام في مدفن البابا شنودة؟

هناك عدد من المحاور أسطورية الأساس، تُغذِّي العقل القبطي الأصولي وتساهم في تكوينه وتشكيله، فتخلق حالة من الخنوع والرضوخ، وتجعل من مجرد طرح السؤال جريمة غير مقبولة عند أغلبيتهم. وتقودهم لرفض الإبداع والفن وثقافة الحياة. وفي هذا المقال أرصد ثلاث أساطير مهيمنة بصورة كبيرة وسائدة في الفكر الأعم للأقباط، وهي:

أولًا: الرهبنة أفضل من الزواج

فكرة أن الرهبنة أفضل من الزواج زرعها بطاركة وأساقفة الكنيسة في عقول الأقباط، حيث ضخَّموا دور ومكانة وكرامة الرهبنة بصورة فائقة ومستفزة. وتدعيمًا لذلك لا نجد أسماء من القديسين المتزوجين ضمن مجمع القديسين، الذين تُتلى أسماؤهم في صلاة القداس. وتم تكريس صورة الراهب باعتباره ملاكًا يعيش على الأرض، كما في مناهج مدارس الأحد التي تُعلِّم أطفال الأقباط ذلك الأمر، الذي يحمل تحقيرًا ضمنيًا للزواج.

والمفارقة نجد أن الزواج هو أحد أسرار الكنيسة السبعة، في حين أن الرهبنة حركة اجتهادية تحمل مخالفة واضحة لوصية البركة الأولى، التي أعطاها الله لخليقته، حيث جاء بالكتاب المقدس: "وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ". (سفر التكوين 1: 28).

ثانيًا: القرعة الهيكلية (اختيار السماء)

حماية كبيرة يحظى بها منصب بطريرك الكنيسة القبطية، والحجة أنن الحماية تأتي من خدعة تسمى "القرعة الهيكلية"، وهي عادة وثنية، حيث توضع أسماء ثلاثة أشخاص، وتُغمَّى عين طفل صغير لاختيار ورقة منها، ليكون الاسم هو اسم البطريرك. على اعتبار أن السماء اختارته، وهذا الاختيار الإلهي يأتي بعد حصر الأسماء بين ثلاثة أسماء فقط. وكان الأنبا غريغوريوس الأسقف اللاهوتي والعلامة الكبير يتندر على لعبة "الثلاث ورقات" هذه، ويقول لماذا لا نضع ورقة رابعة بيضاء، فلعل السماء تختارها وتعلن رفض المرشحين الثلاثة؟

وفي العصر الحديث ظهر تلاعب الدولة الكبير في اختيار المرشحين للمنصب، حيث أكد الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل في كتابه "خريف الغضب"، انحياز السادات للبابا شنودة وتبليغه وزير داخليته ممدوح سالم بذلك. وفي اختيار البطريرك تواضروس تلميذ القائمقام الأنبا باخوميوس مطران البحيرة، يكشف الفيديو قيامه بوضع يد الطفل المغمَّى على الكرة التي

تحمل اسم تلميذه. وعند الاعتراض على أي قرار للبابا تجد القبطي المسكين يصرخ "إنه اختيار السماء!".

ثالثًا: تجارة الخرافات

هناك حالة خلط واضحة في العقل القبطي، بين المعجزة وما تحمله من معانٍ إيمانية كبرى، والخرافات التي أصبحت تجارة رائجة تستنزف جيب القبطي، من خلال كتب ضعيفة ومزارات بلا حصر. ويظهر أثر هذا الفكر الخرافي وتغلغله عندما مات 5 أقباط دهسًا تحت الأقدام، للحصول على بركة جسد البابا شنودة الثالث، في اليوم الثاني لوفاته، ودفنه بدير الأنبا بيشوي بوادي النطرون. هذا التزاحم لم يحدث قط على تناول جسد المسيح في صلاة القداس، وهو الأمر الذي يعد أكبر معجزة مستمرة في الإيمان المسيحي. يتواكب ذلك مع إصدار مئات الكتب بلا رقيب، تحمل عناوين المعجزات، لتنطلق بالقبطي المظلوم من آلام الواقع القاسي إلى براحة السماء والإعجاز.

"البابا قال..."

العظة الشنودية والخطاب المسيحي

ارتباط الأقباط بعظة البابا شنودة يعود إلى ستينيات القرن الماضي، الذي جذب السامعين على مدى 40 عامًا، وقد بدأ منذ 1964 في قاعة صغيرة في الكنيسة المرقسية بالأزبكية، بمستمعين من الشباب الذين أخبروا العائلات بهذا الأسقف، المتكلم بعظات مختلفة، تخلو من المحسنات البديعية والسجع. بدأ اجتماع الأنبا شنودة منذ أن أصبح أسقفًا، وقد استمر هذا الاجتماع الأسبوعي بعد اعتلائه الكرسي البابوي عام 1971، ليكون أول بطريرك يجتمع بشكل مباشر مع الشعب أسبوعيًا. وكان الاجتماع يُعقَد يوم الجمعة حتى عام 1985، حتى أصبح يعقد يوم الأربعاء تقليدًا لبابا الفاتيكان. وكان الاجتماع يبدأ بصلاة قصيرة، يليها فقرة الرد على الأسئلة والشكاوى، التي كان يرسلها الشعب بشكل مباشر للبابا، ثم العظة الدينية. كما كان الاجتماع منبرًا للبابا شنودة، لإرسال الرسائل التي يريد أن تصل للرأي العام بخصوص الأحداث التي يتعرض لها الأقباط، سواء بالتعليق أو التلميح أو التجاهل. وبدأ الأقباط يعتبرون يوم الجمعة (موعد العظة قبل أن يتحول إلى الأربعاء) موعد يوم منتظر مع التعليم والفكاهة، وأيضًا الإفتاء، فالبابا شنودة مثقف موسوعي يجيب على كل الأسئلة عقيدية واجتماعية. واعتبر الأقباط أنفسهم يعيشون بذلك عصر العلم والتعليم. وانتظم الآلاف من عائلات الأقباط في اجتماعاته، ونشطت مجموعة من الخدام أطلقت على نفسها "وسائل الإيضاح"،

تسجل العظة على شرائط كاسيت، لتبيعها فور الانتهاء منها، أو اليوم الثاني على الأكثر. وفريق ثاني يجمعها على الآلة الكاتبة ثم الكمبيوتر، ليحولها إلى ملزمة تُجمَع بمطبعة الأنبا رويس وتصدر في كتاب. وكان يجيب على أسئلة الحضور، وتصدر في سلسلة كتب "سنوات مع أسئلة الناس". إذًا كان للعظة فريق عمل متكامل، وشجع ذلك البعض لإصدار شرائط أسئلة البابا شنودة، وتأملات البابا، بل ونكت البابا، تحت عنوان "اضحك مع البابا شنودة". وحمل الاجتماع منحى سياسيًا كان أقواها عندما صدر الحكم عام 2000 ببراءة 90 من متهمي قضية الكُشح، بعد مقتل 21 قبطيًا، وبكى البابا شنودة الثالث وقال جملة واحدة "نستأنف الحكم لله". وأيضًا دموعه بعد أحداث ماسبيرو وغيرها. بل كانت تُنظِّم الرحلات من الصعيد أو الوجه البحري، وتعتبر حضور عظة البابا شنودة من أهم البرامج في هذه الرحلات. ومما يجدر ذكره أنه بالرغم من مشغوليات البابوية فقد استمر البابا شنودة في إلقاء عظته الأسبوعية، وكان قداسته يرتب موعد عودته من الخارج في ميعاد يتناسب مع إلقاء العظة، بما تمثله من معنى وطني وسياسي وروحي، في لقاء الشعب القبطي مع باباه، في محاضرة عامة، ينهلون من المنابع الروحية ويجيب على أسئلتهم واستفساراتهم التي يبعثونها إليه. ولم يحدث أن اعتذر عن هذا اللقاء إلا إذا كانت ظروفًا قهرية. وعدد الأقباط الذين واظبوا على حضور هذا الاجتماع كان يتراوح ما بين 6 - 10 آلاف شخص، يتعلمون فيها أمور كتابهم المقدس وطقوس الكنيسة والسلوك المسيحي. وقد نقلت

عظاته على أشرطة كاسيت للتسجيل وبعضها على شرائط فيديو، ثم سجلت على CD وبلغ عدد العظات أكثر من 1500 عظة. إذًا كان هذا الاجتماع نافذة لرأس الكنيسة وللأقباط، وكانت تنتظره الصحافة وترصده وتعطيه مساحة وافرة للنشر.

وهنا السؤال: إن كان هناك بالفعل آلاف من العظات والخطب الدينية المتوافرة على السيديهات والمواقع، وما زالت القنوات الفضائية تعيد خطب البابا شنودة، فما هي فائدة الخطب الجديدة؟ ونجد الإجابة في حرص البابا فرنسيس على المقابلة العامة مساء كل أربعاء في الفاتيكان، وعظته 20 دقيقة، والتي يحرص نحو 200 ألف على حضورها من مختلف أنحاء العالم والإنصات لها. تؤكد أن هناك فائدة ما زالت كائنة في العظات، إذا كانت هي تحمل الجديد وتقدم ما يهم الإنسان. وإن المشكلة ليست في الأسلوب التلقيني الذي تُلقى به المحاضرات والندوات والمؤتمرات، ولكن المهم هو الأسلوب الذي يُلقى به، والطريقة التي يستثار بها المستمع. والأهم المضمون ومدى التجديد فيه. ويبقى حاجة الخطاب المسيحي إلى التطوير، حيث يحتاج الخطاب المسيحي إلى الواقعية في مناقشة القضايا التي يعالجها، بحيث يلمس القضايا التي يتعامل معها الإنسان بالفعل. بحيث لا يفصله في الكنيسة عن المجتمع الذي يعيش فيه خارجه، مما يجعل المسيحيين في حالة عزلة عن مشكلات أوطانهم ومجتمعاتهم، الأمر الذي يؤثر كثيرًا عليهم. ويجعلهم يحيون أشبه في جيتو.

يعاني الخطاب المسيحي من إعلاء الخرافة. حيث ينتشر الفكر الغيبي والقصص الساذجة بصورة كبيرة جدًا دون تدقيق ولا مراجعة، وتغيب العقل تمامًا. الأخطر هو هروب الشباب من الاستماع إلى الخطاب المسيحي، لأنه لا يقدم لهم موضوعات تهتم بقضايا حياتهم.

ثقافة البابا شنودة الإسلامية وأثرها على أقواله وعظاته

البابا شنودة الثالث. يُعد أحد علامات مصر البارزة في تاريخها المعاصر. ولا يمكن أن نتجاهل أثره الكبير على الفكر المسيحي ودوره في تشكيل العقل القبطي، وفي هذه الذكرى نجد أن من الضروري الإشارة إلى بعض الرجال الذين ساعدوا في تكوين الرجل، ووضعه في مكانته، ومنهم نيافة الأنبا ثيوفيلس رئيس دير العذراء مريم السريان بوادي النطرون، الذي رسّمه راهبًا رغم كتاباته المشاغبة ضد البابا يوساب الثاني، وحملته العنيفة ضده في مجلة مدارس الأحد. فلم يعتبره عدوًا للكنيسة ولا يعمل ضد المسيحية. وهناك البابا كيرلس السادس الذي رسّمه أسقفًا للتعليم، وانقلب عليه شنودة، وكتب ضده عدة مقالات في مجلة الكرازة، الأمر الذي جعل البابا كيرلس يعيده للدير. وقبلهما الأب متى المسكين الذي تتلمذ على يده شنودة فترة كبرى، ووصفه وقتها بأحلى الأوصاف، ومنها "إنه لاهوتي يجود الزمن بمثله كل قرون طويلة"، قبل الانقلاب الكبير عليه

بعد وصوله للكرسي البطريركي، بل ووصفه في آخر حياته بأنه صاحب بدع حديثة. وأيضًا نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي والدراسات القبطية، واللاهوتي الكبير المتخصص في اللاهوت العقيدة، والذي ناله الكثير من غضب البابا، لأنه قَبِلَ أن يدير الكنيسة في فترة اعتقال السادات له بدير الأنبا بيشوي، وظل البابا غضبانًا عليه حتى رحيله. وليأتي البابا شنودة الثالث ويستخدم كاريزمته وبراعته في إلقاء العظات والنكات على حد سواء، ليغرق الأقباط في الوعظ التلقيني ويبعدون عن القراءة والبحث، ويصبح كلام البابا هو المسيحية ذاتها.

والبابا شنودة ذو ثقافة إسلامية كبيرة، وظَّفها في الكثير من المواقف لخدمة أفكاره، فعلى غرار الآية {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ}، ابتكر حكمة من عندياته تقول "على ابن الطاعة تحل البركة"، وقد وصل الأمر عند رجال الكنيسة والخدام فيها بإعلاء هذه الجملة، لاعتبارها آية مقدسة. وخجل الكثيرون منهم عندما اكتشفوا أنها ليست كذلك، وابتكار الكلمات المقدسة أمر له مكانته عند البابا، ومن ذلك جملة "لا طلاق إلا لعلة الزنا"، التي دمّرت حياة آلاف الأقباط. وأخيرًا أعلن قداسة البابا تواضروس الثاني أنها كلمة صاغها البابا شنودة وليست آية.

ومن الفقه الإسلامي اعتبر البابا شنودة أن المرأة نجسة أثناء الدورة الشهرية، وتُمنع من التناول أثناء هذه الفترة. وفي إحدى المرات سُئل البابا شنودة عن "ما ذنب المرأة في عدم التناول في

أيام دورتها الشهرية؟"، وأجاب إجابة تم توثيقها وحفظها في سلسلة كتب "سنوات مع أسئلة الناس" المطبوعة في دار نشر الأكليريكية القبطية.

تنص الإجابة:

"إن الدورة الشهرية هي ذكرى سقوط المرأة، وخطيتها الأولى بالأكل من الشجرة، وتركها الله في جسدها حتى تتذكر الخطية الأولى في أوقات الحبل بآلام الحمل، وفي غير أوقات الحمل بالدورة الشهرية وبامتناعها عن كل المقدسات". ولم يقل أحد من الآباء القديسين بالكنيسة أبدًا أن المسيح يترك جزءًا من الخطية فينا للذكرى. ومصدر البابا في ذلك هو "الطبري" في كتابه "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" الجزء ١، ص٢٣٧. يقول إن المرأة في حادثة سقوط آدم وحواء من الجنة أكلت من الشجرة، فأصابتها دماء عادتها الشهرية.

و"القرطبي" في كتابه "الجامع لأحكام القرآن" جزء ١، ص ٣١٣، يذكر نفس الحادثة، ويؤكِّد أن الدورة الشهرية هي ذكرى للمرأة عن أكلها من الشجرة المحرمة.

الأنبا شنودة كان يفتخر أنه يمتلك مكتبة "لا توجد عند باحث إسلامي"، وهذا شيء في ذاته جميل، ولكن أن يستمد بطرك الكنيسة أفكاره من الطبري والقرطبي، فهذا لا يتفق مع الفكر المسيحي.

وفي خلافه مع الأب متى المسكين حول موضوع حسمه آباء الكنيسة منذ سنوات، وهو فكرة تأليه الإنسان في المسيحية،

استخدم البابا شنودة العقيدة الإسلامية ليحارب الباحث الكبير، معتبرًا أن الأمر -كما في الإسلام- شرك بالله، رغم أن الأمر لا علاقة له بالاشتراك في أبدية الله أو أزليته، حاشا، بل في صفات النور معه. كما رفض البابا الصلاة على الموتى الذين اختلفوا معه، ومنهم الأب القس إبراهيم عبد السيد، وهذا أمر مصدره أيضًا إسلامي، حيث لا يُصلَّى على الكافر.

لقد حارب البابا بكل سطوته وقوة تأثيره على قطعان الأقباط كل من اختلف معه في الرأي. وللأمثلة فقط نذكر الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي، والدكتور جورج بباوي، والأنبا إيساك، والأنبا يؤانس أسقف الغربية، والدكتورة إيريس حبيب المصري، والمفكر كمال زاخر، وغيرهم الكثير. فهو الواحد الأحد والمرجع الفريد، في حين أن كتبه كلها أيضًا تأملات بلا مراجع أو إثباتات، أو هي عظات مثل خواطر الشيخ الشعراوي تحولت لكتب. والعجيب صدور عشرات الكتب التي تنسب المعجزات الوهمية للبابا، وانتشار حب المعجزات الوهمية عند الأقباط بشغف رهيب هو أمر نتيجة مباشرة لعظاته أيضًا.

منع كتب الأب متى المسكين من المشاركة في معرض الكتاب القبطي

لا جديد تحت السلطة الكهنوتية

ماذا خسرت الكنيسة والأقباط بتجاهل التراث العلمي للأب متى المسكين؟

تنظم أسقفية الشباب بالكاتدرائية الكبرى بالعباسية هذه الأيام دورة جديدة للمعرض القبطي للكتاب، وهو معرض تشارك فيه دور النشر المسيحية بمصر، وكالعادة يمنع المعرض مشاركة كتب الأب متى المسكين (1919 - 2006)، أهم علامة في اللاهوت والتفسير في العصر الحديث، على مستوى العالم المسيحي كله، والذي أثرى المكتبة المسيحية بنحو 200 كتاب ومجلد، في مختلف القضايا المسيحية المهمة، في حين أن كتب الخرافات التي تسمى بالمعجزات تحتل مكانة كبرى في مساحة المعروض من الكتب. وبهذه المناسبة يحلو لي أن أطرح أمام الكنيسة والأقباط بعضًا مما خسروه بمنع كتب الأب متى، ونشر الضبابية حولها، والادعاءات الكاذبة عن ما تحتويه، كعادة الديكتاتورية والتسلط في كل مكان وزمان. وإن كان من المهم أن نشير إلى أن البابا تواضروس الثاني فور جلوسه على الكرسي سمح بتداول كتب الأب متى المسكين، وسمح بمشاركتها في الدورة الأولى من معرض الكتاب القبطي، ولكن سريعًا ما تراجع عن قراره وخضع بلا نقاش لأعداء فكر الأب متى، والذين لم يقدموا كتابًا واحدًا بمستوى وعمق أصغر كتبه. وكشف هذا التراجع عن أن البطريرك الجديد وقتها لا ينتمي إلى مدرسة

فكرية لاهوتية محددة، وهو أمر يظهر في عظاته الضعيفة جدًا، والتي تكتفي بشرح ما هو واضح من آيات الإنجيل. الأمر الذي جعل هناك حالة من عدم الإقبال على عظاته وعدم الاستفادة منها بشيء، للذين يحضرونها من قبيل التعود. أما الأب متى المسكين فيمثل مدرسة كاملة شاملة، وتمتاز كتبه بتعدد المراجع والمصادر والقراءات، وهو أمر لا يتوفر في أي من كتب البابا شنودة الثالث، حيث تعد كتاباته تأملات فردية بلا مراجع أو مصادر، ولا تأخذ أي شكل من أشكال البحث والدراسة، بل وأغلبها هي نفس عظاته بعد تفريغها وطبعها في كتب. كما أن الأب متى المسكين تعتمد كتاباته على الباترولوجي، أو ما يعرف بعلم الآباء "Patrologia". مأخوذة من الكلمة اللاتينيّة Pater أي "أب". فعلم الباترولوجي هو العلم الذي يبحث في حياة الآباء الأولين وأعمالهم (أقوالهم وكتاباتهم) وأفكارهم. دراسة سيرة الآباء أو حياتهم أمر حيوي، يسندنا في تفهّم شخصياتهم ومعرفة الظروف المحيطة بهم، والتي من خلالها سجّلوا لنا كتاباتهم. أما أعمالهم سواء كانت أقوالهم أو كتاباتهم أو رسائلهم فهي جزء لا يتجزأ من تاريخ حياتهم.

دور علم الباترولوجي هو التأكّد من أصالة هذه الأعمال بتحقيقها علميًا، مع نشرها وترجمتها إلى اللغات الحديثة الحيّة. والجانب الرئيسي في هذا العلم هو الكشف عن فكر الآباء وعقائدهم وتعاليمهم، لا ببتر بعض فقرات من أعمالهم لتأكيد فكرة معيّنة أو عقيدة ما، بل بالأحرى بالدخول إلى روح الآباء والتعرّف على النقاط التي ركّز عليها كل أب، ودراسة آرائه على

ضوء الصراعات المعاصرة له. يلزم دراسة تعاليم كل أب وشروحاته وتعليقاته، على ضوء صوت الكنيسة الجامعة، بكونه عضوًا في الجسد الواحد. وهو علم شبه مُهمَل في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية. فالنهضة الحديثة التي بدأت بالكنيسة وقام بها عدد من رجال الدين المسيحي، ومنهم مؤسس مدارس الأحد والتربية الكنسية حبيب جرجس، والقمص مرقس داود، بالاعتماد على ترجمات لمفسرين غربيين، فترجمت كتب لكاتب لاهوتي يُدعى ماثيو هنري، ولاهوتي آخر يُدعى ماير. واعتمد الأقباط خريجو مدارس الأحد على هذه الأفكار الغربية، وتربوا عليها باعتبارها حقائق الإيمان الأرثوذكسي، لذلك عندما جاء الأب متى المسكين وفتح باب القراءة والاطلاع على مصادر علم الآباء، بما يحتويه على أسس سليمة لفكر آباء الكنيسة الكبار وتفسيراتهم وأفكارهم اللاهوتية، أحدث بذلك صدمة كبرى بين الفكر المتداول والثقافة السائدة، والفرق الكبير والضخم لكتابات آباء الكنيسة. ولأن المسؤولين في الكنيسة تربوا على الأفكار الغربية، وكشفت كتابات الأب متى عورتهم، حاربوه بكل ما أوتوا من قوة وسلطان كهنوتي، وأشاعوا ضده الإشاعات المغرضة، ووجدوا في منع كتاباته والتعتيم عليها حلًا أسهل من مواجهتها والاعتراف بأنهم ساروا في طريق خطأ، وأن كتابات الأب متى تملك المنهج الصحيح والمتكامل، كما استغلوا اللغة الراقية والأسلوب الدقيق والعمق الروحي والأدبي، الذي يكتب به الأب متى، وهو الأمر الذي جعل هناك مواصفات خاصة للقارئ الذي يستطيع القراءة له، وهنا تم الترويج لكتابات سهلة سطحية بلا

عمق ولا جديد، ولا يخرج منها القارئ بأي فائدة، وبالتالي أصبح قُرّاء الأب متى قلة مقابل أغلبية، تظن أنها تقرأ كتبًا أسعارها زهيدة أو توزع مجانًا في الاجتماعات الكنسية. فغاب المنهج الأكاديمي عن القارئ القبطي بصفة عامة، وغابت الرؤية العميقة أمام ظواهر تُمجِّد في الخرافة والقصص الشعبية والوعظ التلقيني السطحي والكتابات الفارغة. وللأسف يظل هذا الأسلوب هو المتبع أمام جدية كتابات الأب متى، التي تمنع من المشاركة في معرض الكتاب القبطي، في حين أن الفرصة متاحة وواسعة لمزيد من الكتابات التافهة. ويستمر العقل القبطي في الخسارة. وطوبى لمن يفهم.

شَعر البابا شنودة للبركة.. والعقل القبطي المهمل

وضع الأنبا صرابامون، أسقف ورئيس دير الأنبا بيشوي العامر بوادي النطرون، مجموعة من شَعر البابا شنودة الثالث داخل صندوق، تم لفه بالقطيفة الحمراء، وعرضه بمزار البابا بجوار مدفنه بالدير.

وكان شَعر البابا يسقط نتيجة إصابته بالسرطان منذ عام 2009، ويشهد المزار إقبالًا ورحلات كثيفة ومستمرة من أقباط الداخل والخارج. هذا هو الخبر المستفز، كما نشر في عدد من المواقع مصحوبًا بصورة الصندوق الحاوي للشعر. والذي يدل على مدى الانكسار الذي أصاب العقل القبطي وجعله يتعلق

بأوهام البحث عن البركة والمعجزات في أي شكل كانت. ومهما كان ذلك سببًا للضحك والسخرية، وهو أمر قديم مرتبط بثقافة شعبية تُقدِّس الأشخاص حتى النخاع، لدرجة القول "إذا كانوا تراب ميندااسوش". والغريب أن يستمر هذا القول ويتعملق في داخل أشخاص متعلمين، تقوم الكنيسة بالإحاطة والتقفيل على عقلهم وقلبهم، بمزيد من القصص الخرافية والمعجزات الوهمية والبركات الخفية، سواء أكانت شرابًا منسوبًا لقديس أو شعرًا للبابا، وكلها أمور تحاول إبهار القبطي ليقترب إلى الكنيسة أو الدير، وليس لله. ولكي يقوم برحلة للدير وما يتبع ذلك من تشغيل الكانتين والكافتيريا والمكتبات، وخصوصًا كتب المعجزات والصور والتماثيل صناعة الصين. وطبعًا المكاسب في صندوق النذور والعطايا. وأرى أن كل هذه الأمور مرجعها بالأساس وبشكل كبير إهمال السر الثامن في الكنيسة. فالكنيسة يوجد لها سبعة أسرار، والسر هنا بمعنى ممارسة الحياة المسيحية منذ ميلاد الإنسان، من خلال سبعة أسرار، هي:

1- المعمودية: وتعني تغطيس في الماء بسم الأب والابن والروح القدس إله واحد أمين، ويعرف بالتنصير أي دخول الشخص المولود في المسيحية. وزيت الميرون أي دهنه بزيت مقدس لتحصين جسده ضد الشر.

2- التوبة (الاعتراف): وهو أمر مكرر للاعتراف بالخطايا والتعهد بالإقلاع عنها.

3- الصلاة من أجل المرضى.

4- الكهنوت.

5- وطبعًا رسامة الكهنة، وهي أمر ليس للجميع.

6- الزواج لتكوين أسرة مسيحية.

7- التناول: أي الاشتراك في جسد المسيح، من خلال أكل القربان وشرب عصير الكرمة.

وهذه الأسرار اتُّفِقَ عليها لتكون عمود الكنيسة وأساس حياة المسيحي. ويلاحظ أنه لا يوجد بينها الرهبنة. فالرهبنة ليست من أسرار الكنيسة، ولكنها تخلو من أهم شيء في حياة المسيحي، وهو ما أطلق عليه السر الثامن، والمقصود به الكتاب المقدس أو الإنجيل. فكيف يمكن أن يعيش المسيحي حياته دون أن يكون الكتاب هو الأساس في كل أعماله؟! ولا أدري كيف تم إسقاط هذا الأمر العظيم، مما أدى إلى حالة إهمال كبرى للكتاب المقدس، فيوضع في البيت على سبيل البركة. ويدور المسيحي بلا سند أساسي له في دائرة البركة هذه، فيصبح هدفًا لكل ما يطلق عليه اسم البركة، لأنه فارغ من داخله من الإنجيل بكل ما يحمله من قواعد وعظات وأقوال للسيد المسيح ومزامير رائعة. بل يتحول إلى ضحية نتيجة لجهله بالكتاب، فظل كثيرون من خدام الكنيسة يظنون أن مقولة "على ابن الطاعة تحل البركة" هي إحدى الآيات الواردة بالإنجيل، وما زال كثيرون يعتبرونها كذلك لأنها تُردد كثيرًا بين الكهنة والرهبان.

وكذلك سبَّب البابا شنودة الثالث الكثير من المشكلات نتيجة لقوله "لا طلاق إلا لعلة الزنا"، واعتبرها آية من الإنجيل

بنفس هذا المنطوق، وهي ليست كذلك، لدرجة أن البابا تواضروس الثاني عندما أعلن أنه لا توجد آية بهذا النص صدم كثيرين.

إذًا فالكتاب مهمل بين الأقباط بشكل غير طبيعي، لأنه لا يحتل المساحة المقدسة في العقول والقلوب، هذه المساحة التي تحتلها المعجزات الوهمية والبركات التي تكرس جحيم الجهل الذي حذَّر منه الإنجيل، عندما ذكر "قال الجهال في قلبه ليس إله"، والإنجيل يحض على القراءة والبحث، حيث جاء فيه "فَتِّشُوا الْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي". إنجيل يوحنا 5- 39. وقال "لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك" في رسالة تساليونيكي الأولى. إصحاح 4. آية 16.

قال: "وعندما حذر الكتاب من الجري وراء هذه الأمور حيث جاء برسالة يوحنا الرسول الأولى إصحاح 4 آية 1 "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ". هذا هو الكتاب المهمل، والذي يبدو أن إهماله تم عمدًا كي يجري الأقباط وراء شعر البابا.

عندما تقتنع المرأة القبطية بنجاستها، فقط لأن البابا شنودة قال ذلك

يمثل دير أبو مقار بوادي النطرون الكنز الفكري المستنير للمسيحية في مصر، وهو تاريخيًا يعد البديل العلمي لمدرسة

الإسكندرية اللاهوتية، التي أسسها مارمرقس مبشر مصر بالمسيحية. لذلك تعد كتابات وإصدارات الدير هي النافذة المنيرة، منذ أن أعاد تأسيسه اللاهوتي الكبير العلامة الأب متى المسكين. لذلك عندما يصدر كتاب جديد عن الدير يحدث ضجيج وإزعاج لأصحاب الفكر التقليدي والثقافة القبطية السائدة، والتي تعتمد في أسسها على الوعظ التلقيني، لا القراءة والبحث. وهذا ما أحدثه صدور كتاب لراهب من دير أبو مقار يُدعى يوئيل المقاري، بعنوان "التناول والمرأة"، يطالب فيه أن لا تعتبر المرأة نجسة في فترة الدورة الشهرية، وأنه يمكنها التناول في القداس، حيث تمنع ثقافة يهودية إسلامية تغلغلت في الفكر المسيحي الأرثوذكسي تناول المرأة من القربان وعصير العنب (الذي يمثل جسد المسيح ودمه)، ووضع الراهب كل التراث الآبائي القديم والمعاصر، الذي يرفض الادعاء بنجاسة المرأة في هذه الفترة، حيث إن المسيح لمس المرأة النازفة وشفاها، ولم يُعِدّ ذلك نجاسة. ودعم كتابه بكتابات لآباء الكنيسة الكبار، ومنهم البابا كيرلس عامود الدين البطريرك رقم 24، وعدد كبير من الآباء من القرون الأولى للمسيحية، وتحديدًا قبل القرن السابع الميلادي. والمشكلة التي تقف في نظرة بعض الذكور والرهبان المسيطرين على قيادة الكنيسة للمرأة نظرة دونية، تعود للتلاقي الفكري الذي حدث بعد دخول العرب مصر، فجمعهم البيئة الصحراوية القاحلة واحتقار المرأة والإيمان بالخرافات والجن والشياطين. فأصبح الإيمان بنجاسة المرأة وقت الحيض أمر بديهي عند بعضهم. وبسبب هذا الفكر قامت

على الكتاب زوبعة وحرب ضروس. العجيب أن من قادتها امرأة رفضت أن يتم التعامل معها باعتبارها غير نجسة، وهي مذيعة في قناة لوجوس القبطية، والتي تبث لأقباط مصر في الخارج. أي أن هذه المرأة متعلمة ومفترض أنها مثقفة وإعلامية، وتعيش في الغرب، وفي نفس الوقت تدافع باستماتة عن كونها نجسة بعض أيام في الشهر، وذلك لأن البابا شنودة قال ذلك. وكان البابا لا يأتيه الباطل من الأمام أو الخلف، وأثارت المذيعة بدفاعها عن نجاسة الجنس الذي تنتمي إليه، حفيظة العالِم اللاهوتي الدكتور جرجس يوسف، فقال: أختنا المذيعة.. كيف تقبلين أن يمتهن الرجل كرامتك كامرأة، فتدافعين عن وصفه لك بالنجسة بضعة أيام كل شهر؟! كيف وأنت تعلمين ربما أنك أمّ كل حي - وهو معنى اسم حواء- وتعرفين ربما أن ما يخرج من رحمك هي بطانة تسمى علميًا الإندوميتريام، أي البطانة الحاضنة والواهبة الحياة للبويضة متى تخصَّبتِ؟ كيف تدافعين عن امتهان كرامتك ومسيحك خالقك قال فيكِ كلك جميلة يا حبيبتي ليس فيكِ عيب؟!

ولخَّص الدكتور ماجد منصور الباحث القبطي القضية قائلًا: بخصوص ما أثاره كتاب "المرأة والتناول"، فالمشكلة ليست في أن أحدًا يتوقع أن الفتيات والسيدات سينقلبن فجأة ويهملن الأمر ويتقدمن للتناول في كل الأوقات، أبدًا، بل هن في طاعتهن، وحتى وإن كان الأمر المطاع غير صحيح سيثُبن بالأكثر، ولكن المشكلة هي في الكنيسة، لأنه لا قانون مكتوب بهذا، والأمر مردود عليه لاهوتيًا ومنطقيًا وإنسانيًا، وما قيل عن أقوال

القديسين ديونسيوس وتيموثاوس هو محض آراء فردية، وليس لها صفة قانونية. والراحل الأنبا شنودة هو الذي دعم فكرة أن كل ما ينطق به البابا هو قانون ملزم، وهذا غير صحيح بالمرة ومحض جهل وخداع، وهو إذ لم يستطع الرد لاهوتيًا فألصق الأمر بهذين الأبوين، والدليل أنه هو نفسه الذي أنكر يومًا ما قاله البابا خائيل، بخصوص عدم صحة ارتقاء الأساقفة للكرسي البطريركي. وعندما واجهه البعض بالأمر موثق تاريخيًا فقال بل هذا رأي للبابا وليس بقانون. إذًا البابا شنودة تلاعب بالأمر ليفرض في كلا الأمرين ما يستفيد منه هو شخصيًا، ففي الأمر الأول راح يسخر ممن أثار الموضوع في العصر الحديث، وأراد إنصاف المرأة لاهوتيًا وطقسيًا، وأقصد القمص متى المسكين لصالح إبقاء نفسه المعلم الوحيد في جيله. وفي الأمر الثاني أراد الدفاع عن نفسه، إذ قبل الترشح للبطريركية وهو أسقف، وهو الذي دافع في شبابه عن عدم قانونية هذا الترشح، فإذا به ينقلب على ذاته دون أن يعطينا أي مبرر، وبالبلدي "يلحس كلامه" في مقالات مجلة مدارس الأحد. بدون أي تبرير أن بقاء الكنيسة في خضوع لهذا الهراء الشنودي فضيحة كبيرة.

والحل بسيط وسهل، ولن يمتهن كرامة أحد ولا فكر أحد أن تقول الكنيسة إنها تُفضِّل أن الفتيات والسيدات يمتنعن عن الأسرار كلما أمكن في أيامهن الشهرية، وكل إنسانة تحكم في النهاية لنفسها. "الكنيسة تفضل" بدلًا من "الكنيسة تلزم" ستحل الإشكال بكل بساطة.

أخيرًا أسقف ينحاز للمرأة ويتحدى الأصولية الشنودية

في ظل أزمة لاهوتية وفكرية كبيرة تمر بها الكنيسة القبطية في عدة مجالات، خرج للنور كتاب "المرأة في المسيحية" لنيافة الأنبا بفنوتيوس مطران سمالوط، والذي عاد فيه إلى موقعه الإصلاحي المهم، ليؤكد أن الاستنارة أسلوب حياة لا يتغير، هكذا كان وسوف يبقى طوال تاريخه، ومن خلال كتبه التي تسير عكس تيار الظلام والجهل. وليؤكد أننا نبحث عن الإيجابيات أيضًا ونسلط الضوء عليها ونفرح بها ونهلل لها، لأن السواد كاد أن يقتلنا. ومن هنا جاء كتابه الجديد "المرأة في المسيحية"، ليتحدى عددًا ممن أطلقوا على أنفسهم ألقابًا غريبة وعجيبة، لا علاقة لها بالمسيحية، مثل "حماة الإيمان"، واتخذوا من تزييف الحقائق طريقًا، ومن السلفية الفكرية والحياتية سدًّا منيعًا ليقفوا ضد كتابات الآباء المستنيرين. وليكون واحدًا في الرأي مع أحد شيوخ السلفية الذي يرى في الحيض فعلًا شيطانيًا. وكانت بداية تجديد قضية موقع المرأة في المسيحية. كتابًا مُهمًا أصدره الراهب الجليل يوئيل المقاري، دافع فيه من منطلق آبائي عن تناول المرأة في صلاة القداس من جسد المسيح ودمه (القربان وعصير الكرمة)، أثناء فترة الحيض، حيث -كما هو واضح- لا علاقة للتناول بهذا الأمر الذي نظمه الله الخالق في جسد المرأة. وأثار الكتاب حفيظة الجهال والذين -وياللعجب!- قادتهم امرأة تعمل مذيعة بإحدى القنوات الدينية المسيحية، ولا ترى عيبًا في اعتبار المرأة نجسة عدة أيام من الشهر. وهنا

دخل الأنبا بفنوتيوس بثقله الروحي الكبير ومكانته في الكنيسة، فقد كان نيافته أحد المرشحين لكرسي البطريرك، ليصدر هذا الكتاب المهم، وليفتح بالنور طريقًا في وسط الظلمة.

ومن القضايا التي أثارها الكتاب في الفصل الأول: العلاقات الزوجية والتناول والصوم

ففي الوقت الذي يعتقد كثير من الأقباط أنه لا يمكن أن يمارس الجنس مع زوجته ويشارك في التناول، رغم أن الزواج سر كنسي، وكذلك التناول سر كنسي، والاثنان يتدخل فيهما الروح القدس، حيث يحول الزوجين في السر الزيجي إلى جسد واحد، ويحول القربان وعصير الكرمة إلى جسد المسيح ودمه. من هنا أكد الكتاب أن العقيدة الآبائية (أي التي تنتمي فكريًا إلى آباء الكنيسة القديسين الأوائل) تنظر للعلاقة الزيجية الجسدية (ممارسة الجنس) بصورة مقدسة، تمثل الوحدة، التي هي أيقونة للاتحاد مع الله، وترى المضجع طاهرًا غير دنس ولا نجس، كما ترى الإفرازات الطبيعية من طمث واحتلام هي طبيعة خلقها الله، وما يخلقه الله غير نجس ولا دنس، ولا يمكن أن يخلق الله ما يعيق الإنسان عن الاتحاد به، أو أن يكون مصدر الاتحاد هو ذاته مصدر الفرقة.

وطرح الفصل الثاني من الكتاب السؤال المثير: هل تتناول المرأة أثناء الدورة الشهرية؟

وأكد الأنبا بفنوتيوس أن هناك فرقًا كبيرًا بالطبع بين أقوال الآباء وتعاليمهم أو رسائلهم، والقوانين الكنسية التي أقرتها

المجامع المسكونية (العالمية) أو المكانية (المحلية)، فأقوال الآباء وتعاليمهم ليست ملزمة للكنيسة، مثل القوانين الكنسية المعتمدة، فهذه الآراء قابلة للنقد أو حتى الرفض، لأنه ربما تكون هذه الآراء تخص أمورًا وقتها ولها ظروفها غير الموجودة الآن، وأيضًا الآباء غير معصومين من الخطأ، خصوصًا إذا كانت هذه التعاليم أو حتى القوانين لا تتوافق مع الفهم السليم لنصوص الكتاب المقدس، أو لم تأخذ بها المجامع المسكونية (العالمية) أو المجامع المكانية (المحلية).

- "إذا قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان". غل ٢٤:٣.

ولكننا لم نعد نعيش بالناموس، وهو القانون المنظم لحياة بني إسرائيل في العهد القديم.

- "فإنه يصير أبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها، إذ الناموس لم يكمل شيئًا، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله". عب ١٨:٧، ١٩.

فإذا كنّا ما زلنا نظن بأن النساء نجسات بسبب إفرازاتهن، فنحن ما زلنا نفكر بحسب الناموس القديم، وما زلنا نعيش تحت دينونته.

- فالمسيح هو ناموسنا الجديد، الذي جعل كل الأشياء طاهرة بقبوله الخليقة بنفسه، وتقديسها لأنه قدوس وبطبيعته يقدس الأشياء بمجرد أن "الكلمة صار جسدًا وحل بيننا" يو ١٤:١.

كل الأجساد صارت مقدسة فيه، على الأقل هؤلاء من يلبسون المسيح في المعمودية. هذا هو السبب أن المسيح قبل الروح القدس في معموديته.

- يقول القديس يوحنا ذهبي الفم في معرض تفسيره لرسالة تيطس "كل شيء طاهر للطاهرين، وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهرًا، بل قد تنجس ذهنهم أيضًا وضميرهم" تي١٥:١.

- الذين يخلطون بين الحق والباطل ويقيدون حرية المرأة في فترة الحيض هم من مناصري الخرافات والأساطير.

يقول القديس أثناسيوس الرسولي: الإنسان -كما تقول الكتب المقدسة- من عمل يدي الله، فكيف يمكن أن يتكون عمل نجس من قوة نقية؟! فلا شيء نجس إذًا فينا، لأننا نتدنس إذا أخطأنا، والخطية هي النجاسة الحقيقية. عندما تحدث إفرازات من الجسد بدون إرادة فإن ما نختبره هو جانب ضروري تُحتمه الطبيعة. فما هي الخطية... إذا كان السيد الذي صنع الجسد هو الذي شاء وخلق القنوات التي تفرز هذه الإفرازات؟!

- ليست الإفخارستيا (القربان وعصير الكرمة) مثل أي طعام نأكله ويتحول فينا إلى لحم وعظام، ويطرد الجسم الإنساني ما لا يريد أو ما لا تقوى أجهزة الهضم على امتصاصه. فنحن نأكل لكي نتحول إلى المسيح وإلى حياته الغالبة للموت، لا لكي يتحول هو فينا بواسطة أجهزة الهضم إلى طعام بائد.

وأكد الكتاب:

1- إن الدسقولية لا تمنع المرأة أن تتناول أثناء الدورة الشهرية، وجاء فيها "فيجب عليكِ أن تصلي كل حين، لتنالي من الشكر.. الإفخارستيا.. وتغتنمي من حلول الروح القدس عليكِ".

2- إن التعليم الأرثوذكسي الكتابي السليم يقول، إن الدورة الشهرية هي عملية فسيولوجية طبيعية خلقها الله، مثل باقي إفرازات الجسم، فهل تمنع من التناول إنسانًا ما بسبب العرق أو اللعاب أو الدموع؟!

3- إن الرب لم يرزل المرأة نازفة الدم لما لمست أطراف ثيابه لأجل الخلاص.. بل على العكس تمامًا، شفاها قائلًا: إيمانك خلصك.. وطوبى لمن يفهم!

سقوط شعار لا طلاق إلا لعلة الزنا

لماذا وافق الأساقفة على اعتبار الهجر بين الزوجين سببًا للطلاق الآن، ولم يوافقوا عليه في عهد البابا شنودة؟

في خطوة إصلاحية مهمة، قرر المجمع المقدس للكنيسة القبطية في اجتماع ضم 109 أساقفة، الموافقة على لائحة الأحوال الشخصية الجديدة، والتي تضم سببًا للطلاق عند الأقباط، وهو الهجر لاستحالة العشرة بين الزوجين، أو السجن،

بحيث تصل مدة الهجر إلى خمس سنوات، يحصل بعدها على طلاق من المحكمة ثم طلاق كنسي. وهذه الموافقة التي تضاف إلى الملف الإصلاحي الذي يقوم به بهدوء وبطء قداسة البابا تواضروس الثاني، تكشف عن عدد مهم من الأمور في مجال السلطة الدينية. وعلى رأس هذه الأمور:

أولًا: كشف زيف الادعاء بأن السبب الوحيد للطلاق هو علة الزنا، باستخدام مُحرَّف لقول نُسِب إلى السيد المسيح "لا طلاق إلا لعلة الزنا". وهو الأمر الذي أصبح القول النافذ والشعار المرفوع في عهد البابا شنودة الثالث. وتسبب في مآسٍ عديدة وتدمير أسر قبطية بالكامل. حيث تسبب الأمر في أسلمة البعض، وفي حالات أخرى وصل الأمر إلى القتل أو الانتحار. حيث أُغلِقَت حياتهم بالكامل. ويكشف هذا عن خطورة توظيف الآية الواحدة وتفسيرها في اتجاه متشدد، الأمر الذي يضر ويشتت الرعايا والأتباع من الدين وينفرهم منه. خصوصًا أن الكنيسة كانت تسمح بالطلاق لعدة أسباب منذ عام 1938 وحتى عام 1971، ومن هذه الأسباب الجنون والسجن واستحالة العشرة بين الزوجين. ووافق على ذلك عدد من البطاركة الكبار، منهم البابا كيرلس الخامس، والبابا مكاريوس الثاني، والبابا يؤانس التاسع عشر، والبابا يوساب الثاني، والبابا القديس كيرلس السادس. حتى جاء البابا شنودة الثالث وأصر على تفسيره وتشدده، الأمر الذي أثَّر في حياة أكثر من 4 آلاف قبطي بأسرهم، حسب أرقام وزارة العدل.

ثانيًا: لا بد للنظر إلى السلطة الدينية وإمكانياتها الكبيرة في تحقيق السعادة والأمل، وخصوصًا سلطة الكهنوت في المسيحية، بكونها سلطة بشرية في الأساس متغيرة، من المفترض أن تستخدم العقل والحكمة لخدمة الإنسان وراحته، وليس شقائه. فأكثر من تسعين من الأساقفة الأجلاء الذين وافقوا على هذه اللائحة الجديدة، كانوا هم بذاتهم أعضاء في المجمع المقدس برئاسة البابا شنودة الثالث، الذي أصر على التشدد، وأنه لا طلاق إلا لعلة الزنا. ووافق المجمع على ذلك بدون أن نسمع صوتًا يعارض هذا الأمر أو يخالفه، أو يتحدث عن المصائب والكوارث التي أصابت الأسرة المسيحية بسببه، وعن التناقض الكبير الذي يشعر به الأقباط بين روح الإنجيل التي تنادي بالأمل والرجاء وتجديد الحياة المستمر، وبين إغلاق باب الحياة بعدم إعطاء فرصة للزواج الثاني للمتضررين، وكأنه حكم إعدام دائم لحياتهم الاجتماعية. وهو الأمر الذي لا نجده في تعاليم المسيح، الذي وهب الحياة الجديدة للزناة والخطاة من كل لون.

أقول إن هؤلاء الأساقفة الكرام الذين يتعامل مجمعهم بالتصويت ويأخذ بالأغلبية لم يعارضوا البابا شنودة لإنقاذ حياة الآلاف من رعاياهم، وها هم الآن يوافقون على تعدد أسباب الطلاق. يبقى أننا ننتظر مع منكوبي الأحوال الشخصية بتفاؤل حذِر حول تشريع اللائحة كقانون يؤخذ به في المحاكم والكنيسة، وننتظر معرفة ما هي آليات الحكم بالتطليق للهجر، وكيفية حساب مدة 5 سنوات، وما أثير هو التطليق في المحكمة

للهجر على أساس أنه طلاق للضرر، على أن يكون للكنيسة الحق بعدها في التصريح بالزواج لأحد الأطراف. وهو نفس سبب استحالة العشرة واستحكام النفور لـ3 سنوات، والذي كان موجودًا بلائحة 1938. وإن اختلفت الصياغة. فهل تمثل العودة إلى الماضي الذي كان مستنيرًا أفضل، فقد قال السيد المسيح جئت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل. وفي هذه الخطوة نساند البابا تواضروس الثاني وننتظر منه المزيد.

طلاق المسيحيين حلال والزواج مدني
قراءة جديدة مثيرة في أقوال المسيح

هل يكون الطلاق مسموحًا به في المسيحية ما دام مسموحًا به في الناموس لمن قسى قلبه؟

ينتظر الأقباط قانونًا جديدًا للأحوال الشخصية، وفي هذا التوقيت يصدر كتاب "طلاق المسيحيين حلال والزواج مدني"، وهو كتاب خطير وبسيط في مضمونه، وترجع أهميته لأن كاتبه هو الدكتور كمال فريد إسحق أستاذ اللغتين القبطية واليونانية بمعهد الدراسات القبطية سابقًا. ولأن الكتاب يثير أسئلة، وللأسف أصبح مجرد طرح الأسئلة على العقول المتجمدة جريمة وذنبًا لا يُغتفر، وبما أننا كُتَّاب مذنبون فلنقرأ معكم بعض أجزاء من الكتاب الشائك.

يقول الدكتور كمال:

قال المسيح: "لا تظنوا أن جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل". (إنجيل متى 5: 17). والناموس = شريعة اليهود التي جاء المسيح ليكملها وليس لينقضها، أي ليتطور بها إلى الأفضل.

قالها حين سأله الفريسيون: "هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟".

في رده عليهم لم ينكر المسيح أن الناموس يقول إن الطلاق يحل، أي أنه حلال، ولكنه برر السماح به بقسوة قلوب اليهود.

ومن البديهي أن قسوة القلوب لا زالت موجودة حاليًا في عصرنا هذا، في كثير من المسيحيين أيضًا، وموجودة بالذات في قلب أي زوجين يطلبان الطلاق، فماذا استجد حتى تلغي الكنيسة الطلاق، وهو مسموح به في الناموس؟ طالما أن المستجد الذي استدعى التغيير -وهو لين القلب- غير متوافر في هذه الحالة، وهي حالة زوجين كرها بعضهما.

وكما أن الطلاق مسموح به في أي فكر منطقي، وفي حقوق الإنسان، لأنه مرتبط بحق الأمان في بيت يسوده الحب، وحق الحياة في راحة نفسية بدون شجار، وفي سلام أسري، ومرتبط بحق الأطفال في الحياة في بيت تسوده المحبة والسلام.

فلا بد أن يكون الطلاق مسموحًا به في المسيحية، ما دام مسموحًا به في الناموس لمن قسى قلبه، حسب قول المسيح "من أجل قساوة قلوبكم أذن موسى لكم بالطلاق". فهو مسموح به ما وجدت قسوة القلب، وهي متوافرة هذه الأيام، ومتوافرة

خصوصًا في الحالات التي تطلب الطلاق، فمن يطلب الطلاق يطلبه بعد أن يكون قلبه قد قسى نحو شريك حياته، أو بعد أن قسى قلب شريك حياته عليه، أو لأسباب وجيهة، لأنه لا أحد يريد خراب بيته بلا سبب.

ربما مثلًا هناك عجز جنسي أو سبب جنسي آخر، أو غير جنسي، والزوجان عازفان عن إعلانه، حياء أو احترامًا لخصوصية الإنسان، أو لمصلحة ما.

ما أكثر الأسباب الوجيهة المحتملة، والتي ليس من اللائق دائمًا إعلانها، ولكن الحقيقة الوحيدة الأكيدة هي أن الزوجين لم يعودا واحدًا، وأن القلوب قد قست، بل وربما قست أيضًا على فلذات أكبادها.

فتوجد نقطتان أساسيتان في قول المسيح: أولاهما: هي أن الزوجين لم يعودا واحدًا، فالله الذي جمع، عاد ففرق، فلا سبب لاستمرار الزيجة. والثانية: هي أن القلوب قست، فالحل هو الطلاق، كما جاء في الناموس. والوصية هنا هي "فليعطها كتاب طلاق"، وواضح أنها خطوة تنظيمية مدنية، لحفظ حقوق المرأة، وإنقاذها من الضياع في زمن لم تكن فيه أغلب النساء قادرة على كسب قوتها بنفسها. فما دام الطلاق حلالًا في الناموس لمن قست قلوبهم، يكون حلالًا أيضًا في المسيحية، لمن قست قلوبهم، لأن كلمة من الناموس لا تزول، كما قال المسيح.

وما دام الطلاق يحدث بكتاب طلاق يمنحه الزوج لزوجته، وليس بكتاب من الجهة الدينية، يكون الطلاق مدنيًا، وما دام

الطلاق مدنيًا، يكون الزواج مدنيًا، لأن الطلاق لا يمكن أن يكون مدنيًا بينما الزواج ديني. لأن من يملك التطليق هو الذي يملك التزويج، والله هو الذي جمع الزوجين بالحب، ثم سمح لهما بالكره، وبالتالي سمح بالزواج ثم الطلاق، ولكنه لم يقل إن الكنيسة هي التي تملك هذا، فهو مدني، لأن المسيح قال "اعط ما لله لله وما لقيصر لقيصر"، والجهة الحكومية توثقه، لأنها قيصر.

وغني عن الذكر أن كل ما أقوله في هذا الشأن لا ينقضه أي قول للمسيح في الإنجيل، بل ويتفق مع قول أو روح المسيح.

والذي قرر للمسيحيين سر الزيجة لا يعلو كلامه على كلام المسيح الذي قال "اعط ما لله لله وما لقيصر لقيصر"، فالزواج سلوك مدني في كل الشعوب بصرف النظر عن وجود دين لها من عدمه، وعن ما هو دينها، فالله يجمع الزوجين بالحب، وليس بصلوات رتبتها الكنيسة. وإن حلت الكراهية، معنى هذا أن الله سمح بفسخ هذه الرابطة، لأن من يكرهان بعضهما لا يمكن أن يكون الله لا يزال جامعًا لهما.

ويضيف الدكتور كمال قائلًا: أنا لا أدعو لإباحة الطلاق بدون شروط، ولكن لا بد أن توضع ضوابط له. ولكن ليست ضوابط تضعها الكنيسة، بل ضوابط يضعها علماء الاجتماع، فالزواج والطلاق موضوع مجتمعي لا يخص الكنيسة في شيء، بل ينظمه المجتمع بما فيه الخير للبشر.

وما قاله المسيح بخصوصه مثل كل ما قاله في مواضيع أخرى، ليس معناه أنه جعل الكنيسة هي الجهة المختصة.

فهو حين شفى المرضى هل جعل شفاء الأمراض من اختصاص الكنيسة؟

وحين يقول مثلًا "لا تقتل"، هل جعل عقاب القتل من اختصاص الكنيسة؟

وحين يقول مثلًا "لا تكذب" هل جعل عقاب الكذب من اختصاص الكنيسة؟

الفهرس